

روايات الهلال

لوجاء الغد

سیدنی شیلدون

REWAYAT AL - HILAL
NO. - 447 MARCH



روايات الهلال

REWAYAT AL - HILAL

تصدر عن مؤسسة دار الهلال

العدد ٤٤٧ - مارس ١٩٨٦ - رجب ١٤٠٦

NO. 447 - MARCH 1986

رئيس مجلس الإدارة: مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير: مصطفى نبيل

سكرتير التحرير: يوسف عيد

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج م ع نقدا او بحواله بريديه غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمم مؤسسه دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

اسعار البيع فى البلاد العربية للاعداد العادية من سلسلة روايات الهلال فئة ٧٥ قرشا للمقارىء فى مصر

سوريا ١٨٠٠ ق . س . لبنان ١٨٠٠ ق . ل . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ١٦٠٠ فلسا . السعودية ٧ ريالات . تونس ١٥٠٠ مليما . الخليج ١٢٠٠ فلسا . الصومال ١٢٠ بنى . لاجوس ١٢٠ بنى . عدن ١٤٤ سنتا . لندن ١٥٠ سنتا . اثينا ٢٠٠ دراخمه . كندا ٥٠٠ سنت . البرازيل ٦٠٠ سنت . استراليا ٦٠٠ سنت . السودان ٢٥٠ ق . سودانى . المغرب ١٥٠٠ فرنكا . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ١٠٠٠ فرنك . اليمن الشماليه ١٥ ريال . ايطاليا ٣٠٠٠ ليره

الإدارة دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط



روايات الهند

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

الغلاف بريشة الفنانة
سميحة حسنين

لو حادث الغد

IF TOMORROW
COMES



سیدنی شیلدون



محمود مسعود



دارالهدى

مقدمة

بقلم سيدنى شيلدون
ترجمة محمود مسعود

يعتبر الروائي الأمريكى الكبير سيدنى شيلدون أقدر وأشهر مؤلفى روايات الخفايا والجنائيات فى العصر الحديث ، حتى لقد لقب بأستاذ الرواية الجنائية غير منازع وصصارت مؤلفاته أروج الروايات وأكثرها مبيعا وذيوعا ، وترجم أكثرها الى أكثر من ثلاثين من أمهات اللغات العالمية . وفى هذه الرواية يقدم لنا المؤلف اذكى وأجرا بطلاته وأقدرهن على تدبير المكائد ورسم الخطط المدهلة .. فتاة توافر لها جمال أخاذ وذكاء خارق وأعصاب فولاذية مما يندر أن يجتمع فى أهاب فتاة واحدة . وبهذا السلاح تواجه ملوك الجريمة المنظمة من عتاة « المافيا » الذين استحكموا فى معاقلم وبسطوا سلطانهم الباطش الرهيب على مدن بأسرها فى تحد سافر للقانون الذى يبدو عاجزا عن مواجهتهم والاقتصاص منهم وتخليص المجتمعات الآمنة من شرورهم وآثامهم وهم لايتورعون عن سحق كل من يابى الأذعان لمطامعهم ، ناهيك بمن يجرؤن على مناهضتهم والتصدى لهم . وأسوا من هذا كله شراؤهم للدم وهيمنتهم على ضعاف النفوس من رجال الأمن والقانون ليكونوا لهم مطايا يوجهونهم كالات عمياء مطوعة استغلالا لنفوذهم فى تحقيق جرائمهم البشعة وامعانا فى تحدى القانون والنظام ... وبين برائن هذه الطفمسة الفاسدة المفسدة تقع البطللة ضحية بريئة مظلومة وتواجه حكما بالسجن لمدة خمسة عشر عاما عن جريمة ملفقة لم تقرنها ... ولكنها لا تلبث بما أوتيت من عزم وقوة وشجاعة أن تقهر عوامل البأس والخلدان وتبرى للانتقام من ظالمها القساة ولا سلاح لها سوى ذكائها الحاد وملاحتها الأسرة وأعصابها البتارة استخلاصا لحررتها واقتصاصا من ملوك الجريمة واحدا تلو الآخر بأساليب منكرة فذة تقصر عنها عقول أدهى الرجال .. فهل تنتهى محنتها عند هذا الحد وتعود اليها أسباب الطمأنينة لكى تذوق طعم الحب والسعادة من جديد وقد انتزعت منهما انتزاها بما فرض عليها من تلك الارزاء الاليمة ؟ ..

لقد الفت البطلة نفسها تواجه مرة أخرى مجتمعا أوسع يضم عليها بما هو حقها في الحياة الآمنة الوادعة ، فتضطر من جديد الى المكافحة والمناضلة ، وفي كفاحها هذا العاصف ضد عالم يتسيد فيه المنحرفون من ذوى الثراء الباذخ والالقاب العريضة والمناسب السامقة واضرابهم ممن اكتظت جيوبهم بالاموال وخوت نفوسهم من نوازع الاستقامة والشرف - تجد البطلة نفسها مسوفة الى مواجهة كل أولئك بأسلحة جديدة من ذخيرتها التى لا ينضب معينها الخصيب كفا لاذاهم عنها وحيلولة دون استئراء انحرافهم وتقليما لظافرهم الحادة الناشبة في كيار المجتمع الاكبر .. وهكذا نراها تتقلب بين نيويورك ولندن وباريس وبروكسل ومدريد وأمستردام وغيرها من المواطن العالمية ، في مواجهات حامية عنيفة مع أبرء رجال البوليس المحلى والدولى « الانتربول » ممن اطلقهم خصومها الحسد في اثرها وهم أعجز ما يكرنون عن الاهتداء حتى الى حقيقة امرها ، الا محققا واحدا تفرد دون هؤلاء بالعبقرية يكتشف شخصيتها ولكنه يظل على الدوام يتعقبها فى داب كلب الصيد وقد نذر نفسه لاقتناصها مدفوعا بعوامل خفية يضررها فى نفسه تفضح فى النهاية سره الدفين .. ثم يشاء القدر أن تتلافى فى طريقها بذلك الذى يماثلها ذكاء وجراة وماضيا اليما معذبا مثل ماضيتها .. فاذا توحدت وجهاتهما فى القيام بمشروعاتهما المتسمة بأشد الجراة والمغامرة فهل تتوحد مشاعرهما القلبية حتى تفوز البطلة فى النهاية بالحب الذى افتقدته طوال حياتها العاصفة ؟ .. ذلك ما نتركه للقارىء حتى لا نفسد عليه بهجة الاستمتاع بهذه الرائعة الجديدة التى صدرت لأول مرة منذ شهر قلائل والتى نشر لأول مرة مترجمة الى العربية .



هذا ، وللمؤلف روايات أخرى مشهورة هي « الوجه العارى » ، و « غريب فى المرآة » ، و « خط الدم » ، و « الشطر الآخر لمنتصف الليل » ، و « غضب الملائكة » ، و « سيد اللعبة » .
والمؤلف يعيش فى لوس انجيلوس بالولايات المتحدة مع زوجته الممثلة جورجيا كورتوايت ، ولهما ابنة واحدة هي ماري التى اتجهت الى التأليف وفازت روايتها الاولى « ساحلم بالظلام » بأحدى الجوائز الادبية المرموقة .

محمود مسعود

القسم الاول

الفصل الأول

نيو أورليانز

الخميس ٢٠ فبراير - الساعة ١١ مساء .

- خلعت ملابسها ببطء ، واختسارت رداء زاهي اللون وهي كالجمالة . ثم سرحت نظرها في غرفة النوم للمرة الأخيرة لكي تتأكد أن الغرفة المحببة اليها على مدار الثلاثين سنة الماضية كانت نظيفة ومرتبّة ، ولم تلبث أن فتحت درج المنضدة المجاورة للفراش وأخرجت منه المسدس محاذرة . كان المسدس أسود لامعا ، بارد الملمس بصورة مروعة . وأخيرا وضعت المسدس قرب التليفون ، وأدارت رقم ابنتها في مدينة فيلادلفيا . ولبثت برهة تستمع الى صدى الرنين البعيد ، وعلى الاثر جاء صوت رخيم قائلا : آلو ! ..

- تريسي ! .. أحبت أن أسمع صوتك يا حبيبتي ..

- يالها من مفاجأة لطيفة يا أمي ! ..

- أرجو ألا أكون أيقظتك من النوم ؟ ..

- كلا . كنت أقرأ ، استعدادا للنوم . كنت مع تشارلز في

الخارج نتناول العشاء ، لكن الطقس شنيع جدا . الثلوج هنا تسقط بغزارة . كيف حال الطقس عندكم ؟ ..

ناجت دوريس هويتني نفسها : يا الهي ! .. أننا نتكلم عن الطقس ، في حين هناك أشياء كثيرة أريد أن أخبرها بها ، ولا أقدر ! ..

- أمي ؟ .. هل أنت على الخط ؟ ..

حدقت دوريس هويتني من النافذة ، وناجت نفسها بعد أن ردت بأن المطر ينهمر : بالصورة الدراماتيكية ، كأنها في أفلام هتشكوك ! ...

سمعت تريسي تقول : ماهذه الضوضاء ؟ ..

فردت دوريس وهي تفتعل نبرة الانتعاش :

- هو الرعد ياتريس ... احكى لى ما يحدث عندكم فى
فيلادلفيا ...

- اشعر يا امى كائننى اميرة فى حكاية خيالية ، ولم اكن اعتقد
ابدا ان الانسان يمكن ان يشعر بمثل هذه السعادة الفامرة .. فى
مساء غد سأقابل والدى تشارلز ... هم آل ستانهوب ، من الاكابر
فى تشسترهيل ، ولهم مؤسسة كاملة ..

- لا تشغلى بالك .. انهم سوف يحبونك يا عزيزتى ..
- قال لى تشارلز ان هذا لا يهم ، فهو يحبنى ، وانا متبمة
به ... ولا يمكننى الانتظار الى ان تقابليه ... هو شخصية
رائعة ! ..

- انا متأكدة انه كذلك ..

قالت دوريس لنفسها انها لن تجتمع بتشارلز ابدا ! .. ولن تحمل
قط حفيدا فى حجرها ! ..

- كفى الان كلاما عنى يا امى ... اخبرينى كيف الاحوال
عندكم ؟ ...

- انا بكل خير ... اننى اشعر بام السعادة كلما تكلمت
معك ...

فقالت تريسى معايشة : هل لم تختارى حبيباً لك بعد ؟ ..
والواقع ان دوريس هويتنى من بعد وفاة والد تريسى منذ خمسة
اعوام لم تفكر حتى فى مصادقة رجل آخر ، على الرغم من تشجيع
تريسى لها ...

لقد غيرت دوريس موضوع الحديث قائلة :

- لا اصدقاء ... كيف حال عمك ؟ .. هل انت مرتاحة ؟ ..

- انا مشغوفة به .. وتشارلز لا يبالي اذا استمرت فى العمل
بعد زواجنا ...

- هذا رائع ياطفتى ... يبدو انه شاب متفهم جدا ..

- هو كذلك .. وستأكدن بنفسك ..

وقصف الرعد مدويا .. اذن فقد حان الوقت .. ولم يبق
ما يقال ، سوى كلمة وداع اخيرة ، قالتها دوريس وهى تغالب
نفسها لكى يبدو صوتها ثابتا :

- مع السلامة يا حبيبتي ...
- سآراك يا أمى فى حفلة الزفاف ... وسأصل بك حالاً
نحدد أنا وتشارلز الموعد ...
على أى حال لم تبق سوى كلمة نهائية :
- نعم ... أنا أحبك يا تريسى ، جداً ، جداً ..
ووضعت دوريس هويتنى سماعة التليفون بعناية ...
ثم تناولت المسدس .. لم يكن ثمة سوى حل واحد تلجأ إليه ..
وبسرعة ...
فرفعت المسدس إلى صدقها ، وضغطت على الزناد ...

الفصل الثانى

فيلادلفيا .

الجمعة ٢١ فبراير الساعة ٨ صباحاً
غادرت تريسى هويتنى شقتها فى العمارة السكنية مرتدية معطفها
الواقى من المطر فى طريقها الى عملها فى بنك تراست وهى تشعر
بالبهجة والسعادة ... كانت فى الخامسة والعشرين من عمرها ،
ذات محيا صبور فيه من امارات الذكاء والنجابة حظ موفور ،
وعينين خضراوين ، وقوام رياضى مشوق ، وبشرة وردية نضرة .
كان البنك الذى تعمل فيه قد رقاها الى وظيفة رئيسة لقسم
التحويلات الخارجية ، وبعد ادخال نظام الكمبيوتر فى البنك - وهى
متخصصة فى هذا المجال - تضاعفت أنشطة المصرف ، وزادت
اعباء تريسى . بيد أنها كانت متفانية فى عملها ، قريرة العين به .
انما كانت سعادتها الكبرى هى فى تلك العلاقة التى ربطت بينها
وبين تشارلز . فقد أعجب بجمالها وذكائها فى تلك الندوة المصرفية
التي حضرها كلاهما : هو كمدير للمؤسسة الاستثمارية التى يشرف
عليها والده ستانهورب المالى الكبير ورجل الاعمال المرموق ، وهى
كأخصائية فى المعاملات المصرفية الداخلية والخارجية . وبعد
قبولها دعوته الاولى للعشاء فى المطعم الفاخر ، تكرر اللقاء بينهما ،
وتطورت العلاقة الى حب متبادل ، وعندما عرض عليها الزواج ،
قبلت بعد تردد ، حتى أنه قال لها ذات مرة :

— نعم ان والدى ووالدتي سيقابلان فكرة زواجنا بدهشة الى حد ما ، لكننى كفىل بتسوية كل شىء ...

فقلت له تريسى : وفيم الدهشة ؟ ...

فتنهذ تشارلز قائلا : لن أخفى عنك يا حبيبتى ان آل ستانهوب متمسكون بالتقاليد التى تحرص على الزواج المتكافى واختيار العروس بمعرفتهم ... لكن هذا لا يهم .. المهم هو اختيارى انا .. وشفع هذا بعناق وقبله ، ثم اردف قائلا :

— سوف نتناول طعام العشاء عندهما يوم الجمعة المقبل .. فقد حان الوقت لكى تلتقى بهما .

كانت هذه الذكريات تدور فى خاطر تريسى رغم انها كانت فى عملها بالمصرف . وعندما حانت الساعة الواحدة وتاهبت تريسى للانصراف بعد الفترة الصباحية لتصفيف شعرها استعدادا لموعدها عند أسرة ستانهوب الكبير — استدعاها ديزموند المدير التنفيذى فى البنك . ودعاها الى الجلوس وقال لها بلهجة ودية :

— سمعت انك وتشارلز ستانهوب مخطوبان تمهيدا للزواج .

فقلت تريسى بدهشة : انا لم نعلن أى شىء عن هذا ... كيف .. ؟

فرد ديزموند قائلا : ان أى شىء يتصل بال ستانهوب هو من الاخبار الهامة . انا سعيد بهذا النبأ . واعتقد انك سوف تعودين للعمل معنا بعد شهر العسل ... انا لا نريد ان نفتقدك ... فانت واحدة من أكفأ موظفينا ...

— اننى وتشارلز تناقشنا فى هذا ، واتفقنا على اننى سـكون اسعد بمواصلة العمل ...

ابتسم ديزموند راضيا .. فان مؤسسة ستانهوب كانت واحدة من أهم البيوت الاستثمارية فى الدوائر المالية ، وكان ديزموند يتوق الى احتكار معاملاتهم فى فرع هذا البنك الذى يشرف عليه ... ومالبت ان مال فى مقعده الى الخلف قائلا :

— بعد عودتك من شهر العسل ياتريسى ، ستجدين فى انتظارك ترقية ، مع علاوة كبيرة ..

— آه .. شكرا لك .. هذا خبر عظيم ...

كانت بشرى طيبة ودت تريسى ان تبلغها لتشارلز بأقرب وقت ، وبدا لها كان الاقدار اختارتها وحدها لكى تغدق عليها من السعادة ما لا مزيد عليه ..

وفى الموعد المحدد دلفت تريسي الى قصر آل ستانهوب وهى
تحسب لهذا اللقاء ألف حساب .. وقد وجدت ستانهوب الاب رجلا
بأدى الصرامة فى حوالى الخامسة والستين من العمر ، وخط
المشيبي شعر عارضيه . أما زوجته فكانت أدنى الى القصر ، تلوح
عليها امارات المهابة والعزم . وقد بادرتها قائلة وهى تبسط
يدها :

- هذا كرم منك ياعزيزتى أن تحضرى عندنا . اننا طلبنا من
تشارلز أن يهين لنا بضع دقائق لكى نجتمع بك على انفراد . لعلك
لا تمنعين ؟ ..

فتولى الزوج الرد قائلا : طبعاً لا تمنع . اجلسى يا تريسي ...
اليس هذا اسمك ؟ ..
- نعم ياسيدى ...

وجلس الوالدان على أريكة فى مواجهتها ، ثم أردف قائلا :
- اذن أنت وتشارلز تريدان الزواج ؟
ولما ردت تريسي بالإيجاب قالت مسر ستانهوب :
- الحقيقة أنك وتشارلز لم تتعارفا ببعض مدة طويلة ، اليس
كذلك ؟

غابت تريسي استيائها ، فهامى ذى فى مجلس تحقيق ، وهو
ماكانت تخشاه . بيد أنها ردت قائلة :
- انها كانت مدة كافية لكى نعرف أننا متحابان يا مسر
ستانهوب ...

وهنا غمغم ستانهوب : متحابان !؟ ..
ثم مضت مسر ستانهوب تقول : لكى أكون صريحة معك يا مس
هويتنى ، فإن هذا الخبر جاء صدمة لوالده ولى .. فالجيميم
يعرفون أن خطبته لبنت عمته شارلوت التى نشأ معها منذ الصغر
كانت ستعلن هذه السنة ..

لم تكن تريسي بحاجة الى من يصف لها شارلوت .. فقد تصورتها
من طبقة الاغنياء هؤلاء ، تتقلب فى النعيم ، وتتعلم فى أرقى المدارس
وهوايتها الخيول والفوز بالجوائز ...

ولم يلبث مستر ستانهوب أن قال لها : كلمينا عن عائلتك ...
واعقبته زوجته سائلة : أين كان مسقط رأسك ياعزيزتى ؟
- فى لويديانا .. وكان أبى ميكانيكياً ..

- ميكانيكى ١١..

ولم تكن تريسى بحاجة الى ذكر عبارتها الاخيرة ، بيد انها لم تستطع ان تقاوم ، وليذهبا الى الجحيم ... فقد كانت فخورة بأبيها .. ولهذا استطردت تقول :

- نعم ... انه أسس مصيفا صغيرا فى نيواورليانز ، وظل يرعاه حتى التسع ... وعندما توفى أبى منذ خمس سنوات ، حلت أمى مكانه ...

تبادل الاب والام نظرة معنوية ، وقالا معا : مفهوم ... والواقع ان نبرات صوتهما جعلت تريسى اقرب الى التسوتر ، ونظمت الى ملامحهما المتجهمة التى خلت من كل تعاطف ، فلم تتمالك ان أطلقت لنفسها العنان قائلة :

- مؤكدا انكما ستحبان أمى ، فهى جميلة ، وذكية ، وجداية ... انها من اهل الجنوب .. وهى قصيرة القامة ، فى مثل قامتك يامسر ستانهوب ...

ولكنها كفت عن الاسترسال ازاء صمتها المرهق .. ولم تتمالك ان أرسلت ضحكة يسيرة بلهاء تبذرت تحت نظرة الاب الصارمة .. وفى هذه الورطة الثقيلة جاءت النجدة بدخول تشارلز ... فلم تسعد تريسى فى حياتها برؤية أحد مثلما سعدت برؤيته .. وقال تشارلز متهلل الاسارير :

- كيف سار كل شئ بينكم ؟ ..

وفى الحال نهضت تريسى وألقت نفسها بين ذراعيه مغممة :
« عظيم يا حبيبى » ...

حمدا لله ! .. ان تشارلز ليس مثل والده ... ولا يمكن أبدا أن يكون مثلها ! .. انها ضيقا الفكر ، ومحدثا نعمه ، وباردان ! .. وبعد العشاء الفاخر الذى ساده جو المجاملة ، تلمس تشارلز يدها من تحت المائدة ، وقال باسمها وهو يغمز لها بعينه :

- أنا وتريسى نفضل زفانا محدودا ، وفيما بعد ..

بيد أن والدته قاطعتة قائلة : كلام فارغ ... ان الاسرة لا تعرف الزفاف المحدود يا تشارلز ... ان هناك العشرات من الاصدقاء الذين يريدون أن يحضروا زواجك ... وربما يجدر بنا أن نرسل الدعوات فى الحال ...

وبنظرة الى تريسى تتفحص قوامها أردفت : هذا ، ان كان

ذلك الترتيب مقبولا لكما ؟

- نعم .. نعم طبعاً ...

سارعت تريسي بهذا الرد وقد سرى عنها .. فسوف يتم الزواج
أفعلاً ، فعلام التشكك والهواجس من جانبها ؟ ..
ثم أضافت مسر ستانهوب قائلة : ان بعض الضيوف سوف
يجيئون من الخارج ، وسأخذ الترتيبات لاستضافتهم عندنا ..
وقال ستانهوب : هل اتفقتما على المكان الذى تقضيان فيه
شهر العسل ؟ ..

ابتسم تشارلز ، وأجاب وهو يضغط على يد تريسي تحت المائدة
هذه معلومات خصوصية يا أبى ! ..
وقالت الزوجة الام : وكم سيطول شهر العسل ؟ ..
- لمدة خمسين سنة ! ..

لشد ما افتننت به تريسي لهذا الرد ! ..
وكان الوقت يناهز منتصف الليل عندما أوصلها تشارلز بسيارته
الى شقتها الصغيرة ، واثناء ذلك قال لها :
- أرجو الا تكون السهرة قد أرهقتك يا تريسي .. أبى وامى يمكن
ان يكونا صليبين أحياناً ...

فردت تريسي كذباً : آه .. كلا .. انهما كانا بديعين ..
وعلى الرغم من أنها كانت مجعدة من تأزم السهرة فى مطلعها ،
الا أنها قالت له وهما على باب الشقة :
- الا تود ان تدخل ؟ ..

- ليس هذه الليلة .. فعندى عمل كثير فى الصباح ..
فقالت وقد أخفت استياءها : طبعاً .. مفهوم يا حبيبى ..
- سأتصل غداً ..
وردعها بقبلة قصيرة ..



استيقظت تريسي على رنين جرس التليفون الذى كان يدق
بالحاح ...
وأشارت الساعة على المنضدة الجانبية الى الثانية والنصف
صباحاً ... وكان أول خاطر أفزعها هو ان شيئاً قد ألم بتشارلز .
فاختطفت سماعة التليفون قائلة : آلو ! ..
فجاءها على البعد صوت رجل يقول : تريسي هويتنى ؟ ..

- من المتكلم ؟ ..

- انا الملازم ميلر من ادارة بوليس نيو اورليانز .. هل انت تريسى هويتنى ؟ ..

فأجابت وقلبها يدق كمطرقة : نعم ..

- يؤسفنى ان عندى خبرا سيئا .. هو خاص بوالدتك ...

- هل وقع لامى حادث ؟ ..

- انها توفيت يامس هويتنى ...

صرخت تريسى مروعة : كلا ! ...

فقال المتكلم : كنت اكره ان ابلفك الخبر بهذه الطريقة .

ياله من كابوس ! .. لقد تجمدت الكلمات على لسانها ، وشغل تفكيرها ...

ثم سمعت صوت الضابط يقول :

- آلو ! .. آلو يامس هويتنى ! ..

- ساصل بأول طائرة ...

جلست تريسى فى المطبخ الصغير تفكر فى أمها .. مستحيل انها توفيت ! ..

فقد كانت موفورة الحيوية ، دائبة النشاط .. وكانت علاقتها على الدوام وثيقة الاواصر ، عميقة المشاعر ... وبعد وفاة والدها فاتحها الكثيرون فى شراء المصنع ، بل عرضوا عليها من المال ماكان يمكن ان يكفل لها حياة طيبة طيلة العمر ، غير أنها ظلت ترفض بامرار ، قائلة لابنتها : « ان والدك اقام هذا المصنع بكده ودابه ، ولا يمكن ان ابدد عمله الشاق المتواصل » ... وهكذا تعهدت أمها هذا العمل وسارت على نهج زوجها الراحل ! ..

ولم تتمالك تريسى ان اجهشت بالبكاء ...

وودت فى هذا الموقف من كربها ان تتصل تليفونيا بتشارلز وتخبره بما حدث ، وان يكون بجانبها ... ثم حانت منها التفاتة الى ساعة المطبخ ، فكانت الثالثة والنصف .. انها لاتود ان توقظه ، ويمكن ان تتصل به تليفونيا من نيو اورليانز ... ولم تتمالك ان تساءلت فى نفسها ان كان هذا التطور يمكن ان يؤثر على مشروعات الزواج ، فما اسرع .. تألمت للتفكير فى شىء كهذا وهى فى مصابها ذاك .. لقد قال لها الضابط ميلر : « عند وصولك الى نيو اورليانز

خذى أول تاكسى واقصدى الى ادارة البوليس ..
لماذا ادارة البوليس ؟ .. وماذا حدث ؟ ..

ما ان هبطت تريسى فى مطار نيواورليانز واستردت حقيبتها
الصغيرة حتى استقلت أول سيارة أجرة توجهت بها الى مركز
البوليس وهى فى دوامة من التوجس والجزع ..
واستقبلها الملازم ميلر معتدرا قائلا :

- آسف لاننى لم أتمكن من مقابلتك فى المطار .. اننا فتشنا كل
أوراق والدتك ، ولم نجد الا أنت الوحيدة التى أمكن الاتصال بها .
- أرجوك يا حضرة الضابط .. أخبرنى ماذا - ماذا حدث
لوالدتى ؟ ..

- انها انتحرت ...

شعرت تريسى بقشعريرة باردة سرت فى كل كيانها ، وقالت بصوت
مشروخ :

- هذا .. هذا مستحيل .. ما الذى يدعوها الى قتل نفسها ؟
- انها تركت رسالة موجهة اليك ...

كانت المشرحة باردة ، كالحة ، مرعبة ...

وقد اقتيدت تريسى فى ممشى أبيض طويل انضى بها الى حجرة
كبيرة خاوية .. ومالبث المشرف فى معطفه الأبيض الطويل أن تقدم
الى حائط ومد يده الى مقبض وجذب منه درجا كبير الحجم قائلا :

- هل تحبين أن تلقى نظرة ؟ ..

كلا ! .. ما يكون لها أن تبصر الجثمان الهامد الممدد فى ذلك
الصندوق ، وودت لو استطاعت أن تبرح هذا المكان ...

وفى النهاية تقدمت وانية ، وهى تكاد تصرخ فى كل خطوة ..
واذا هى تحديق فى رفات الجسد الخامد الذى حملها ، وغذاها ،
وضاحكها ، ومنحها المحبة والحنان .. ولم تلبث أن انحنت وقبلت
وحنه أمها ، باردة ورخوة ، واذا هى تهمس : أواه يا أمى ! ...
لماذا ؟ .. لماذا فعلت هكذا ؟ ..

وسمعت المشرف يقول لها : سنقوم بتشريح الجثة ... هذا من
قوانين الولاية حىال من ينتحرون ...
ولم يكن فى الرسالة التى تركتها دوريس هويتنى أى تفسير ..
كانت بها هذه الكلمات :

« حبيبتي تريسي - أرجو أن تسامحيني ... اننى فشلت ، ولم يكن فى قدرتى أن اكون عبثا عليك ... كان هذا هو المخرج الوحيد ... اننى احبك أعظم الحب - أمك » .

كانت الرسالة خامدة مجردة من كل معنى ، مثل الجثة الممددة فى التابوت

وفى عصر هذا اليوم اتفقت تريسي على ترتيبات الجنازة ، ثم قصدت فى سيارة آجرة الى بيت الاسرة ...

كان البيت مثل معظم البيوت فى نيواورليانز ، مشيدا من الاخشاب بلا أساس ، اذا كانت المنطقة تحت مستوى سطح البحر ...

لقد شبت تريسي وترعرعت فى هذا البيت ، وكان مليئا بالذكريات الحلوة ... وهى لم تدخل هذا البيت فى السنة الماضية ، ولهذا ررعت عندما اقتربت سيارة الاجرة من البيت ولمحت لافتة كبيرة فى الفناء مكتوبا عليها : « المنزل للبيع - شركة نيواورليانز العقارية » ... هذا مستحيل !..

وبخطى مضطربة مضطربة تقدمت الى الباب الامامى وفتحتنه بالمفتاح الذى ظلت تحتفظ به منذ كانت طالبة .. وما أن دلفت الى الداخل حتى جمدت مكانها مشدوهة ...

كانت الغرف خاوية تماما ، مجردة من كل اثاث ... وأسرعت تريسي تجرى من غرفة الى أخرى وهى لا تكاد تصدق عينها .. فقد بدا وكأن كارثة مفاجئة قد حلت بالبيت .. ولما هرولت صاعدة الى الدور العلوى ووقفت بباب غرفة نومها التى شغلها معظم حياتها ، بدت لعينها خاوية متجهمه ...

رباه !.. ماذا حدث ؟..

ثم صافح سمعها رنين جرس الباب الامامى ، فهبطت السلالم كالحالة وفتحت الباب ...

كان القادم هو أوتو شميدت الالمانى وكيل مصنع هويتنى لقطع الفيار ، وكان رجلا متقدما فى السن بادهى النحول تحف بصلعته دائرة من الشعر الابيض ، وقد بادرها قائلا :

- اننى سمعت الخبر توا .. ولا .. ولا يمكننى ان اقول لك كم احزننى ..

فقالت تريسي وهى تشد على يديه : اواه يا أوتو !.. كم انا

مسرورة برؤيتك .. ادخل ..
وقادته الى غرفة المعيشة الخالية قائلة : انا آسفة اذ لا يوجد
ما نجلس عليه ... هل تمنع في الجلوس على الارض ؟ ..
- لا .. لا ..

وجلسا على الارض متواجهين ، والصمت يفشى عيونهما تعاسة
وضنى ... كان شميدت وكيلًا للمصنع منذ أن أقامه والدها ، وبعد
وفاته كانت أمها تعتمد عليه كل الاعتماد .. ثم قالت له تريسي :
- انا لا افهم ما يحدث يا أوتو ... يقول البوليس ان أمي
انتحرت ، لكنك تعلم انه لا يوجد سبب يدفعها الى قتل نفسها ...
وفجأة خطرت لها فكرة ، فأضافت : هل كانت مريضة ؟ .. هل
أصيبت بمرض خطير و ..

فأشاح بنظره ، وقال وهو في حرج شديد : لا ... لم يكن
هذا ...

فقالت تريسي بتؤدة : أنت تعرف السبب ؟ ..
فتفرس فيها بعينه الزرقاوين الباهتتين قائلاً : ان والدتك لم
تخبرك بما كان يحدث في الفترة الاخيرة ... انها لم تكن تريد ان
تذكرك ...

فقالت تريسي مقطبة : تذكرني لاي شيء ؟ ... تكلم ... من
فضلك ! ..

فقال وهو يقبض ويبسط يديه اللتين انحلهما العمل : هيل
سمعت عن رجل اسمه جورومانو ؟ ..
- جورومانو ؟ .. كلا .. لماذا ؟ ..

فراح شميدت يقول وهو يطرف بعينه : منذ ستة شهور اتصل
جو رومانو بوالدتك وقال انه يريد شراء المصنع .. ولما اخبرته بانها
لا ترغب في البيع ، عرض عليها ثمنا يبلغ عشرة امثال ما يساويه
المصنع ، فلم يكن بإمكانها ان ترفض ... والحقيقة انها تحمست ،
وكان في نيتها شراء سندات بالمبلغ كله يكفي ريعها لكي تعيش هي
وانت مدى الحياة في يسر وبحبوحة ... وكانت تريد أن يكون في
هذا مفاجأة لك ... والحقيقة انني مررت من اجلها ، وكنت اريد
اعتزال العمل طيلة السنوات الثلاث الماضية ، لكنني ياتريسي لم يكن
بوسعي ان اتخلي عن مسز دوريس ...

ثم اردف وهو يكاد يبصق الكلمات : ان رومانو هذا - رومانو

هذا أعطاها مقدم الثمن مبلغا صغيرا ... اما الباقي وهو القسط
الأكبر ، فكان محددا أن يدفع في الشهر الماضي ...
فقالت تريسى فى شيء من نفاد الصبر : استمر يا أوتو .. ماذا
حدث ؟ ..

- عندما تسلم رومانو زمام المصنع ، بادر بطرد جميع عماله
وأحل رجاله محلهم ... وبعد هذا أخذ ينهب المصنع ، فباع جميع
أصوله ، وجلب معدات جديدة على حساب المصنع ، وكان يبيعها
دون أن يسدد أثمانها ... وكان الموردون لا يقلقون لتأخير السداد
اعتقادا منهم بأنهم لا يزالون يتعاملون مع والدك ... وحينما بداوا
فى النهاية يلحون عليها لسداد مستحققاتهم ، ذهبت الى رومانو
وطلبت منه أن تعرف حقيقة مايجرى .. فأبلغها أنه قرر ألا يمضى
فى الصفقة وأنه سيعيد إليها المصنع ... وعند هذا الحد لم يكن
المصنع بلا قيمة فقط ، بل كانت والدك مدينة بنصف مليون دولار
له يكن فى قدرتها دفعة ... وأقول لك باتريسى أن الموقف كان
يمزق قلبى أنا وزوجتى ونحن نرى والدك يجاهد عبثا لاتقاذ
المصنع ... فلم يكن أمامها من مخرج .. وقد اضطروها الى اعلان
الافلاس .. واستولوا على كل شيء : المصنع ، والبيت ، وحتى
سيارتها ..

- أواه ياربى !!

- بل أكثر من هذا ... كان المذنب العام وجه الى والدك انذارا
بأنه سواف يستصدر حكما عليها بالتدليس والاحتيال ، ثم السجن
وكان ذلك فى اليوم الذى توفيت فيه ، على ما اظن ..
فقالت تريسى وهى تضطرم بعصب عاجز : لكن كل ما كان يجب
عليها أن تفعله هو أن تخبرهم بالحقيقة ... وأن تشرح لهم ماذا
فعل ذلك الرجل فى حقها ..

فهر وكيل المصنع الكهل رأسه قائلا : ان جورومانو يعمل لحساب
رجل يدعى انتونى أورسانى ... وأورسانى يسيطر على نيواورليانز
وقد اكتشفت بعد فوات الأوان ان رومانو فعل هذا من قبل
مع مصانع أخرى ... وحتى لو كانت والدك قد جرته أمام المحاكم
لاستغرق هذا سنوات قبل أن تتكشف الحقيقة ، ولم تكن تملك
المال للتغلب عليه ..

فهمت وهى فى ألم كرب : ولماذا لم تخبرنى والدنى بكل
هذا ؟ ...

— ان والدتك كانت معترزة بكرامتها ... وما الذى كان بإمكانك ان تفعله ؟ .. ليس فى قدرة أحد ان يفعل شيئا ..
 فقالت تريسي بشراسة : اريد ان ارى جوروماتو .. اين يمكن ان اخذه ... !
 فأجاب شميدت بصراحة باترة : انسى كل شيء عنه .. ليست عندك فكرة عن مدى قوته ...
 — انه يملك بيتا قرب جاكسون سكوير ، لكن لا فائدة من ذهابك اليه يا تريسي ... صدقيني ...
 لم ترد تريسي ... فقد افعمت نفسها باحساس كان قير معهود لديها بتاتا : الحق المضطرم ... واقسمت فى سرها ان يدفع جو روماتو الثمن لقتل أمها ...

الفصل الثالث

كانت تريسي فى حاجة الى وقت ... وقت للتفكير .. وقت للتخطيط لخطوتها التالية ..
 انها لم تكن تحتل ان تعود الى البيت المخرب ، وهكذا قصصت الى فندق صغير ، على بعد من الحى الذى يقع فيه البيت .. ولم يكن معها متاع ، ولهذا قال لها موظف الفندق المتشكك : لابد ان تدفعى مقدما ... والمطلوب هو ٤٠ دولارا عن الليلة ..
 ومن غرفتها بالفندق اتصلت تليفونيا بديزموند فى البنك واخبرته انها لن تستطيع العودة للعمل بضعة ايام ، فبادرها قائلا :
 — لا تشغلى بالك .. سادبر من يحل محلك الى حين عودتك وكان يرجو فى سره ان تخبر تشارلز ستانوب الى اى حد هو متفهم ومتجاوب ...
 وكانت مكالة تريسي التالية مع تشارلز : تشارلز .. حبيبى ..
 — اين انت بحق الشيطان يا تريسي ؟ .. ان والدتى ظلت تحاول الاتصال بك طيلة الصباح ، وكانت تريد ان تتناول الغداء معك اليوم .. انما الاثنان أمامكما ترتيبات كثيرة لاتمامها ...
 — انا آسفة يا حبيبى .. انا فى نيو اورليانز ..
 — انت اين ؟ .. ماذا تفعلين فى نيو اورليانز ؟

— امى .. ماتت ! ..

وسرعان ماتت نبرات صوته قائلا : آه .. أنا آسف يا تريسي ..
لابد أن هذا كان مفاجأة .. كانت صغيرة السن ، كما أظن ..
فردت تريسي فى تعاسة ولوعة : جدا .. جدا ! ..
فقال وقد آنس حالتها : مابك ؟ .. هل أنت على مايرام ؟ ..
لم تقو تريسي على أن تقول له أنها حالة انتحار ... كانت تود
من أعماق قلبها أن تنفض اليه القصة كاملة عما فعلوه بأمهها ،
بيد أنها أمسكت وهى تناجى نفسها : « أنها مشكلتى ، ولا أريد أن
أحمل تشارلز عنها » ... وقالت بصوت مسموع :

— لا تشغل بالك ... أنا بخير يا حبيبى ..

— هل تودين أن أحضر عندك يا تريسي ؟ ..

— كلا .. أشكرك ... بإمكانى أن أتصرف .. سأشرف على دفن

امى غدا . وسأعود الى فيلادلفيا يوم الاثنين ..

وعندما ردت السماعة الى مكانها تمددت فى الفراش تحديق
فى السقف مشتتة الفكر مذهوبة الدهن لا يعرض لها سوى اسم
واحد انطلق لسانها يجرى به مرارا : رومانو .. رومانو .. رومانو
لابد أن يدفع الثمن .. ولم تكن لديها خطة ما .. لكنها عرفت فقط
أنها لن تدع جورومانو يفلت مما فعل ، وأنها ستجد طريقة للانتقام
لامها ...

وفى أصيل هذا اليوم انصرفت تريسي من الفندق وسارت فى
الشارع حتى وصلت الى محل رهون .. ولما دخلت تلقاها رجل له
سحنة هيكلى عظمى كان جالسا فى شبه قفص وقال لها : هل من
مساعدة ؟ ..

— أريد .. أريد شراء مسندس ..

— هل تريدينه عيار ٣٢ أو ٤٥ ؟ ..

لم تحمل تريسي مسدسا فى حياتها ، وردت قائلة : يكفى ...
يكفى عيار ٣٢ .

— عندي نوع بمائتين وثلاثين دولارا .. ونوع آخر بمائة

وستين ..

لم تكن تريسي تحمل معها نقودا كافية ، ولما طلبت منه نوعا
أرخص هز كتفيه قائلا : اسمعى ياسيدة .. سأبيعك عيار ٣٢ بمائة
وخمسين دولارا ، مع علبة رصاص هدية ...

قبلت تريسي .. وعندما جاء بالمسدس ووضعه أمامها فوق

المنصة قال لها : هل تعرفين كيفية الاستعمال ؟..

- يمكن .. يمكن جذب الزناد ...

غمغم الرجل ، قائلاً : هل تريدان أن أريك كيف تحشينه ؟..

همت أن ترد بالنفي ، وأن تقول أنها لا تنوى استخدام المسدس ، وكل ماتريد هو أن تخوف به شخصاً ما ، غير أنها أدركت عقم هذا الكلام ، وردت بالإيجاب ...

ووقفت تراقبه وهو يدخل الرصاص في خزانة المسدس ، ثم مدت يدها في كيس تقودها وقدمت له المبلغ ، فقال لها :

- أريد اسمك وعنوانك لاستيفاء سجلات البوليس ..

لم يخطر هذا ببالها ... أن تهديد جو رومانو بمسدس هو عمل حثائي ، وأن كان هو المجرم ، لاهى !..

قال الرجل مرة أخرى وهو يتفرس في وجهها : اسمك ؟

- سميت ... جوان سميت ..

فدون الاسم في بطاقة ، وقال : والعنوان ؟..

- داونمان رود ... رقم ٣٠ - ٤٠

فقال دون أن يرفع إليها نظره : لا يوجد رقم ٣٠ - ٤٠ في طريق داونمان رود .. موقع هذا الرقم لابد أن يكون في وسط النهر ؟.. لنقل أن الرقم هو ٥٠ - ٢٠ ..

ودفع إليها بطاقة الاستلام ، فوقعت باسم جوان سميت .. فدفع إليها بالمسدس من خلال القفص محاذراً .. فلبثت برهة تحديق إليه ، ثم تناولته ووضعت في حقيبة يدها ، وأنشت أخيراً وأسرعت خارجة والرجل يصيح في أثرها :

- اسمي ياسيدة .. لا تنسى أن المسدس محشو !..

وقفت تريسى في ظلال الأشجار الباسقة المحيطة بمنزل جو رومانو في ذلك الحى الراقى من المدينة منتظرة تكاثف الظلام وهي تستعيد خطتها ، شاعرة طيلة الوقت بثقل المسدس في حقيبة يدها ...

كانت الخطة بسيطة ... ستجادل جو رومانو بالحسنى والعقل ستطلب منه أن يبرئ اسم أمها ... فان رفض ، تعين عليها أن تهدده بالمسدس وتجبره على الاعتراف كتابة بما فعل .. ولسوف تذهب بهذا الاعتراف الى الضابط ميلر الذى سيلقى القبض على

رومانو ، وبهذا تبرأ ساحة أمها ويرفع عنها الاتهام .. ولكم ودت
من أعماقها لو كان تشارلز معها ، لكن كان الأفضل أن تؤدي هذه
المهمة وحدها .. ومن الممكن أن تخبره بكل شيء بعد أن تنتهي المهمة
ويخرج برومانو خلف القضبان ، حيث السجن مكانه ، جراء وفاقا ..
وعندما تأكلت تريسى من خلو الشارع من المارة تقدمت من الباب
الخارجي وضغطت على الجرس ، فلم يكن ثمة مجيب ، حتى فكرت
أنه خارج البيت ، استعدادا لأحدى سهراته .. وفجأة أضىء نور
المدخل ، وفتح الباب الامامي ، ولاح رجل أدهشتها هيأته .. فقد
كانت تتخيله مخلوقا مشثوم السحنة بادي الغلظة والشر .. وبدلا
من ذلك ألقت نفسها في مواجهة رجل جذاب الصورة بشوش
الوجه اقرب في هيأته الى سميت استاذ جامعي .. وكان صوته
خفيضا ودودا وهو يقول لها :

- أهلا .. هل من مساعدة ؟ ..

فقلت بصوت بدا مهتزا : هل أنت جو رومانو ؟ ..

فاجاب بلهجة عذبة : نعم .. ما الذي يمكن أن أؤديه لك ؟ ..

- أود .. أود أن أتكلم معك ، يامستر رومانو ..

فراح يتفحص قوامها مليا ، ثم قال : بالتأكيد .. تفضلي
بالدخول ...

دلفت تريسى الى غرفة جلوس مليئة بأثاث انيق ... وقال لها :

- كنت على وشك أن أمزج لنفسى شرابا .. ماذا تفضلين ؟ ..

- لا شيء ...

فتفرس فيها بفضول قائلا : لاي شيء أردت مقابلتي يا آنسة ؟ ..

- تريسى هويتنى ... أنا ابنة دوريس هويتنى ...

حلق اليها برهة عازب الدهن ، ومالبت أن اكتسى وجهه بوميض
المعرفة ، وقال :

- آه ، نعم .. سمعت عن والدك .. مسألة سيئة ..

- يامستر رومانو .. أن المدعى العام يعتقد أن أمى كانت مدنية

بتهمة النصب والاحتيال ... وأنت تعرف أن هذا غير حقيقى ..

وأريد منك أن تساعدنى فى تبرئة اسمها ...

فهز رومانو كتفيه قائلا : أنا لا أتكلم فى شئون العمل فى أيام

عيد الفصح هذه .. فهذا مخالف لعقيدتى الدينية ..

وتقدم الى « البار » وأخذ يمزج الشراب قائلا : اظن أنك

ستكونين أفضل حالا بعد تناول كأس ..

لم يدع لها مجالا للاختيار .. وهكذا فتمت حقيبة يدها وأخرجت
المسدس وصوبته نحوه قائلة : سأقول لك ما الذى يجعلنى أفضل
بامستر روماتو ... وهو أن أجعلك تعترف بما فعلته بالضبط
مع أمى ..

استدار روماتو ورأى المسدس ، فقال لها : خير لك يامس هويتنى
أن تبعدى هذا .. فقد ينطلق ...

— أنه سينطلق إذا لم تفعل تماما ما أقوله لك .. عليك أن تكتب
اعترافا كيف جردت المصنع من مشتملاته وكيف أدبت به الى الافلاس
ودفعت والدتى الى الانتحار ...

كان الآن يراقبها بحذر ، ومالبث أن قال لها : فهمت — وماذا
إذا رفضت ؟ ..

— اذن سأقتلك ..

قالت هذا وهى تحس بالمسدس يهتز فى يدها .. أما هو فأخذ
بتقدم نحوها والكأس فى يده قائلا : لا يبدو عليك أنك من صنف
القتلة يامس هويتنى ...

وبصوت رقيق صادق أضاف يقول : لم يكن لى أى ضلع فى
وفاة أمك ، وصدقينى إذا قلت ...

وقذف بالشراب فى وجهها ..

شعرت تريسى بلذع الكحول حاميا فى عينيها ، وفى اللحظة التالية
كان المسدس يلقى به من يدها ...

وقال روماتو : أن أمك الخبيثة خدعتنى ... لم تقل لى أن لها
ابنة بهذه الحلاوة ! ..

وأطبق عليها وشل ذراعيها وهى لا تبصر وقد تملكها الفرع ..
وحاولت أن تبعد عنه ، بيد أنه دفع بها الى الحائط وهو يشدد
الضغط عليها ...

وسمعه يقول بصوت غليظ أجش : رايت نيك شجاعة باطفلة ،
وأنا أحب هذا ... أنك جئت الى هنا طلبا للثأرة ، اليس
كذلك ؟ .. حسنا ..

سيمطيك جو كفايتك من الامارة ! ..

حاولت تريسى أن تصرخ ، لكن صوتها لم يزد عن شهقة : دعنى
اذهب ! ...

وإزداد ضغطا عليها الى حد الآذى ، وشعرت بنفسها وهى تلقى

على الأرض ... فاندفعت لتخلص منه على قبر هدى ... ولامست
أصابعها المسدس .. فاخبطته ، وإذا صوت مقدوف نارى ينبعث
عاليا ..

هتف رومانو : أواه !. باللعنة !..
وارتمت قبضته فجأة .. ومن خلال قمامة حمراء لمحته تريسى
مرتاعة وهو يتزاح عنها ويتدحرج على الأرض متشبثا بجنبه :
رميتنى بالمسدس يا فاجرة !.. رميتنى بالمسدس !..
تجمدت تريسى فى مكانها عاجزة عن الحركة .. وشمرت بفثيان
فى معدتها وألم حاد فى عينيها يكاد يعميها .. ومالبثت أن استجمعت
قواها ووقفت على قدميها وأستدارت ، ثم اتجهت الى باب فى
أقصى الغرفة ودفعته ... كان الحمام .. فخطت متطاوحة الى
حوض الوجه وغسلت وجهها وعينيها بالماء البارد الى أن بدأ الألم
يخف وأخذ الابصار يعود اليها .. وتطلعت الى المرأة ... فرأت
عينيها محتقتين زائفتين : رباه ! ... انى قتلت رجلا !..
واسرعت عائدة الى غرفة الجلوس ..

كان رومانو ممددا على الأرض ودماؤه تنزف على السجادة
البيضاء ... ووقفت تريسى فوقه منتقمة الوجه ، وقالت فى
لوحة :

— أنا آسفة .. لم اكن أقصد أن ..
فرد بأنفاس متقطعة : الأسعاف !..
هرعت تريسى الى التليفون فوق المنضدة وأدارت رقما ، وعندما
جاءها الرد عالجت الكلام قائلة : ارسلوا سيارة اسعاف حالا !..
العنوان هو ٤ - ٢١ ميدان جاكسون ! ... هناك رجل أصيب بعمى
نارى ! ..

وأعادت سماعة التليفون وألقت نظرة على رومانو المسجى على
الأرض ، وإذا هى تبتهل فى سرها : أدهوك ياربى الا يموت !.. انت
تعلم اننى لم اكن أقصد قتله !..
وجثت بجانب الجثة لكى تعرف أن كان لا يزال على قيد الحياة ،
فراته مطبق العيين ، ولكنه كان يتنفس .. فقالت :
— سيارة الاسعاف قادمة فى الطريق ..

واسرعت هاربة ...
وقد حاولت الا تجرى خوفا من لفت الانظار .. وجذبت سترتها

حول صدرها لاختفاء ملابسها الممزقة .. وبعد مسافة قصيرة حاولت إيقاف سيارة أجرة .. فمرت بها بضع سيارات بسرعة تحمل أناسا سعداء ضاحكين في جو عيد الفصح .. ثم سمعت على البعد صوت « سرينة » تقترب ، وبعدها بثوان مرقت سيارة اسعاف بجانبها في اتجاه منزل رومانو ... فقالت لنفسها أنها لابد أن تسرع بالابتعاد ... وعند منعطف قريب توقفت سيارة أجرة وأنزلت ركبها ... فركضت تريسى إليها وقالت للسائق : هل أنت مشغول ؟ ..

- الى أين تقصدين ؟ ..

- الى المطار ...

- اركبى ...

وفى الطريق الى المطار فكرت تريسى فى سيارة الاسعاف .. ماذا لو جاء وصولها بعد فوات الاوان ولقى رومانو حتفه ؟ .. ستكون عندئذ قاتلة .. فقد تركت المسدس فى المنزل ، وعليه بصمات اصابعها ... بإمكانها أن تقول للبوليس أن رومانو حاول الاعتداء عليها وأن المسدس انطلق عفوا .. لكنهم لم يصدقوها .. فهى التى اشترت المسدس الذى بقى ملقى على الارض بجانب رومانو .. ترى كم مضى من الوقت ؟ .. نصف ساعة ؟ .. ساعة ؟ .. لا مفر لها من مبارحة نيو اورليانز بأسرع مايمكن ..

وما أن وصلت الى مطار نيو اورليانز الدولى حتى أسرع الى شباك حجز التذاكر المختص وطلبت تذكرة مفردة الى فيلادلفيا .. فأنشئت الموظفة الى الكمبيوتر وقالت لها :

- سيكون هذا فى الرحلة رقم ٣٠٤ .. أنت محظوظة .. يوجد مكان واحد ..

- متى تقوم الطائرة ؟ ..

- بعد ثلث ساعة .. أمامك فرصة للركوب ..

وفىما كانت تريسى تفتح حقيبة يدها شعرت أكثر مما رأت باثنين من رجال البوليس يتقدمان الى جانبيها ، وقال أحدهما : أنت تريسى هويتنى ؟ ..

توقف قلبها عن الخفق برهة ... كان من الغباء أن تنكر ... فردت إيجابا .

- جئنا للقبض عليك ..

وشعرت تريسى بالقيود الحديدية الباردة تطبق على معصمها ..



لاشك أن كل هذا الذى يحدث هو صور تتعاقب بالحركة البطيئة لشخص غيرها ... فقد راحت تريسى تراقب نفسها وهى تؤخذ من المطار مشدودة بالقيود الحديدى الى أحد رجلى البوليس بينما كان المارة يتلفتون محدقين اليها ... وقد دفعوا بها الى داخل سيارة البوليس التى مرقت بسرعة وأنوارها الحمراء تومض وصغيرها يشق الجو ...

وفى مركز البوليس ألقت نفسها بين خليط من المقبوض عليهم بكل أنواع التهم ، واقتادها أحد الشرطيين الى مكتب الرقيب المنوب قائلاً : هذه هى المرأة المدعوة هويتنى ... قبضنا عليها فى المطار وهى تحاول الهروب .

ولما فك قيدها عالجت الكلام قائلة : كان ما حدث شيئاً عارضاً .. اننى لم أقصد قتله .. أراد أن يعتدى على و ... فقاطعها الرقيب بإيجاز : ضعوها فى الحجز .. فقالت مستعطفة : لا .. مهلاً دقيقة واحدة .. لابد لى من الاتصال تليفونيا بشخص معين ... هذا من حقى .. فقال الرقيب متبرماً : أنت تعرفين الاجراءات اذن - كم مرة وضعوك فى الحجز باحطوة ؟ - ولا مرة .. هذه ..

- لك مكالمة واحدة .. ثلاث دقائق .. ماهو رقم التليفون ؟ تذكرت رقم تليفون تشارلز بعد جهد .. فادارة الرقيب وناولها السماعة .. فسمعت الرنين متكرراً .. ولكن لم تجد من يجيب .. وعندئذ تذكرت فجأة أن تشارلز اعتاد أن يرفع سماعة التليفون ليلاً لكيلا يقلقه أحد ، وهكذا تخلت عن السماعة مغلوبة على أمرها . وجاء شرطى بأكمام على ذراعيه وصحبها الى حجرة دونت فيها بياناتها الشخصية وأخلت بصمات أصابعها ، ثم اقتيدت فى مشى وأدخلت فى زنزانة منفردة وأفلق الباب عليها .. وقال لها الشرطى قبل أن يبتعد :

- ستكونين محل التحقيق فى الصباح ..



نصت ساعات الليل ببطيئة متناقلة .. وفى الصباح جرى لها قهوة باردة وخبز يابس عافتهما نفسها ولم تذاق منهما شيئاً ..

وفي الساعة التاسعة صباحا ذهبوا بها الى حجرة التحقيق حيث مثلت امام قاض مسن وقف عن كتب منه وكيل النيابة القصير النحيل ... الآن تستطيع تريسي أن تشرح لشخص مسئول ذي سلطة حقيقية ما حدث ، فراحت تقول وهي تضغط على يديها منعا لارتعاشهما :

- يا صاحب الفخامة .. لم تكن جريمة قتل .. أنا اطلقت عليه النار ، لكن حدث ذلك عفوا .. انني فقط قصدت تخويفه .. انه اراد أن يعتدى على و .

وهنا قاطعها وكيل النيابة قائلا للقاضي : يا صاحب الفخامة .. لا أرى معنى لاضاعة وقت المحكمة .. ان هذه المرأة اقتحمت منزل مستر رومانو وهي مسلحة بمسدس عيار ٣٢ ، وسرقت لوحة فنية لرينوار تساوي نصف مليون دولار ، وعندما داهمها مستر رومانو أثناء ذلك ، اطلقت عليه النار عمدا ، وتركته معتقدة بموته .. شعرت تريسي بالدم يفيض من وجهها ، وقالت : ما هذا ما هذا الذي تقوله ؟ ..

ولكن وكيل النيابة مضى في عرض التهمة قائلا : عندنا المسدس الذي جرحت به مستر رومانو .. وبصماتها موجودة عليه .. ان فان رومانو جرح وما زال على قيد الحياة ! .. فهي اذن لم تقتل احدا ! ..

- ... وبعد ذلك هربت باللوحة .. وربما كانت اللوحة الآن يا صاحب الفخامة بين يدي أحد تجار المسموقات .. ومن اجل هذا تطالب النيابة باعتقال تريسي هويتني بتهمة محاولة القتل والسطو المسلح مع كفالة قدرها نصف مليون دولار للافراج عنها . التفت القاضي الى تريسي التي وقفت مكانها مصعوقة ، وقال لها :

- هل يملك أحد المحامين ؟ .. فهزت تريسي رأسها قائلة : كلا .. أنا .. ان ماقاله هذا الرجل غير صحيح .. انني أبدا لم ..

- هل عندك تقود لتوكيل محام عنك ؟ .. كانت تملك ادخارها في البنك .. وهناك تشارلز .. فردت قائلة :

- أنا .. لا يا صاحب الفخامة .. لكنني لا أفهم ..
- ان المحكمة ستمين محاميا للدفاع عنك .. وقد تقرر ايداعك

السجن ، بكفالة قدرها نصف مليون دولار .. القضية التالية ..
- مهلا ! .. هذا كله خطأ في خطأ .. أنا لم ..
ولم تكذب على وهم يقودونها الى خارج حجرة المحكمة ..



كان المحامي الذي عينته المحكمة يدعى بيرى بوب .. كان ينامز
الاربعين من عمره ، بادی الذكاء ، أزرق العينين ، متعاطف النظرات
حتى لقد مالت اليه تريسي من فورها ...
وقد دخل عليها الزنزاة وجلس على حافة السرير الضيق وقال
بلا مقدمات :

- جميل .. الحقيقة أنك خلقت جوا من الاثارة كسيدة لم يمض
على وجودها في المدينة أكثر من أربع وعشرين ساعة ... لكنك
محظوظة .. لانك لا تحسنين الرماية .. وماحدث ليس أكثر من
جرح في اللحم .. وسيبقى رومانو على قيد الحياة ..

وأخرج غليوننا حشاه تبغا وأشعله ، ثم تفرس فيها قائلا :

- لا يبدو عليك يامس هويتني أنك جانية من النوع الخطر ..

- لست كذلك .. أقسم لك أنني لست كذلك ..

- اقنعيني .. احكى لي ماحدث .. منذ البداية ..

حكى له تريسي كل شيء .. وجلس بيرى بوب يسمع الى القصة
بهدهوء .. ومالبث أن استند بظهره الى حائط الزنزاة وقد شاب
ملامحه مسحة الخطورة ، وقال : ابن اللئام هذا !

فقلت تريسي في أرباك شديد : أنني لا أفهم شيئا مما قالوه .
لا أفهم حكاية اللوحة الفنية ..

- المسألة غاية في البساطة .. أن جو رومانو استخدمك كبش
فداء ، كما استخدم والدك من قبل .. أنك سرت الى الفخ
باختيارك ..

- مازلت لا أفهم ..

- اذن سأشرح لك .. أن رومانو سيطالب شركة التأمين بمبلغ
نصف مليون دولار عن اللوحة الفنية من رسم رينوار التي أخفاها
في مكان ما ، ولسوف يحصل على المبلغ ... ولكن شركة التأمين
ستطاردك أنت ، لا هو .. وبعد أن تهدأ الأمور سوف يبيع اللوحة
الى طرف ثان ويحصل على نصف مليون آخر ، بفضل أقدامك على
المحاولة التي قمت بها .. ألم تدركي أن امترافا تحصلين عليه تحت
تهديد مسدس لا قيمة له ؟ ..

- اظن .. اظن هذا .. لقد خطر لي اننى لو استطعت انتزاع الحقيقة منه ، لأمكن أن ينهض أحد بالتحقيق .

- كيف دخلت منزله ؟ ...

- ضغطت على جرس الباب الامامى .. وادخلنى مستر رومانو نفسه ...

- ليس هذا ماحكاه .. هناك نافذة محطمة فى الجانب الخلفى للمنزل ، حيث يقول أنك اقتحمت البيت عن طريقها .. وقد أخبر الشرطة انه قبض عليك وانت تتسللين خارجة ومعك لوحة رينوار ، وعندما حاول ايقافك ، اطلقت النار عليه وهربت ..

- هذه كذبة ! .. اننى ..

- لكنها كذبتك ، والبيت بيتك ، والسلاح سلاحك .. هل عندك فكرة عمن تتعاملين معه ؟ ..

هزت تريسى رأسها منعقدة اللسان ، فانشأ يقول :

- اذن دعبنى اشرح لك حقائق الحياة يامس هويتنى ... ان هذه المدينة فى قبضة أسرة أورساتى .. وما من شئ يتم فيها دون موافقة أنطونى أورساتى .. اذا اراد أحد الحصول على ترخيص باقامة مبنى ، أو تمهيد طريق ، أو ادارة نواد للقمار ومنتسديات للملاهى أو حتى الاتجار فى المخدرات ، فلا بد له من مقابلة أورساتى ان جو رومانو بدأ العمل معه كحارس شخصى ... وهو الآن الرأس الاكبر فى منظمة أورساتى .. والغريب مع كل هذا أنك اقتحمت بيت رومانو واطلقت مسدسا عليه !! ..

جلست تريسى مكانها مشلولة مرهقة .. وفى النهاية قالت له : هل تصدق قصتى ؟ ..

فابتسم قائلا : كلامك هو الصدق بعينه ..

- ايمكنك أن تساعدنى ؟ ..

فأجاب بتؤدة : سأحاول .. اننى على استعداد لبذل كل جهد لوضعهم جميعا وراء القضبان .. انهم يسيطرون على هذه المدينة بما فيها معظم القضاة ... واذا قدموك الى المحاكمة فسوف يدفنونك فى أعماق لن تبصرى منها ضوء النهار أبدا ...

تطلعت اليه تريسى مبسوطة ، وقلالت : اذا قدمونى الى المحاكمة ؟ ! ...

فنهض بوب قائما واخذ يدرع الزنزانة الضيقة جيئة ولهاها ،

ثم قال : اننى لا أريد أن أوقفك أمام هيئة محلفين ، لانهم سيكونون محلفيه ... هناك قاض واحد فقط لم يستطع أورشاتى قط شراءه - واسمه هنرى لورانس ... وإذا أمكننى ترتيب إحالة القضية إليه ، فانا واثق أنه سيكون فى استطاعتى إجراء تسوية لصالحك ان هذا غير أخلاقى بالمعنى الدقيق ، لكننى سأتكلم معه بصفة شخصية ... انه يكره أورشاتى ورومانو بقدر كراهيتى الشديدة لهما ... والآن فان كل ما علينا أن نفعله هو الاتصال بالقضاى لورانس ...

عمل المحامى بيرى بوب على تسهيل اتصال تريسي تليفونيا بتشارلز .. وما أن سمعت صوت سكرتيرته حتى قالت لها :
- هاريت ! .. أنا تريسي هويتنى .. هل ..
- آه .. انه ظل يحاول التوصل اليك يامس هويتنى ، لكننا لم نعرف أى رقم تليفون لك .. ومسر ستانهوب متلهفة جدا لمناقشة ترتيبات الزفاف معك ... فاذا أمكنك الاتصال بها بأقرب وقت ممكن ...

- هاريت ! .. هل يمكن أن اكلم مستر ستانهوب من فضلك ؟
- أنا آسفة يامس هويتنى .. انه سافر الى مدينة هوستون لحضور اجتماع عمل .. واذا أعطيتنى رقم تليفونك فانا متأكدة أنه سيتصل بك بأسرع مايمكن ...

لم يكن هناك من سبيل لكى يستطيع مكالمتها تليفونيا فى السجن ولذا يتيسر هذا الى أن تجد فرصة لكى تشرح له كل شيء أولا ...
- سوف .. سوف اتصل بمستر ستانهوب فيما بعد ..
ووضعت سماعة التليفون متباطئة .. وقالت لنفسها فى اعياء :
قدما .. سأشرح كل شيء لتشارلز ، قدما ..

وفى آخر النهار نقلت تريسي الى زنزانة أوسع .. وجيء لها بعشاء شهى من مطعم معروف ، وبعد فترة قصيرة تلقت أزهارا ناضرة مرفقة ببطاقة فضت غلافها وقرات : « تفاعلى ... سننتصر على أولاد الحرام - بيرى بوب » .

وجاء المحامى لزيارتها فى صباح اليوم التالى .. وما أن لمحت الابتسامة على وجهه حتى عرفت أن وراءها أنباء طيبة .. وقال لها :

- ان الحظ معنا ... اتنى جئت الآن من هند القاضى لورانس
ووكيل النيابة توبر ... ان توبر كان يصرخ مهتاجا ، لكننا اتفقنا
على تسوية ..

- تسوية ؟ ..

- اتنى اخبرت القاضى لورانس بقصتك كلها ... وقد وافق على
قبول اقرار منك بأنك مذنبه ..

راحت تريسى تحقق اليه مرومة ، قائلة : اقرار بأننى مذنبه ؟
لكننى لست ...

فرغ يده قائلا : اسمعنى الى النهاية .. اذا اقررت انك مذنبه
فانك توفرين على الحكومة مصاريف المحاكمة .. اتنى اقنعت القاضى
بانك لم تسرقى اللوحة الفنية ... انه يعرف من هو جو رومانو ،
وقد صدقنى ...

فقلت تريسى بتؤدة : لكن - اذا اقررت بأننى مذنبه ، فماذا
سيفعلون معى ؟ ...

- فى هذه الحالة سيحكم عليك القاضى لورانس بالحبس ثلاثة
شهور من ...

- الحبس ؟!

- مهلا .. سيكون الحكم مع وقف التنفيذ ..

- لكن فى هذه الحالة ، ستكون لى سابقة ...

تنهد بيرى بوب وراح يقول : انهم اذا قدموك الى المحاكمة بتهمة
السطو المسلح ومحاولة القتل اثناء ارتكاب هذه الجريمة ، فيمكن
ان يصدر الحكم عليك بالسجن لمدة عشر سنوات ...

- عشر سنوات فى السجن ؟!

جعل بيرى بوب يراقبها مصابرا ، ثم قال : القرار لك .. وليس
فى وسعى الا ان ازودك بأفضل نصيحة عندى .. انها لمعجزة اذ
امكننى ان افوز لك بهذا .. وهم يريدون الآن ردك .. لست مجبرة
على قبول هذه التسوية ... ويمكنك ان تطلبى محاميا غيرى و ..
- كلا ...

لقد عرفت ان هذا رجل شريف ... وفى هذه الظروف الماثلة ،
وبالنظر الى تصرفها المتهور ، فقد فعل كل ما هو ممكن من اجلها ..
ليتها كانت فقط تستطيع مكالة تشارلز .. لكنهم يريدون ردها

الآن ... واغلب الظن انها محفوظة للافلات من هذه الملة بالنجس
ثلاثة شهور مع وقف التنفيذ ...

قالت تريسى وهى تنتزع الكلمات انتزاعا : ساقبل ... ساقبل
التسوية ...

فاوما قائلا : فتاة عاقلة ...



لم يسمح لها باجراء أى اتصال تليفونى قبل اعادتها الى قاعة
المحكمة ... وفى هذه القاعة وقف ايد توبر وكيل النيابة عن جانب
منها ووقف المحامى بيرى بوب عن الجانب الآخر ... وجلس الى
المنصة رجل مهيب فى الخمسينات من عمره ناعم الوجه غزير الشعر
مصغفه ... وقال هذا القاضى لورانس مخاطبا تريسى :

- لقد ابلغت المحكمة بأن المتهمة ترغب فى تغيير أقوالها من عدم
الاعتراف بأنها مدنية الى الاقرار بأنها مدنية .. هل هذا صحيح ؟

- نعم يا صاحب الفخامة ...

- وهل توافق جميع الاطراف ؟

فاوما بيرى بوب قائلا : نعم يا صاحب الفخامة ...

وقال وكيل النيابة : والحكومة موافقة يا صاحب الفخامة ..

جلس القاضى لورانس مكانه صامتا برهة طويلة .. وما لبث ان
مال الى الامام ونظر فى عيني تريسى قائلا :

- ان أحد الاسباب لوجود بلادنا العظيمة هذه فى حالة تدعو الى

الاسف هو أن الشوارع تعيث فيها حشرات آدمية ممن يظنون انهم

يستطيعون الافلات بأى شئ ، والضحك على القانون ... كما ان

بعض الانظمة القضائية فى هذه البلاد تدال المجرمين .. حسنا ..

اكننا هنا فى لوبزيانا لا نؤمن بهذا .. واذا حاول شخص اثناء

محاولة السرقة ارتكاب جريمة القتل عامدا ، فيقينا هو أن هذا

الشخص يجب عقابه العقاب الحق ...

بدات تريسى تحس ببوارد الفرع ... فتلفتت تنظر الى بيرى

بوب ، فكانت عيناه مركزتين على القاضى الذى استطرد يقول :

- لقد أقرت المتهمة بأنها حاولت قتل واحد من المواطنين البارزين

فى هذه المدينة - وهو رجل اشتهر بحبه للخير والاعمال الطيبة -

لقد اطلقت المتهمة النار عليه بينما كانت تسرق قطعة فنية تساوي

نصف مليون دولار ...

ثم تزايد صوته صرامة وهو يمضي قائلا : حسنا ... ان هذه المحكمة ستعمل على الا تملك من التمتع بهذا المال ، ليس خلال السنوات الخمس عشرة القادمة - لانه في خلال السنوات الخمس عشرة القادمة سوف تكونين سجين في سجن النساء بولاية لويزيانا ...

شعرت تريسى بقاعة المحكمة تدور من حولها ... لاشك ان هذه مزجة فظيعة تمثل امامها ، وان القاضي هو ممثل يقوم بدوره فيها ولكنه ينطق بكلمات دخيلة على الدور .. فتلفتت لكى تقول هذا للمحامى بى بوب ، بيد انه كان مشيحا بنظرة ، منهمكا فى دس اوراق فى حقيبته ... واما القاضي لورانس فقد نهض واخذ يجمع مذكراته .. وهكذا وقفت تريسى مكانها مشلولة ، عاجزة عن فهم ما يحدث لها ...

ثم تقدم حارس الى تريسى واخذ ذراعها قائلا : تعالى بنا .. وعندئذ هتفت تريسى : لا .. لا .. هناك خطأ فظيع يا صاحب الفخامة .. انى ..

وعندما شعرت بقبضة الحارس تشدد على ذراعها ، أدركت انه لا خطأ هناك ... فقد خدعوها .. وهم الآن بسبيلهم الى تدميرها ...

تماما كما دمروا امها من قبل ...

الفصل الرابع

نشرت جريمة تريسى هويتنى والحكم الصادر عليها فى الصفحة الاولى فى جريدة نيو اورليانز كورير ، مصحوبة بصورتها ... والتقطت وكالات الانباء القصة وابرقت بها الى الصحف فى ارجاء البلاد ... وعندما نقلت تريسى من قاعة المحكمة انتظارا لترحيلها الى سجن النساء ، حاصرتها كاميرات التليفزيون من كل جانب حتى حجبت وجهها مدلة ، لكن لم يكن لها مهرب من الكاميرات .. ان جو رومانو كان محطاً ضخماً للاخبار ، وكانت محاولة قتله على يد فتاة جميلة مناطا للاخبار اضخم ... وبدأ لتريسى كأنها احيطت بالاعداء من كل جانب ، فراحت تبتهل الى الله ان يعمل تشارلز على

نحدثها ، حتى لا يكتب عليها أن تضع الجنين الذي حملت به منه
فى غياهب السجن ...

ولم يسمح لها باستعمال التليفون الا فى عصر اليوم التالى ،
ولما تم الاتصال بمكتب ستانهوب هتفت تريسي قائلة للسكرتيرة :
- هاربيت ... انا تريسي هويتنى ... اود مكالمه مسستر
ستانهوب ! ..

وبعد انتظار طويل ثقيل سمعت فى النهاية صوت تشارلز :
- تريسي ! .. هذا انت ؟ ..

- نعم يا حبيبى ... اواه ياتشارلز .. حاولت مرارا الاتصال !
- اننى كدت اجن ياتريسي ! .. ان الجرائد هنا مملوءة بقصص
ضيفة عنك ! .. لا يمكن ان اصدق مايقولونه ! ..
- لا شيء منه حقيقى يا حبيبى ! .. لا شيء ! .. اننى .
- واين انت الان ؟ ..

- انا .. انا تحت الحجز فى نيواورليانز .. تشارلز ! .. انهم
سيرسلوننى الى السجن عن شيء لم افعله ...
قالت هذا ودموعها تجرى برغمها .. فسمعتة يقول :
- اسمعيني .. الجرائد تقول انك اطلقت النار على رجل ..
هل هذا حقيقى ؟ ..
- اننى اطلقت النار عليه فعلا ، لكن ...

- اذن فهو حقيقى ..
- ليس كما يبدو يا حبيبى ... ليس كهذا بالمره .. بإمكانى ان
اشرح لك كل شيء .. انا ..

- تريسي .. هل اقررت بمحاولة القتل وسرقة لوحة فنية ؟
- نعم ياتشارلز ... لكن فقط لان ..

- يا الهى ! .. لو كنت فى حاجة الى مال الى هذه الدرجة ، لكان
عليك مناقشة هذه المسألة معى ! ... ثم محاولة قتل انسان ! ..
لا يمكن ان اصدق هذا ! .. ولا يمكن ان يصدقه والدى ووالدتى ! ..
ان قصتك هى العنوان الرئيسى فى جريدة فيلادلفيا دايلى نيوز ! ..
هذه اول مرة تهب رائحة فضيحة على أسرة ستانهوب ! ..

كان التجلد المرير البادى فى صوت تشارلز هو الذى اشعر

تربسي بعمق مشاعره ... انها كانت تقول عليه في استماتة
بالغة ، فاذا هو يقف على الجانب الآخر ، جانب أعدائها ! .. لقد
ثابتت نفسها لكيلا تصرخ وهي تقول : حبيبي ... أنا محتاجة
إليك ... أتوسل إليك أن تحضر الى هنا ! ... بإمكانك أن تعمل
شئ تسوية كل هذا ! ..

ساد صمت طويل ، راح بعده يقول : لا يبدو أنه يمكن تسوية
أى شئ ... ليس بعد اعترافك بأنك فعلت كل هذه الأشياء ...
إن الأسرة لا يمكنها أن تسمح بتورطها فى شئ كهذا ... مؤكدا أنك
ستفهمين هذا .. انه كان صدمة مريعة لنا ! .. الظاهر أننى لم
أعرفك تماما ! ...

كانت كل كلمة كضربة مطرقة .. ان الدنيا تتهاوى فوق رأسها
أقد شعرت بوحدة لم تشعر بمثلها فى حياتها .. وليس أمامها الآن
من أحد يمكن أن تلجأ اليه ...
- وماذا .. ماذا عن طفلنا ؟ ..

فرد تشارلز قائلا : عليك أن تفعلى بطفلك ماترينه افضل ...
أنا آسف ياتربسي ..

وانقطع الاتصال التليفونى ...
جمدت تربسي ممسكة بسماعة التليفون الخاملة ... وعندما
أعيدت الى زنزانها جاءت مشرفة تقول لها : استعدى للرحلة فى
الخمسة صباحا ..



جاءها زائر ... لقد بدأ لها أوتوشميدت وكيل مصنع أمهسا
اسمابق وقد شاخ فى خلال الساعات القلائل الماضية منذ أن رآته
فى المرة الأخيرة ، ولاحت عليه علائم المرض ...

قال لها : جئت لكى أقول لك كم أنا وزوجتى حزينان .. نحن
نعرف انه مهما يكن ماحدث ، فليس اللئب فيه ذنبك ...
الا ليت تشارلز قال مثل هذا ! ..

- اننى وزوجتى سنشهد جنازة مسز دوريس غدا ..

- شكرا لك يا أوتو ..

« لسوف يدفنوننا نحن الاثنين غدا ، أمى وأنا » ... بهذا جرت

خواطر تريسى وهى فى اشد حالات التعاسة ...

ولقد امضت ليلتها يقظى لم يغمض لها جفن ، ممددة فى فراش الحجز تحديق فى السقف ، مستعيدة فى خيالها حديثها مع تشارلز مرارا وتكرارا ... انه لم يمنحها قط فرصة للشرح والبيان ..

كان عليها ان تفكر فى الجنين الذى حملته فى أحشائها .. لقد سمعت عن نساء وُضعن أطفالهن فى السجن ... لكن تلك القصص كانت بعيدة كل البعد عن حياتها هى الى حد انها كانت تبدو لها وكأنها عن أناس فى كوكب آخر ... أما الآن فذلك حادث لها ، مائل فى شخصها ... لقد قال لها تشارلز : « عليك ان تفعلى بطفلك ماترينه افضل » ... انها لتريد ان تنجب طفلها هذا ... ومع ذلك ناجت نفسها : انهم لن يدعونى احتفظ به .. انهم سيأخذونه منى لاننى سابقي فى السجن مدى الخمس عشرة سنة القادمة ... ومن الخير الا يعرف قط شيئا عن أمه ...

وعند هذا الحد بكت مدرارا ...

وفى الساعة الخامسة صباحا نقلت فى سيارة السجن ذات النوافذ المشبكة بالقضبان مع لفيف من النساء تحت حراسة جنديين مسلحين .. لقد راحت تتصفح وجوههن غير شاعرة بجو السيارة الفاسد الهواء ... منهن من كانت تبدو عليها علائم التحدى والحرى ، ومنهن من كانت حليفة السامة والملل ، وأخريات كانت سمات البأس والقنوط مرتسمة فى قسمات وجوههن ... ان الحياة التى عشتها توشك ان تبلغ نهايتها ... كن منبذات . مسوقات الى اقفاص سوف توصل عليهن مثل حيوانات ... لم تتمالك تريسى ان تساءلت فى نفسها : اية جرائم اقترفتها ، وهل بينهن من كانت بريئة مثلها ؟ ... وياترى ماذا يرين فى وجهها هى ؟ ...

ولم تفق تريسى من تأملاتها المريرة الا حين توقفت السيارة عند مدخل السجن الكالح المرهوب ... تسع سياجات تعلوها الاسلاك الشائكة تحيط بخمسمائة فدان من الارض الزراعية والغابات كانت هى حدود سجن النساء فى ولاية لويزيانا ..

كانت هذه هى الطوالع ... أما السجن ذاته فهو الجحيم لاراد عنه ولا دافع من دونه ...

الفصل الخامس

وقفت مشرفة بدينة متحجرة السحنة فى مواجهة السجينات الجدد قائلة : ان بعضا منكن سوف يبقين هنا مدة طويلة ، طويلة .. ولا توجد غير طريقة واحدة لقضاء المدة ، وهى نسيان كل ما يتصل بالعالم الخارجى ... ولكن ان تمضين المدة بالطريقة السهلة او بالطريقة الصعبة ... عندنا هنا نظم ولوائح ، وسوف تتبعنها .. سنقول لكم متى تستيقظن ، ومتى تشتغلن ، ومتى تأكلن ، ومتى تذهبن الى دورة المياه .. ومن تتجرا منكن على مخالفة نظمنا ولوائحنا ، سوف تمنى لو كانت فى عداد الاموات ... اننا نحب ان يسود السلام هنا ، ونحن نعرف كيف نتصرف مع اهل الشغب والمتاعب ...

ثم انتقلت بعينها الى تريسى واستمرت قائلة : سوف تتوجهن الآن الى الكشف البدنى ... وبعده تذهبن الى صالة « الدش » ثم توجه كل منكن الى الزنزانة المحددة لها مع زميلاتها ... وفى انصباح تتلقين اوامر الشغل لكل منكن ... هذا كل ما هناك ... وأشارت المشرفة الى امرأتين من الحارسات وقفتا فى الخلف واردفت : اذهبا بهؤلاء الساقطات من هنا ! ...

لقد روعت تريسى بما سمعت ورات ، ولكنها ألفت نفسها تقاد مع الاخريات الى خارج الحجرة فى ممشى طويل أفضى الى قاعة فسيحة وقف بها طبيب بدين فى منتصف العمر الى مسائدة الكشف ، حيث أوقفت السجينات صفا وأجرى الكشف عليهن عاريات للتأكد من خلوهن من الامراض الخبيثة ، حتى شعرت تريسى بان الموت أهون عندها من هذا الامتحان لكرامة الانسان ، وكان اقصى ما سمعته هو التحذير من اخفاء مواد مخدرة فى اجسامهن ...

وبعد هذه المحنة كان حمام « الدش » المكشوف ، ثم الانتقال الى منبر ملابس السجن حيث زودت كل واحدة منهن بكسوتين وحدائين وجلبابين للنوم وفرشاة للشعر وكيس للملابس ... وكان الختام فى قاعة اخرى اخذت فيها صورة للوجه وبصمات الاصابع

وعندها قالت تريسى لنفسها بحرارة : انا انتهيت فعلا ... أصبحت مجرد رقم ، بلا اسم ، ولا كنية ! ..

على أنها سمعت حارسا يشير اليها قائلا : هويتنى ؟ ... مدير السجن يريد أن يراك .. اتبعينى ..

شعرت تريسى فجأة بقلبها يحلق فى السماء ... هاهو ذا تشارلز قد فعل شيئا آخر الامر ! .. بالطبع هو لم يتخل عنها ، مثلما هي لم تفكر قط فى التخلي عنه ! .. وما تصرف بذلك الاسلوب الا بسبب الصدمة المفاجئة ! .. ثم اتسع له الوقت لكى يتدبر الموقف ولكى يدرك انه مازال يحبها ! .. ولاشك انه قد اتصل بمدير السجن وشرح له الخطأ الفظيع الذى حدث ! .. ولسوف يطلقون سراحها ! ...

ويسير بها فى ممشى مختلف ، بين ابواب كثيفة القضبان يقوم عليها حراس من رجال ونساء ... وما أن وصلت تريسى الى مكتب مدير السجن حتى كانت على وشك الاغماء من فرط التشوف والترقب ... هل سيكون تشارلز موجودا ؟ .. أم لعله ارسل محاميه ؟ ...

وقد اوما سكرتير مدير السجن الى الحارس قائلا : انه ينتظرها انتظرات هنا ..

كان جورج برانيجان مدير السجن جالسا الى مكتب مخدوش يتفحص بعض أوراق امامه ... وكان رجلا نحिला فى حوالى الأربعين من عمره بادهى التوتر والحساسية ، قائر العينين الزرقاوين لقد تقلد زمام العمل فى سجن النساء هذا منذ خمس سنوات وكان عند وصوله مشبعا بالمبادئ المثالية ، معتزما تطبيق نظم اصلاحية جذرية فى السجن ... ولكن سرعان ما هزم امام الواقع ، كما هزم كثيرون قبله ...

كان السجن مقاما أصلا لايواء نزيلتين فى الزنزانة الواحدة ، اما الآن فان كل زنزانة أصبحت تضم من أربع الى ست سجينات . وكان يعلم ان هذا الوضع ينطبق فى كل السجون الامريكية التى أصبحت مكتظة بنزلائها من الوف المجرمين الذين لم يكن لهم عمل ولا شاغل سوى اجترار احقادهم وتدبير خطط الانتقام ...

ومهما يكن فقد فتح الباب ودخلت تريسى ... فرفع برانيجان راسه وتطلع الى المرأة التى امامه .. وعلى الرغم من زى السجن الذى لبسته تريسى وعلائم الضنى على وجهها ، فمازالت تبدو

جميلة ... رأى المدير أمامه محيا فاتنا تطبعه البراءة والاخلاص ،
حتى لقد تساءل فى نفسه الى متى يمكن أن تدوم بهذه الصورة ..
ثم انه اهتم بهذه السجينة بصفة خاصة لانه قرا قضيتها فى
الصحف ودرس ملفها .. كانت مذبنة لأول مرة ، ولم تقتل احدا ،
وكان الحكم بسجنها خمس عشرة سنة قاسيا بصورة غير عادية ..
كما أن حقيقة كون جو رومانو هو صاحب دعوى الاتهام ، قد
جعلت هذا الحكم أكثر مدعاة للتشكك ... لكن مدير السجن كان
ببساطة موكلا بحراسة الابدان ، وتطبيق القوانين ! ...

قال لها : تفضلى بالجلوس ..
سرت تريسى بالجلوس ، فقد كانت متخاذلة الركبتين ...
ولسوف يحدثها عن تشارلز ، ومن موعد الافراج عنها بأسرع
وقت ...

بدأ المدير كلامه بقوله : اننى اطلعت على ملفك ... ورأيت أنك
ستبقين معنا مدة طويلة .. خمس عشرة سنة مدة الحكم ..
لبيت تريسى برهة قبل أن تستقر كلماته فى وعيها ... هناك
خطأ مخيف ولا شك ... وقالت متلعثمة : ألم ... ألم تتكلم مع
مع تشارلز ؟ ..

فنظر اليها عازب الذهن قائلا : تشارلز ؟ ..
عندئذ عرفت الواقع ... فذابت أحشاؤها وهى تقول :
بالله ! ... بالله ألا ما انصت الى ؟ ... أنا بريئة ! . أنا لا أنتمى
الى هذا المكان ! ..

كم من مرة سمع المدير هذا الكلام ! .. مائة مرة ؟ ... ألف
مرة ؟ .. دائما « أنا بريئة » ! ...

قال لها : ان المحاكم قررت أنك مذبنة ... وافضل نصيحة
اقولها لك هى أن تحاولى مواجهة الموقف بيسر وسهولة .. ومتى
تقبلت شروط وواجبات سجنك ، فسيكون كل شيء سهلا هينا ..
لبس فى السجن ساعات ، بل تقاويم سنوية فقط ..

راحت تريسى تناجى نفسها فى يأس وقنوط : لا يمكننى أن
أبقى حبيسة هنا خمس عشرة سنة ! ... أريد أن أموت ! ...
أمتنى يارب ! ... لكن لا يمكن أن أموت ، والا قتلت طفلى ! ..
انه طفلك أنت ايضا يا تشارلز ! ... لماذا لم تجيء الى هنا
لمساعدتى ؟ ...

وفى هذه الآونة فقط ، بدأت كراهيتها لتشارلز ...

ثم عاد مدير السجن يقول : اذا كانت عندك مشاكل خاصة .
اقصد اذا كان بوسعى مساعدتك بأى طريقة ، فأريد منك أن تطلبى
مقابلتى ...

وكان فى قرارة نفسه يشعر وهو يقول هذا الكلام انه كلام
اجوف ... فهى غضة الشباب ، موفورة الحسنى .. ولسوف تكون
فريسة للدُّبَّات السجن من السجينات المسترجلات .. وليس فى
السجن زنزانة واحدة مأمونة يمكن أن يودعها بها ، فكل زنزانة
تسيطر عليها واحدة من الدُّبَّات ... لقد سمع المدير عن اعتداءات
كثيرة تجرى فى أرجاء السجن ، ولكنها لم تتجاوز حد الشائعات ،
لان الضحايا كن يلزمن الصمت دائما ... او يلقين حتفهن !
وأخيرا قال برانيجان برقة : اذا كنت حسنة السير والسلوك ،
فقد يفرج عنك بعد اثنتى عشرة أو ...

— كلا ! ..

لقد أطلقتها تريسى صيحة يأس مطبق ... لقد شعرت بجدران
المكتب تطبق عليها .. وانتفضت على قدميها صارخة ... فخف
الحارس اليها وأمسك بذراعيها ... فأمره برانيجان قائلا : على
مهلك ! ..

وجلس مدير السجن مكانه مغلوبا على أمره ، يراقب تريسى وهم
ياخذونها من المكتب ..
وسير بها فى سلسلة من الأروقة مارة بزنزانات مليئة بنزيلات
من جميع الأوصاف ... منهن السوداء والبيضاء ، والسمراوات
والصفراوات ... وكن يحدقن اليها وهى تمر وينادين عليها
بعشرات اللهجات نداءات كلها تلميحات وغمزات لا تخلو من السفه
والفحش ...

الفصل السادس

كان استدعاء تريسى الى مكتب مدير السجن هو أملها الواهى
الوحيد ... اما الآن فلم يبق شيء ... لاشيء سوى التوقيع
الرهبى للبقاء أسيرة هذا « المطهر » على مدار خمس عشرة
سنة ...

وهنسد باب الزنزانة فى عنبر رقم ٣ الذى يضم سستين

امراة لكل زنزانة اربع سجينات - فتحت المشرقة الباب وقالت لها :
ادخلي ! ...

ادارت تريسى عينيها فيما حولها ، فاذا الزنزانة تضم ثلاث
نساء ، جعلن مراقبتها فى صمت ، بينما اغلق الباب من
خلفها ...

كانت الزنزانة الضيقة لا تكاد تتسع لاربع أسرة ، وطاولة صغيرة
فوقها مرآة مشققة ، واربعة صناديق صغيرة ، ومرحاض بلا مقعد
فى الركن القصى ...

كانت نزيلات الزنزانة امراة من بورتوريكو ، واخرى مكسيكية ،
والثالثة زنجة طويلة كالمارد ، نفاذة العينين ، حلقة الرأس ، وهى
التي قالت لها وهى تتفرس فيها بنظرات غريبة : سبرك هناك
فى الركن ...

تقدمت تريسى الى السرير ، فافزعته « المرتبة » التى كانت
عليه لفرط قذارته وبشاعتها ، حتى لم تتمالك أن هتفت :

- من ... من يمكن أن اكلمه للحصول على « مرتبة » نظيفة ؟ ..

فردت عليها الزنجة الماردة قائلة : ارضى بحظك يا طفلى ...

احرفك بنفسى ... اسمى ارنستين ... وهذه لولا ... وهذه
بوليتا . عرفينا بنفسك ..

- اسمى .. اسمى تريسى هويتنى ..

- ومن أين جئت يا حطوة ؟ ..

- انا آسفة .. انا .. انا لا اشعر برغبة فى الكلام ..

والواقع انها شعرت فجأة بضعف بالغ لا تقوى معه على الوقوف ،

فارتمت على حافة الفراش القذر وراحت تمسح العرق البارد على

وجهها بطرف رداثها وهى تناجى نفسها : طفلى ... كان يجب أن

اخبار مدير السجن اننى ساضع طفلا ... وعندئذ ينقلنى الى زنزانة

انظف ... بل ربما سمحوا لى بأن اكون فى زنزانة وحدى ...

ولما زاد بها الاعياء تمددت فوق الفراش فى شبه غيبوبة ، فلم

تفقد الا على رنين جرس مدو متصل ، وصوت ارنستين يقول :

موعد العشاء ...

فتحت تريسى عينيها ... فسمعت اصوات ابواب الزنزانات

تفتح فى ارجاء العنبر ... وسيقت مع زميلاتهن الثلاث ومع سائر

النزيلات الى المطعم فى صف مزدوج .. كان المطعم اقرب الى ساحه

مترامية الاطراف قامت فيه موائد ومقاعد خشبية ، وفى جانب منه منضدة مستطيلة تعلوها الاوانى الباخرة تتلقى منها السجينات حصتهن من الطعام واحدة وراء الاخرى فى صحاف من معدن رخيص ...

ولما جلست تريسى الى مائدة حفت بها عشرون سجينة ووقع نظرها على الطعام عافته وازورت عنه ، وعندئذ قالت لها المدعوة لولا : اذا ضبطوك وانت لا تأكلين ، فسينقلونك الى « البدروم » ، وما ادراك ما البدروم ؟! هو حفرة تحت الارض ، تكونين فيها بمفردك ! ...

ثم اردفت بلهجة لم تفهم تريسى مدلولها الا فيما بعد : هذه اول مرة لك هنا ؟ .. حسنا .. سأتحفك بنصيحة تفيدك .. ان زميلتنا ارنستين لها نفوذ كبير هنا .. فكونى لطيفة معها ، لكى تضعك تحت حمايتها ... وستنضم الينا فى الزنزانة ... انتهى طعام العشاء بعد نصف ساعة حيث كانت الساعة الرابعة وبقيت خمس ساعات طوال قبل ان تطفأ الانوار ...

وعندما عادت تريسى الى الزنزانة كانت ارنستين موجودة بها فعلا ، وقد بادرتها قائلة : فهمت انك لم تأكلى طعامك ... هذه غباوة ..

كيف عرفت هذا ؟ .. وماذا يهمها منه ؟

ثم اقتربت من تريسى واردفدت قائلة : توجد هنا أشياء كثيرة يمكن أن تعرضك للمتاعب ، وهم هنا قساة لا يعرفون الرحمة ... أنت فى حاجة الى « صاحبة » يمكنها ابعادك عن المتاعب .. وابتسمت الزنجية الماردة ابتسامة كشفت عن سن ذهبية ، وعادت تقول بصوت ناعم .. صاحبة تعرف كل أسرار حديقة الحيوانات هذه ! ...

وفى التاسعة الا الربع دوى جرس التنبيه فى أرجاء السجن .. فدأت زميلات تريسى فى نزع ملابسهن ... اما هى فلم تتحرك .. فقالت لها المدعوة لولا : امامك ربع ساعة لكى تستعدى للنوم ... لقد تجردت السجينات الثلاث ولبسن جلابيب النوم ، الا تريسى التى بقيت ممددة فى فراشها .. وعندما رأتها المشرفة فى طوافها أمرتها فى شراسة أن تحذو حذو زميلاتهما والا لقيت ماتكره ، ومضت

في طوائفها .. وازاء تحذير المدعوة بوليتا لها من شر هذه المشرفة تنهضت
تريسي متباطئة وأخذت تخلع ملابسها مديرة ظهرها لزميلاتهما ،
ثم ادخلت رأسها في جلباب النوم وهي تحس بنظرات السجينات
الثلاث لاتفارقها ، حتى قالت المدعوة بوليتا : لك جسم بديع !..
ورددت المدعوة لولا ، مثل هذا القول حتى لقد شعرت تريسي
برعدة تسرى في كيانها ... ولم تلبث أرنستين أن دنت منها قائلة
بصوت أجش منفعل : نحن اصحابك ... اننا سنغنى بك الى آخر
درجة ! ...

فلم تتمالك تريسي أن انشنت بعنف قائلة : دعوني وحدي ! ...
دعوني كلكم .. انا لست ماتظنون ! ..

فضحكت الزنجية قائلة : صبرا باطفتي ... عما قريب ستغيرين
رأبك ، وتصبحين أطوع لنا من البنان ! ..

وتحت جناح الظلام كانت المأساة الكبرى ...

لقد ظلت تريسي ممددة في فراشها يقظي تغالب الاعياء والنوم
ساعات وهي تشعر بزميلاتهما متحفزات للالتقضاض عليها .. فاعتزمت
أن تظل ليلتها ساهرة ... وفي هذا قالت لنفسها : سيطلع النهار
وشيكا ... وفي الصباح سأطلب مقابلة مدير السجن وأخبره عن
الطفل ... وعندئذ سوف ينقلني الى زنزانة أخرى ! ..

وما أن كانت الساعة الثالثة صباحا حتى عجزت عن ابقاء عينيها
مفتوحتين ... وهكذا نامت ..

ثم استيقظت ويد تطبق على فمها ، وايد أخرى تمزق ملابسها
فقاومت ، واستماتت في المقاومة ، وركلت بقدميها ، وعضت
بالنواجذ ، دون جدوى ...

وفي استماتة بالغة افلتت لحظة من ايدى السجينات الثلاث ،
لكن احدهن جذبتها وضربت رأسها بقضبان الباب حتى شعرت
تريسي بالدم يتفجر من أنفها ...

والقيناها على الارض ... وسمرن يديها وقدميها ... فراح
تقاوم بجنون وتحاول الصراخ مستيئة رغم ما كان يكال على
وجهها من لطومات ... وفي النهاية لم تعد تعي شيئا ...

وكان رنين الجرس هو الذي ايقظها ... الفت نفسها ممددة على
ارض الزنزانة الاسمنتية مجردة ، وزميلاتها الثلاث في أسرتهن ...

وعندما مرت المشرفة فى المشى وهى تنادى : « قمن وانشطن »
وقع نظرها على تريسى ممددة على الارض فى بركة من الدماء ووجهها
مهشم واحدى عينيها مورمة مطبقة ... ففتحت الباب ودخلت
قائلة :

ماذا يجرى هنا بحق الشيطان ؟! ..

فتولت ارنستين الزنجية الجواب قائلة : لا بد انها وقعت على
الارض من سريرها ...

فاقتربت المشرفة من تريسى ورفستها بقدمها قائلة : قسومى ،
يا انت ! ...

لقد سمعت تريسى الصوت كانه صادر من مكان سحيق .. بيد
انها كانت عاجزة عن الحركة ، وجسدها يتمزق الما ...

فجذبتها المشرفة من ابطيها فى وضع جلوس ، حتى كاد ان
يغمى على تريسى من شدة الوجع ... وقالت : ماذا جرى ؟!

ومن خلال عين واحدة لمحت تريسى اشكال زميلاتها المشوشة ،
ينتظرن صامتات ردها .. فهمت ان تتكلم ، ولكن الكلمات لم
تخرج من حلقها ... ولما كررت المحاولة تغلبت عليها غريزة خفيه
جعلتها تقول : سقطت من السرير ..

فردت المشرفة بغلظة : اننى اكسره الميومة ! .. لننقلك الى
« الحفرة » حتى تتعلمى الادب ! ..

ولما افاقت تريسى الفت نفسها وحيدة فى ظلام حالك .. ولم
يكن حولها اى اثاث فى « البدروم » الضيق سوى « مرتبة »
بالية على ارض الاسمنت الباردة ، وعن كذب حفرة ضيقة هى
المرحاض ...

لم تدر على وجه اليقين اين هى ... ما كان هذا ليهما ، وانما
اهمها ذلك الالم المبرح الوحشى فى جسدها .. « لا بد اننى وقعت
من السرير واذيت نفسى » ... دارت هذه الكلمات فى خاطرها
قبل ان يغلبها النوم مرة اخرى ...

نامت تريسى ثمانيا واربعين ساعة ، فاذا حدة الالم المبرح قد
بدات تخف ... ولما فتحت عينيها الفت نفسها فى عدم وخواء ...
كان الظلام كثيفا الى حد انها لم تستطع ان تتبين شكل الزنزانة
التحت ارضية ... ومالبثت الذكريات ان بدات تغمرها ... انهم

حملوها الى الطبيب ، وتذكرت صوته وهو يقول : ... ضلع مكسور
ورسغ مرضوض ... سنقوم بجبرهما ... ان الجروح والرضوض
سيئة ، لكنها ستشفى .. انها فقدت طفلها ..
همست تريسى لنفسها : اواه ! .. طفلى ! ... لقد قتلوا
طفلى ! .

ثم بكت .. بكت فقد طفلها .. وبكت نفسها ... بكت الدنيا
الشيعة بأسرها ..

لقد رقدت تريسى على المرتبة النحيلة فى الظلام البارد ، وفاضت
نفسها بكراهية عارمة هزت جسدها هذا .. وقد اضطربت أفكارها
إلى اضطرام الى حد ان عقلها خلا من كل عاطفة الا شيئا واحدا :
الانتقام ! ..

لم يكن هذا الانتقام موجها الى زميلاتها فى الزنزانة اللاتى اعتدين
عليها هذا الاعتداء الوحشى ... فهن ضحايا مثلها .. كلا ..
انما كانت ضالتها هم الرجال الذين أوصلوها الى هذا .. الذين
دمروا حياتها .

جو رومانو الذى قال : « ان أمك الخبيثة خدعتنى .. لم تقل
لى ان لها ابنة بهذه الحلاوة » ...

وانطونى أورساتى الذى قال عنه المحامى : « ان جو رومانو يعمل
لحساب رجل يدعى انطونى أورساتى ... ان أورساتى يسيطر
على مدينة نيو أورليانز » .

والمحامى بيرى بوب الذى قال لها : « اذا اقررت أنك مذنبه ،
فانك ستوفرين على الحكومة مصاريف القضية » ...

والقاضى هنرى لورانس الذى قال وهو ينطق بالحكم : « .. فى
خلال السنوات الخمس عشرة القادمة ستكونين سجينه فى سجن
النساء بولاية لويزيانا » ...

هؤلاء هم أعداؤها ... ثم هناك أيضا تشارلز ستانهورب ، ذلك
الذى لم يترث حتى للاستماع اليها ، وراح يقول : « .. لو كنت
بحاجة الى المال الى هذه الدرجة ، لكان عليك مناقشة هذه المسألة
معى ... الظاهر اننى لم أعرفك تماما ... عليك ان تفعلنى بطفلك
مات منه أفضل » ...

الا انها ستجعلهم يدفعون الثمن ... كل واحد منهم ! .. لكن
له تكن لديها أية فكرة عن كيفية تحقيق هذا العزم .. لكن لابد
من الانتقام .. وقالت لنفسها : غدا ... اذا جاء الغد ...

الفصل السابع

فقد المزمع معناه ، فلم يكن ثمة بصيص من النور في « الحفرة »
التحت ارضية ، ولم يعد هناك فرق بين الليل والنهار ، وهكذا لم
تدر تريسى كم لبثت في هذا الحبس الانفرادى .. وبين حين وحين
كان يدفع اليها بطعام بارد من خلال ثقب أسفل الباب .. لم تكن
لها شهية ، بيد أنها تحاملت على نفسها لتناول كل لقمة ، ففسد
ادركت أنها تحتاج الآن الى كل ذرة من القوة لكي تعينها على تحقيق
ما اعتزمته ...

كانت في موقف يعده كل انسان آخر ميثوسا منه ، فقد قضى
عليها بالسجن خمسة عشر عاما ، وهي بلا مال ، ولا اصدقاء ،
ولا موارد من أى نوع ... غير أنها كانت تملك معينا فياضا من
القوة والعزم ، جياشا في أعماقها ، حتى قالت لنفسها : « سأتعلى
بالحياة ... سأواجه أعدائي مجردة ، لكن شجاعتي هي درعي » ..
لسوف تبقى على قيد الحياة كما بقي أجدادها الاولون ... لقد
اختلفت في شرايينها دماء انجليزية وايرلندية واسكتلندية ، وقد
ورثت عنهم أنقى صفاتهم وأصفى سجايهم : الذكاء ، والشجاعة ،
والإرادة ... ناجت نفسها مرة أخرى : « ان أجدادى وأسلافى
قارموا ونجوا من المجاعات والطواعين والطوفانات ، ولسوف أنجو
وأعيش مثلهم رغم هذا الكرب الذى حاق بى » ... لقد أحست
أنهم معها الآن في هذا القبر : الرعاة وقناصو الوحوش ، المزارعون
وأرباب التجارة ، الاطباء والمدرسون ! ... ان اشباح الماضى وكل
واحد من هؤلاء قد حلوا جميعا في كيائها ، فأقسمت ألا تخيب
ظنونهم فيها ... ومن ثم بدأت تفكر في اعداد خطط الهرب ...
والانتقام من أعدائها ...

بعد سبعة أيام أعيدت تريسى الى زنزانتها المشتركة ...
كانت هذه العودة أنسى شيء عندها ... فما أن وطئت أرضها
حتى تملكها الفزع من ذكرى ما استهدفت له في تلك الليلة المشئومة
... وكانت زميلاتها غائبات عن الزنزانة في العمل .. فمددت

فوق السرير تحديق في السقف وهي تفكر في خطط الهرب والانتقام
مثنى وثلاث ورباع حتى لا تترك ثغرة للفشل ... وفي النهاية
مدت يدها الى قاع السرير وانتزعت منه قطعة معدنية وضعتها
تحت المرتبة ... ولما حانت الساعة الحادية عشرة دق جرس
الفداء ، فكانت تريسى اول الصف فى المشى ...

وفى المطعم الكبير ابصرت المرأتين بوليتا ولولا جالستين الى مائدة
قرب الباب ، ولكنها لم تجد اثرا للزنجية ارنستين .. فاختارت
مائدة حولها سجينات غريبات عنها ، رالتهمت طعامها عن آخره ،
ثم انكفات عائدة الى الزنزانة المشتركة وظلت وحدها حتى الساعة
الثالثة الا الربع ، عندما عادت زميلاتها ...

وعندما رأتها بوليتا تولتها الدهشة وابتسمت قائلة : اذن فقد
هدت الينا ، يا قطة ، يا حلوة ! .. هل انبسطت مما فعلناه معك ؟
وقالت لولا : جميل ... عندنا لك الكثير ! ..

لم تبد تريسى دلالة على انها سمعت غمزاتهما الجارحة ... فقد
كان مايعنيها هو المرأة الزنجية ارنستين ... انها لم تكن تثق بها
مقال ذرة ، لكنها كانت بحاجة اليها ... او لم يقل لها احدهما ان
ارنستين لها نفوذ كبير هنا ؟ ..

وفى هذه الليلة تمددت تريسى فى الفراش بعد الاظلام ولبثت
تنصت الى انفاس زميلاتها ... وعبر الزنزانة سمعت بوليتا تهمس
قائلة : سنريك يا حلوة كيف يكون الحب هذه الليلة ..
فاستضحكت لولا ورددت نفس المعنى ... ذلك ولم تصدر
عن ارنستين الزنجية كلمة واحدة ..

ولم تلبث تريسى ان شعرت بلفحة هواء عندما اقتربت منها
لولا وبوليتا ... بيد انها كانت على اهبة الاستعداد ... فرفعت
القطعة المعدنية التى كانت ممسكة بها وضربت بكل قواها واصابت
احدى المرأتين فى وجهها ... فانبعثت صرخة ألم ، بينما رفست
تريسى شبح المرأة الثانية وراتها تقع أرضا ... وشفعت هذا
بقولها : تعاليا مرة ثانية فأقتلكما ! ..

واحست بهما تهماان بالهجوم مرة ثانية وهما تسبان سبا قبيحا ،
فشهرت قطعة المعدن .. غير ان صوت ارنستين انبعث فجأة فى
الظلام وهى تقول : كفاية ! .. اتركاهما وشأنها ! ..

ساد صمت طويل ... وسمعت تريسي المراتين تعودان ادراجهما وهما تتنفسان بمشقة ... فتمددت في سريرها متحفزة ، مستعدة لخطواتهما التالية ... بينما قالت أرنستين : أعصابك حديد يا طفلى ! ...

لزمت تريسي الصمت ، بينما ضحكت أرنستين ضحكة خافتة في الظلام وعادت تقول : انك لم تستنجدى بمدير السجن .. ولو فعلت لكنت الآن لهما ميتا ! ..

صدقتهما تريسي ... ومرة أخرى سمعتها تقول : لماذا لم تطلبى نتلك من هذه انزئانة ؟ ..

فردت تريسي بعزم : لانك سوف تساعدينى على الهرب ...

الفصل الثامن

جاءت مشرفة الى تريسي وقالت لهما : حضر زائر لمقابلتك باهويتنى ...

طلعت اليها تريسي فى دهشة قائلة : زائر ؟ ..

من يمكن أن يكون ؟ .. وفجأة عرفت .. هو تشارلز ... لقد جاء أخيرا .. لكن سبق السيف العدل ، وفات الاوان .. انه لم يحضر حينما كانت فى أمس الحاجة اليه ... « لا بأس .. لن أحتاج اليه أبدا مرة أخرى ... ولا لاي أحد آخر ! .. » .. هكذا جرت خواطرها ...

مهما يكن فقد تبعت تريسي المشرفة الى قرفة الزائرين ... ودخلت ...

كان شخص غريب تماما جالسا الى منضدة خشبية صغيرة .. وكان من أشد الناس بعدا عن الجاذبية .. كان قصيرا ، قميئا ، عالى الجبين بارزة ، ممدور الفم ، بدت عيناه العسليتان مكثفتين خلف نظارته السمكة ...

لم ينهض عند دخولها ، وقال لها : اسمى دانييل كوبر .. وقد سمع لى مدير السجن بأن أتكلم معك ...

فقال تريسي مرتابة : من أى شىء ؟ ..

— أنا محقق من طرف اتحاد شركات التأمين الدولى ... ان

واحدًا من عملائنا أمن على لوحة رينوار التي سرقت منه : وهو مستر جو رومانو ..

أخذت تريسى نفسها عميقا ، وقالت : لا يمكننى مساعدتك ...
أنا لم أسرقها ...

وانجبت الى الباب ، ولكن كلمات كوبر استوقفتها ، اذ قال :
أنا أعرف ذلك ...

فانشنت تريسى ونظرت اليه فى حذر وقد توترت كل حواسها ،
فقال :

- ان احسدا لم يسرق اللوحة ... انهم خدعوك يا مس
هويتنى ...

وفى بطة شديد تهالكت تريسى فى مقعد ...



لقد بدأت صلة دانييل كوبر بالقضية قبل ثلاثة أسابيع عندما
استلمى الى مكتب رئيسه ج . رينولدز فى مقر الاتحاد فى مانهاتن ،
اذ قال له :

- هندی تكليف لك بادانييل ... وسأوجز لك القصة ...
والواقع أن رينولدز كان محقا فى رغبته فى الإيجاز ... فهو
لا يحب دانييل كوبر لما اتصف به من غرابة الطبع والجفوة واعتزال
الناس ، ولكنه كان يحتمله على مضض لانه كان يعرف فيه العبقرية
والتفوق فى عمله ، وبعبارة أدق كان فى نظره كلب صيد ، وعقل
كمبيوتر ... وكثيرا ما استطاع كوبر بجهوده وحده استرداد كثير
من المسروقات ، وفضع مختلف حوادث الاحتيال على شركات
التأمين ...

واستأنف رينولدز حديثه عن التكليف قائلا : ان احدى شركاتنا
قامت بالتأمين على لوحة نظير نصف مليون دولار و ...

- هى لوحة رينوار ... نيو أورليانز .. وهو جو رومانو .
وقد حوكت امرأة تدعى تريسى هويتنى وصدر عليها الحكم
بالسجن خمس عشرة سنة .. ولم يتم العثور على اللوحة بعد ..
فقال رينولدز على مضض : تماما ... وقد أخفت المدعىة
هويتنى اللوحة فى مكان ما ، ونحن نريد استردادها ... قم بهذه
المهمة ...

فلم يفه كوبر بكلمة ، وغادر المكتب على الاثر ، تاركا رينولدز

يتميز من الغيظ ، وان كان موقنا أنه سيبادر بالتنفيذ .
كان دانييل كوبر شخصية معقدة حقا ... كان في حياته سر
رهيب حرص دائما على اخفائه ، وكان يؤمن في قرارة نفسه بأن
التكفير عن الذنوب والخطايا يقتضيه أن يتعقب المذنبين والخطئين
لإنزال العقاب بهم ، وبهذا وحده يتهيأ له التكفير عن أخطاء الماضي ،
وأهداد نفسه للأخرة ..

وكانت خطواته الأولى في هذه المهمة في مدينة نيو أورليانز ...
فأمضى خمسة أيام فيها ، عرف خلالها كل ما كان بحاجة اليه عن
جورومانو ، وانطوني أورساتي ، وبيري بوب ، وهنري لورانس ..
وقد اطلع على أوراق محاكمة تريسي هويتني والحكم عليها ،
وقابل الضابط ميلر وعرف حادث انتحار والدته تريسي هويتني ،
وتحدث الى أوتو شميدت وعرف كيف تم تجريد مصنع هويتني
من مشتعلاته وافلاسه ... ومن كل هذا تأكد تماما أن تريسي
هويتني كانت ضحية بريئة ... وبعد ذلك طار الى مدينة فيلادلفيا
وتحدث الى ديزموند نائب مدير البنك الذي كانت تريسي تعمل
فيه ... وواحد فقط رفض مقابله ، هو تشارلز ستانهورب ...



والآن ، وهو جالس ينظر الى تريسي هويتني في غرفة الزائرين
بالسجن ، زاد اقتناعا بأنه لم يكن لها أي ضلع في سرقة اللوحة
الفنية الثمينة ، وأصبح على استعداد لوضع تقريره عن القضية
التي كلف بتحقيقها من قبل رئيسه ...

قال لها أخيرا : ان رومانو خدعك يامس هويتني ... كان لابد
له عاجلا أو آجلا أن يعلن عن سرقة اللوحة ... وكل ما حدث هو أنك
جئت مصادفة الى طريقه في اللحظة المناسبة لكي تحققى هدفه
وتجعلى مبتغاه سهلا ميسرا ...

شعرت تريسي بقلبها تتزايد دقاؤه ... لقد عرف هذا الرجل أنها
بريئة ... وأغلب الظن أن لديه أدلة كافية ضد جو رومانو لتبرئة
ساحتها ... ومن الممكن أن يتكلم مع مدير السجن أو حاكم الولاية
بما يؤدي الى اخراجها وانتشالها من هذا الكابوس .. لقد شعرت
فجأة بصعوبة في التنفس وهي تقول : اذن فسوف تساعدني ؟
فقال دانييل كوبر بدهشة : أساعدك ؟!

- نعم ... تحصل على مفو عني او ..

— كلا ...

كانت الكلمة مثل لكمة ، فقالت : كلا ؟ .. لكن لماذا ؟ .. اذا كنت تعرف اننى بريئة ..

— ان مهمتى قد انتهت ...

لقد دمجها بهذه الكلمات وهو يعجب فى نفسه كيف يكون بعض الناس بمثل هذا الغباء ! ..

وما أن عاد كوبر الى غرفته بالفندق حتى أعد التقرير التالى الى رئيسه رينولدز : « فى اعتقادى ان تريسى هويتنى لا ضلع لها بتاتا فى قضية سرقة لوحة رينوار . والمؤكد ان جورومانو عقد وثيقة التأمين على اللوحة وفى نيته تلفيق حكاية السرقة والحصول على قيمة التأمين ثم اعادة بيع اللوحة الى طرف آخر ، والاغلب ان اللوحة قد تسربت الان الى خارج البلاد . ولما كانت هذه اللوحة معروفة ومشهورة عالميا ، فاننى اتوقع ان تظهر فى سويسرا ، حيث يسمح القانون لمن يشتري احد الاعمال الفنية ولو كانت مسروقة ان يحتفظ بها مادام يقرر انه اشتراها بحسن نية .

« التوصية — بما انه ليس هناك دليل مادي على جريمة رومانو ، فان على الشركة المؤمنة ان تدفع له قيمة التأمين . ومن ناحية اخرى فانه من العث الرجوع على تريسى هويتنى اما لاسترداد اللوحة او التعويض ، مادامت ليس لها معرفة باللوحة ، هذا فضلا عن انها سستبقى فى سجن النساء فى لويزيانا مدى الخمس عشرة سنة القادمة » ...

ولقد توقف كوبر برهة للتفكير فى امر تريسى هويتنى ... كان ظنه ان غيره من الرجال يمكن ان يعدها جميلة .. وراح يتساءل فى نفسه ، وبغير اهتمام حقيقى ، ماذا يمكن ان تفعله بها خمس عشرة سنة فى السجن ؟ ...

لكن هذا لا يعنيه فى قليل ولا كثير ..

الفصل التاسع

ذاقت تريسى احوال العمل فى مفسل السجن لفصل وكى ملابس السجينات حتى كادت تنهار اعياء وضنى ... وفى اليوم الثامن من عملها جاء حارس وابلفها انه تقرر نقلها

للعمل فى مطبخ السجن ، وهو أحب وأشهى مكان للعمل عند السجينات ... فقد كان فيه مستويان للطعام : طعام السجينات الذى تعافه النفوس ، وطعام ضباط وحراس السجن وهو يشمل السمك الطازج والبفتيك ، والدجاج والخضر والفاكهة وأطباق الحلوى المتنوعة ، وكان يجرى أعداده تحت إشراف طهارة مدربين من خارج السجن ، وكانت السجينات العاملات فى هذا القسم ينتهزن الفرصة ويتناولن منه مالد وطاب .

وعند نقل تريسى للعمل فى المطبخ لم تدهش حين رأت أرنستين الزنجية هناك ، فلم يكن لديها شك فى أن هذا النقل تم بمساعيها بعد أن أصبحت تريسى موضع حمايتها ... وقد اقتربت منها وقالت لها بصوت تكلفت فيه المودة : أشكرك .. كيف أمكنك أن تنتزعينى من مخالف المشرفة الشرسة ؟ ..
- أنها لم تعد تعمل فى سجننا ...
- وماذا جرى لها ؟ ..

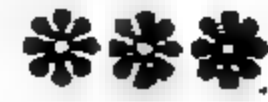
- عندنا نظام خاص بين السجينات هنا .. فإذا استبدت بنساء مشرفة وجعلت حياتنا جحيما ، نخلصنا منها بالشكاوى السكيدية الى أن تضطر إدارة السجن الى نقلها .. لا بد يابنيتى أن تعرفى الحقيقة ... فان الحراس ليسوا هم الذين يتولون تسير الأمور هنا ، وإنما نحن السجينات ! ...

لم يكن يعنى تريسى شىء من هذا ، إذ كان المهم عندها أن تتوثق الصداقة بينها وبين هذه المرأة ، وهكذا سألتها : ما الذى جاء بك الى هذا السجن ؟ ..

- صديقنى اذا قلت لك ان هذا لم يكن بسبب غلطة منى ...
أما الحقيقة فهى اننى كنت أراس مجموعة من البنات كن يشتغلن لحسابى ...

قالت أرنستين انها كانت تدير مكتبا للتخديم وتنشر اعلانات فى كبريات الصحف عن استعدادها لتلبية طلبات الاغنياء من الخادومات المدربات ، وعند التحاق احداهن بالعمل كن ينتهزن الفرصة ويهربن بما تصل اليه ايديهن من المجوهرات والنفائس .. ولكن احداهن ضبطت وهى تعمل لدى عمدة المدينة بعد أن تعرفت عليها احدي الضيوف وقررت انها هى اللصبة التى سرقت مجوهراتها واختفت من منزلها ... وفى التحقيق اعترفت الفتاة بكل شىء ،

وسكدا قبض على أرنستين وحكم عليها وأودعت هذا السجن ..
كانت الاثنان وحدهما قرب أحد المواقف ، فقالت تريسي همسا :
- لا يمكننى ان أبقى فى هذا السجن .. لابد لى من تنفيذ شيء
معين فى الخارج ... فهل تساعدننى على الهرب ؟..
ومره اخرى تحاشت ارنستين ان ترد عليها بما يشفى غليلها ،
وظلت تتحين الفرص ...



فى فترة العصر كل يوم كان يسمح للسجينات بتمضية ساعة فى
قاعة الاستراحة ، حيث يسمح لهن بالفرجة على التليفزيون أو
التحدث أو قراءة الصحف والمجلات ... وبينما كانت تريسي تتصفح
احدى المجلات استوقفت نظرها صورة فوتوغرافية ..
كانت صورة تشارلز ستانهورب وعروسه الجديدة فى حفل
زفافهما وهما خارجان من الكنيسة متابطين ضاحكين ...
لقد صدمتها الصورة كضربة صاعقة ... والواقع ان رؤيتها
للصورة الآن وما تجلى فيها من بسمة السعادة على وجهه قد
أنعمت نفسها لما لبث ان استحال الى غضب جائح مكبوح ..
انها خططت يوما لكى تشاطر هذا الرجل الحياة الزوجية ، فاذا به
يدير اها ظهره ، ويدعمهم يدمرون حياتها ، ويترك طفلها يموت ...
لكن ذلك كان فى زمن آخر ، فى مكان آخر ، فى دنيا اخرى !..
كان ذلك خيالا واسطورة !.. اما هنا فهى الحقيقة الواقعة ..
وهكذا القت تريسي المجلة بعنف ...

الفصل العاشر

قال برانينجان مدير السجن لزوجته : ستفقدن مربية طفلتنا
غدا ...
تطلعت اليه ايلين بدهشة قائلة : لماذا ؟.. ان جودى على علاقة
ضيقة جدا مع ابنتنا ايمى ...
- أعرف هذا ، لكنها استوفت مدة سجنها ، وسيفرج عنها
غدا ...
كان الزوجان يتناولان طعام الافطار فى الفيلا الجميلة ذات
الحديقة الكبيرة الواقعتين فى دائرة السجن ... وكانت المزايا

الآخري المخولة للمدير وأسرته تشمل طاهية وخادمة وسائق سيارة ومربية لابنتها إيمي البالغة من العمر خمسة أعوام ... وكان جميع الخدم من الموثوق بهم ... وحينما جاءت إلين برانيجان إلى هنا منذ خمس سنوات كانت تشعر بالقلق والتوتر للإقامة في نطاق السجن ، وكان قلقها وخوفها أشد لامتلاء الفيلا بخدم كلهم من المجرمين المحكوم عليهم .. وفي هذا قالت له ذات مرة :
- كيف تعرف أنهم لن يعمدوا إلى السطو علينا وذبحنا في منتصف الليل ؟ ...

فرد برانيجان ضاحكا : إذا فعلوا هذا فسأبلغ عنهم بتقرير رسمي ! ...

ثم تبين لها فيما بعد أن مخاوفها لم تقم على أساس ، فإن الخدم الموثوق بهم كانوا متلهفين لترك تأثير طيب عنهم واختصار مدة العقوبة بحسن السير والسلوك ، ومن ثم كانوا موضع الرضى ...
وعندما فاجأ برانيجان زوجته الآن بهذا النبا قالت له شاكية :
- انسى كنت مرتاحة لترك إيمي في رعاية جودي .. هل فكرت بإجورج في واحدة معينة تخلفها ؟ ..

كان مدير السجن قد فكر في هذا الأمر طويلا ، وكان في ذهنه أسماء زمرة من السجناء الموثوق بهم لاختيار المربية منهن .. بيد أنه لم يستطع أن يبعد تريسى هويتنى من تفكيره لما آنسه من غرابة قضيتها .. فهو خير جنائي محترف منذ أربعة عشر عاما ، وقد بدا له من تفاصيل قضيتها أنها ليست من طراز المجرمين معتادى الاجرام ... وأشد ما رآه هو الأشخاص الذين تأسروا للزج بتريسى هويتنى في السجن ... لقد عين في هذا المنصب من قبل لجنة مدنية يرأسها حاكم الولاية ، وعلى الرغم من أنه كان يلتزم بأصرار الابتعاد عن الزج بنفسه في السياسة ، إلا أنه كان على دراية بكافة اللاعبين على المسرح .. كان يعرف أن جو رومانو من « المافيا » ، وأنه صنيعة انطونى أورساتى ويده اليمنى .. وكان يرى بوب المحامى الذى تولى الدفاع عن تريسى مأجورا لهما ، كما كان القاضى هنرى لورانس كذلك ... ومما لاشك فيه أن اداة تريسى هويتنى كانت مؤامرة مدبرة ..

والآن فإن مدير السجن لم يلبث أن حزم أمره وقال لزوجته على

سؤالها : نعم .. اننى فكرت فى واحدة معينة ..
وعندما دعيت تريسى لمقابلة مدير السجن بادرها قائلا : نريد
شخصا يتولى رعاية ابنتنا الصغيرة ...

ماكادت تريسى تسمع هذا الكلام حتى فكرت بسرعة البرق :
ان هذا قد يجعل مهمة الهرب من السجن ايسر .. فان العمل فى
بيت المدير كفيل بأن يهيىء لها معلومات كثيرة تعين على تنفيذ خطة
الهرب ... ولهذا قالت :

- نعم ... اننى اقبل هذا العمل ..

لقد سر جورج برانيجان حقا ، اذ كان يشعر انه مدين لهذه
الفتاة بشيء ، وقال لها : حسنا .. وستنالين ستين سنتا فى الساعة
على ان يودع المبلغ فى حسابك فى نهاية كل شهر ..

لم يكن مسموحا للسجينات بتداول النقود ، وكانت المبالغ المدخرة
لهن تصرف عند الافراج عليهن ...

ثم اضاف مدير السجن قائلا : يمكنك ان تبدئى العمل فى الصباح
وستتولى رئيسة المشرفات ابلاغك بالتعليمات ...

- شكرا لك ياسيدى ..

- هذا كل شيء ...

كان اليوم الذى نقلت فيه تريسى للعمل فى بيت مدير السجن
يوافق الشهر الخامس لوجودها سجينة ... وقد انتابها التوتر
للتفكير فى مقابلة زوجة المدير وابنته ، اذ كانت تريد هذا العمل
باستماتة ، لانه سيكون مفتاحها الى الحرية ...

لقد دخلت الى المطبخ الواسع النظيف وجلست وهى تشعر
بالمرق يتصبب تحت ابطيها .. ثم لاحت لها امرأة مرتدية معطفها
منزليا وردى اللون تدخل قائلة : صباح الخير ... فردت بالمثل ..
همت المرأة ان تجلس ، ولكنها غيرت رايتها وظلت واقفة .. كانت
اين برانيجان شقراء مليحة الوجه فى منتصف العقد الرابع من
العمر نحيفة القوام ... وكان مسلكها مشوبا بالتردد ، اذ لم تكن
على بينة من اسلوب معاملة السجينات الموثوق بهن : هل تأخذ
بالامر ، او التلطف ، اذ انها لم تألف بعد معايشة مدمنى المخدرات
واللصوص والقتلة ...

قالت اخيرا : انا مسز برانيجان ... وابنتى ايمى فى الخامسة،

وانت تعرفين وفرة النشاط لدى الاطفال فى هذه السن ... وفى رأيى انه يجدر على السهر عليها ومراقبتها باستمرار .. هل لك اطفال ؟ ...

فكرت تريسى فى طفلها الذى لم ير النور ، واجابت : كلا .. والواقع ان الين احست الارتباك امام هذه الشجاعة ... فقد الفتها مفارقة لكل ما كانت تتوقع ، وتوسمت فيها طابعا متميزا .. على انها قالت وهى تهزول خارجة : سأحضر ايمى ... وعادت الين بعد قليل ممسكة بيد ابنتها الصغيرة وقالت لها : - ايمى .. هذه تريسى هويتنى ...

كانت الطفلة نحيفة مثل أمها ، زرقاء العينين ، بادية النباهة : وقد ردت قائلة : أهلا .. هل ستكونين « دادتى » الجديدة ؟ .. - اننى سأساعد والدتك فى الاشراف عليك ..

وتولت الام شرح واجبات تريسى قائلة : سوف تتناولين وجباتك مع ايمى ... ويمكنك اعداد افطارها وملاعبتها فى الصباح ... وستقوم الطاهية باعداد الغداء هنا .. وبعد الغداء تنام ايمى بعض الوقت ، وفى العصر تحب ان تتجول فى الحديقة والمزرعة ..

كانت المزرعة عند الطرف الآخر للسجن ، على مساحة عشرين فدانا تزرع خضرا وفاكهة ، وتعهدها السجنات ... وكانت بها بحيرة صناعية واسعة تستخدم للرى ، يحوطها سور حجري .. كانت الايام الخمسة التالية اشبه بحياة جديدة لتريسى .. ولو كانت الظروف غير هذه الظروف لنعمت بالبعد عن أسوار السجن الكالحة ، وبحرية التنقل فى أرجاء المزرعة واستنشاق هواء الريف النقى .. لكن كل ما كانت تفكر فيه هو الهرب ...

وعندما لا تكون مرتبطة بواجباتها نحو ايمى ، كان عليها ان تعود الى السجن وفقا للنظام المقرر .. وهكذا كانت كل ليلة تبث حبيسة فى زنزانتها ، اما فى النهار ، فكانت لها حرية صورية .. وكانت بعد ان تفطر فى مطبخ السجن تنتقل الى بيت المدير حيث تعد طعام افطار ايمى ، ثم تلعب معها او تقرأ لها .. وبعد قيلولته ايمى مقب الظهر كانت الاثنتان تقومان بجولات طويلة حرصت تريسى على ان تشمل مساحات من اراضى السجن لم تعرفها من قبل ...

فكانت تستوعب بدقة كل المخارج والمداخل ، ومواضع الحرس فوق أبراج السجن وتسليمهم ، ومواعيد تغيير نوياتهم .. وقد بدا لها بجلاء أن خطط الهرب التي فكرت فيها مستحيلة التنفيذ ..



كان للخبر وقع الصاعقة على تريسى ...
اذ قالت لها أرنستين ذات يوم :

— انهم سيفرجون عنى بعد اسبوع من يوم السبت ، لوفاء
المدة ...

لم تجد تريسى الا أن تطرح على الزنجية فى يأس واستماعة فكرة الهرب قبل رحيل أرنستين عن السجن — ذلك الرحيل الذى سيفقدها كل حماية ، مهما يكن من عيوب أرنستين ومساوئها ...
فقالت لها الزنجية : لست عندك سيارة تساعدك على الهرب ، ولا أحد فى الخارج يمد اليك يد المساعدة ... ثقى أنهم سسوف يقضون عليك حتما ، حية أو ميتة ، وسيكون موقفك أسوأ ...
والافضل ان تلزمى الهدوء والصبر ..

دار هذا الحديث بينهما فى مطبخ السجن ، فى فترة كانت فيها زوجة المدير قد صحبت ابنتها ايمى الى المدينة فى عطلة نهائية الاسبوع .. وفجأة لمحت تريسى عربية كبيرة تكدست فيها فوقها اكوام الكسى الرسمية والملاوات ، يدفعها العامل المختص «بالفسيل» الى الباب الخارجى ...

فقطعت تريسى حديثها قائلة :

— لماذا يحملون هذا «الفسيل» الى الخارج .. ان السجن به مغسله الخاص ! ..

فردت أرنستين ضاحكة : هذه مهمات رجال الحرس .. كانوا عادة يرسلونها الى مغسل السجن للغسل والكى .. ولكن وجد بعد ذلك أن المهمات كانت تعاد ممزقة والازرار مفقودة ومشبك بها رقاع تحمل كلاما بديثا — دون أن تتمكن ادارة السجن من مصرفه الفاطلين ... ولهذا أصبحوا يرسلون مهمات الحراس الى مغسل خارجى ...

لكن تريسى لم تكن مصغية اليها ... فقد عرفت الآن كيف تنفذ خطة الهروب من السجن ...

الفصل الحادى عشر

عادت تريسى تقول للزنجية بالحاح بعد أن نفضت اليها خطة الهرب :

- ولماذا لا تكون هذه الخطة عملية ؟ ..
- قلت لك يافتاتى ان الحراس يقومون بتفتيش كل عربية تمر من بوابة السجن الى الخارج ؟ ..
- لكن اذا كانت العربية تحمل سلة كبيرة بها « الفسيل » ، فلا اظن انهم سيفرغونها للفحص والتفتيش ..
- انهم لا يضطرون الى هذا ... فان السلة الكبيرة تنقل الى غرفة الملابس المتسخة ، حيث يتولى احد الحراس مراقبة ملئها ..
قالت تريسى وقد نهضت قائمة : ارنستين ! .. الا يمكن لاحد ان يشاغل الحارس فترة خمس دقائق ؟ ...
- وما الفائدة من ...

وكفت ارنستين عن معارضتها فجأة ، ثم أردفت ضاحكة ... وفي فترة المشاغلة ، او المغازلة ، تتسللين أنت الى قاع السلة الكبيرة وتختفين تحت اكوام المهمات ؟ .. آه ! .. اظن أن هذا ممكن ..
- اذن فسوف تساعدينى ؟ ..

جعلت ارنستين تفكر مليا ، ثم أجابت : نعم .. سأساعدك ... وهذه هي فرصتك الاخيرة فعلا ، قبل خروجى من السجن ..
والواقع أن موضوع ، هروب تريسى هويتنى الوشيك مسن السجن كان له صدهاء القوى بين السجينات ، اذ كن مترابطات ولا يخفى عليهن شئ مما يدور « تحت الارض » وما يدبر فى الخفاء ومعظمهن كن يعايشن مثل هذه المحاولات ويتابعنها باشفاق وقلق ، متمنيات لو كانت لديهن الشجاعة للاقدام على مثلها ... لكن كان هناك الحراس المدججون بالسلاح ونقطة الحراسة القوية وطائرات الهليكوبتر الرابضة للكشف والمتابعة ، فضلا عن الكلاب الشرسة المدربة ، وأخيرا جثث السجينات التى يحملونها الى حيث بدأت المحاولة ...

وعلى الرغم من هذا كله ، بدا تنفيذ المحاولة على قدم وساق

بمساعدة ارنستين القوية النفوذ الطويلة الباع .. فقد اخذت
مقاسات تريسي ، واستطاعت لولا سرقة قماش لفستان من مشغل
الخيطة في السجن ، وعهدت به بوليتا الى خياطة في غير آخر
لاعداده وسرق حذاء من قسم الملابس وتم صبغه لسكى يلائم
الفستان ... كما ظهر من العدم قفاز وقبعة وحقبة يد وكأنما
فعل ساحر .. وقالت ارنستين : والان علينا ان نزودك ببطاقة
شخصية ، ورخصة قيادة ...

فردت تريسي مذهولة : كيف يمكنني ان :
فضحكت ارنستين قائلة : دعي هذا لي ولا تشغلي بالك ..
وبعد منتصف الليل سمعت تريسي باب زنزانها يفتح .
فجلست في فراشها متحفزة ، واذا صوت يقول هامسا : هويتني
هيا بنا ! ...

عرفت تريسي صوت ليليان ، السجينة المؤتمنة من ادارة السجن
ولما سالتها عما تريد انبعث صوت ارنستين في الظلام يقول بحدة :
ما هذه الطفلة المغفلة التي ولدتها امك ؟ .. اقلني فمك ولا تسالي
عن شيء ! ...

وقالت ليليان بصوت خافت : لا بد ان نتم هذه العملية بسرعة ،
واذا ضبطونا فانهم سيمزقونني .. هيا بنا ..

وقادت ليليان في المشي المظلم الى سلالم صعدتا فيها الى
الطابق التالي ، وبعد التأكد من عدم وجود حراس اسرعتا في
الرواق حتى وصلت الى الغرفة التي اخذت فيها بصمات اصابع
تريسي وصورتها الفوتوغرافية ، فدفعت ليليان الباب وادخلتها ..
فاذا نزيلة اخرى تنتظرهما .. وقالت لتريسي في شيء من التوتر .
قفى امام الحائط ...

امتثلت تريسي وهي تشعر بالتواء في امعائها رهبة وفرقا ، بينما
اردفت النزيلة : انظري في عدسة الكاميرا ...

وبعد ان تم التصوير قالت النزيلة : ان الصورة ستسلم في
الصباح ، وهي من اجل بطاقتك الشخصية ورخصة قيادتك ...
والان الى الخارج ، بسرعة ! ...

وعادت تريسي وليليان ادراجهما ، فسكانت ارنستين ولولا
وبوليتا في انتظارها ، وقالت الاخيرة : ان الفستان سيكون مجهزا
يوم السبت ...

وهمست أرنستين : كل شيء تمام ... ان عسيرة الفسيل ،
مستخرج في الساعة الثانية ... عليك ان تكونى فى غرفة الملابس
المتسخة بحلول الساعة الواحدة والنصف ... ولا لزوم لسكى
تشغلى بالك من ناحية الحارس .. فان لولا سوف تشاغله بطريقتها
عند الباب المجاور ... وستكون بوليتا فى غرفة « الفسيل »
تنتظرك ، ومعها ملابسك الجديدة ، وستكون فى الحقيبة اليدوية
البطاقة الشخصية ورخصة القيادة باسم جين سميث ... وسيكون
خروج العربى من بوابة السجن فى الثانية والرابع ...

لقد شعرت تريسى بصعوبة فى التنفس ... والواقع ان مجرد
الحديث عن موضوع الهروب جعلها ترتعد ... وفى خلال ايام
معدودة ستكون فى طريقها الى الحرية .. لكنها لم تكن واهمة ،
فقد تعود من هذه المحاولة جثة هامدة كما حذروها ... ومع ذلك
لا بد مما ليس منه بد ، بعد ان نذرت نفسها للانتقام من ظالمها ...



فى الليلة السابقة ليوم الهرب لم تدق تريسى طعم النوم .. كان
توتر أعصابها بالغا ، الى حد شعورها بالفشيان .. وما ان سمعت
رنين جرس الضباح حتى كان له وقع القنبلة فى سمعها .. وقالت
لها أرنستين وكانت تراقبها عن كثب : كيف حالك يا بنيتى ؟
فردت تريسى كذبا وقد شعرت بتيبس فى حلقها واضطراب
خفقات قلبها : لا بأس ... انا وانت سنخرج اليوم من هنا ..
- هل انت متأكدة انه سيمكنك الخروج من بيت المدير بحلول
الساعة الواحدة والنصف ؟

- لا مشكلة فى هذا ... ان ايمى تنام دائما بعد الغداء .
وعندئذ مدت أرنستين يدها تحت « المرتبة » واخرجت لفافة
من البنكنوت ، وقالت : سوف تحتاجين الى نقود فى طريقك ...
هذا مبلغ مائتى دولار فقط .. لكنه سيساعدك ...
- أرنستين ! .. لا اعرف كيف ...

- آه ... اقللى فمك يا بنت ، وخذى المبلغ ! ..
لقد تحاملت تريسى على نفسها لاذرداد بعض الافطار .. كان
راسها يثق .. وكل عضلة فى جسمها كانت موجوعة .. وفى
المطبخ كان السكون غير عادى ، والنظرات والهمسات العارفة تحفها
من كل مكان ... فسوف تحدث حالة هروب من السجن اليوم ،

وهي بطلة الدراما ، وفي غضون ساعات قلائل ستكون حرة طليقة السراح ... او جثة هامدة !.

بيد انها نهضت عن طعامها واتجهت الى بيت مدير السجن .. اخذت ساعات الصباح تمر وانية ثقيلة حتى شعرت تريسي بانها تكاد تفقد عقلها ... وظلت تلاعب ايمن حيناً وتقرأ لها حيناً آخر هي شاردة الذهن كانسان مسحور ...

كانتا اذ ذاك في الفناء الامامي للفيلا ... وعلى البعسد كانت تريسي تبصر المبنى الذي فيه غرفة المهمات المتسخة ... ولايد لها ان تكون هناك في تمام الواحدة والنصف ، لكي تخلع رداء السجن وتلبس ملابس الشارع التي زودوها بها ، وفي الثانية الا الربع تكون مختبئة في قاع سلة الفسيل الكبيرة ، تغطيها الكسي .. والملاءات ... فاذا كانت الساعة الثانية جاء السائق ونقل السلة الى سيارته ... وبحلول الساعة الثانية والربع تخرج السيارة من البوابة في طريقها الى البلدة القريبة التي بها المفسل الخارجي ان السائق لن يمكنه ان يرى الجانب الخلفي من مكانه في المقعد الامامي ، وعند وصول السيارة البلدة وتوقفها عند اشارة المرور الحمراء ، فما عليها الا ان تفتح الباب وتنزل منها بكل هدوء وتركب الاتوبيس في طريقها الى اى مكان تريده ...

لقد ظلت تريسي تلاعب ايمن حتى كانت الساعة الثانية عشرة والنصف موعد غداء ايمن والحمد لله ، وموعد تحرك تريسي لبدء عمليتها ... فاخذت الطفلة الى الفيلا وقالت لامها : انا ذاهبة الان يامسز برانيجان ...

- ماذا ؟ ... آه !. الم يقولوا لك ياتريسي ؟ ستحضر عندنا اليوم لجنة رسمية لتفقد السجن ، وسيتناول اعضاؤها طعام الغداء في البيت طبعاً ، ولهذا فان ايمن لن تنام بعد الغداء كعادتها كل يوم .. ويمكن ان تأخذها معك ...

وقفت تريسي مكانها تكتم صرخة كادت تفلت منها وقالت :
- لا يمكنني ... لا يمكنني ان افعل هذا يامسز برانيجان !..
فتصلبت الين قائلة : ماذا تقصدين بهذا الكلام ؟!..

شاهدت تريسي امارات الغضب في عينيها ، فاستدركت قائلة
لئلا تزيدها غضباً : اقصد ... ان ايمن لم تتناول غداءها .. ولايد ان تكون جائعة ...

- ساكلف الطاهية باعداد غداء رحلات لكما معا .. وبممكنكما ان تخرجا الى المزرعة وتأكلا فى الهواء الطلق .. ان ايمى تحسب الرحلات .. اليس كذلك يا حبيبتي ؟
ردت الطفلة متحمسة مشجعة تريسى على قبول الفكرة ، فقالت تريسى للأم :
- فى اى وقت تحبين ان اعود بايمى الى البيت ؟ ..
- حوالى الساعة الثالثة ... بعد انصراف الضيوف .. ماذا بك ؟ .. اراك مصفرة ! ..
- لا شىء يامسز برانيجان ... انا على مايرام ..
كانت الطفلة فى اتم الفرح ، وقالت لتريسى وهما تخرجان :
ساعطيك اكبر « سندويشات » يا تريسى ! .. وسنقضى وقتا جميلا ! ..



كانت زيارة اللجنة الرسمية مفاجئة ... وكان حاكم الولاية وليام هابر نفسه يرافق اللجنة فى طوافها متفقد الاحوال فى سجن النساء هذا ، وكان على المدير برانيجان ان يواجه هذه الزيارة مرة كل عام .. وفى حديث سابق بين الاثنين قال له حاكم الولاية : لا مفر من هذا يا جورج .. ما عليك الا ان تعمل على تنظيف السجن وتطلب من « سيداته » ان يقابلن اللجنة بالابتسام اللطيف ، ومرة اخرى سيضاعفون لنا الميزانية ..
وفى هذا الصباح صدرت الاوامر من رئيس الحرس الى رجاله : تخلصوا من كل المخدرات ، والمطاوى ، وما اليها ! ..
وكان المقدر وصول الحاكم هابر واللجنة فى العاشرة صباحا ، على ان يبدأوا بتفقد داخلية السجن ، ثم يزورون المزرعة ، واخيرا يتناولون الغداء على مائدة مدير السجن ...
وكان اليوم صحوا بديعا صفت سماؤه ورقت نسائمه ممتزجة بشدى النباتات عبر المزرعة الخضراء .. وقد اختسارت تريسى بقعة معشوشبة قرب البحيرة بسطت فيها مفرش مائدة حيث راحت ايمى تقضم الشطائر وهى سعيدة هائلة ... ولما نظرت تريسى الى ساعتها الفتها الواحدة ، حتى لم تكد تصدق عينيهما

لمرور الوقت بهذه السرعة ... لا بد لها من التفكير حالا ، والا سرق الوقت فرصتها الاخيرة للحرية ! ...

الساعة الواحدة والربع ... كان يجب أن تمضي في طريقها .. سوف تستغرق ربع ساعة على الاقل للوصول الى غرفة المهمات المتسخة ... وبإمكانها أن تحقق هذا لو أسرعت ... غير أنها لا تستطيع ترك ايمى وحدها ... راحت تنظر حوالىها ، وعلى ابعد ابصرت مجموعة من السجينات يحصدن المزروعات .. وهنا قررت ما تفعله ... فقالت لايمى : هيا بنا نلعب الكرة .. لننظر من منا يمكنه رمى الكرة ابعد ... سأرمى الكرة انا أولا ، ثم يأتى دورك ..

وتناولت تريسى كرة المطاط الصلبة وقذفتها الى ابعد مدى استطاعته فى اتجاه السجينات العاملات .. فقالت ايمى معجبة : رمية جميلة ! ...
وهى بعيدة فعلا ! ...

فقالت لها تريسى : سأذهب لاحضار الكرة .. انتظرى انت هنا ...

وراحت تركض ... تركض كمن يهرب بحياته ، وقدمهاها تطيران فوق الارض المزروعة ... ومن خلفها سمعت ايمى تنادىها ، بيد انها لم تعرها اى اهتمام ... وفى هذه الآونة رأت عاملات المزرعة قد بدأن يدخلن الى منطقة السجن ... فصاحت بهن ، فتوقفن وحين وصلت اليهن كانت تلهث لهن ... فسألتهن واحدة منهن : فى حاجة غلط ؟ ...

فردت وهى تجاهد لالتقاط انفاسها : لا .. لا شئ ... فقط واحدة منكن تراقب الطفلة هناك .. أمامى مسألة هامة .. انا . وفجأة سمعت من ينادى باسمها على البعد ، فتلفتت .. لمحت ايمى واقفة اعلى السور الحجرى المحيط بالبحيرة ، ولوحت اليها بيدها قائلة : انظرى الى ياتريسى :

وفيما نظرت تريسى بارتياح بالغ ، فقدت ايمى توازنها وهوت فى البحيرة ..

غاض الدم من وجه تريسى وهى تهتف : رحماك ياربى ...
كان عليها أن تختار .. لم يكن ثمة مجال للاختيار .. وقالت

لنفسها : لا يمكننى مساعدتها الان ! .. سينقلها احد غيرى ..
لا بد لى من انقاذ نفسى ... لا بد لى من الخروج من هذا المكان والا
كان هلاكى !..

كانت الساعة هى الواحدة والثلاث .. فانشئت تريسى وراحت
تركض كما لم تركض فى حياتها من قبل ... وجعلت العاصمات
ينادينها غير انها لم تسمعهم ... كانت تطير طيرانا ، غير مكترثة
بسقوط حداثها من قدميها ، ولا بالارض المشققة التى شعرت انها
تمزقهما ... كان قلبها يدق عنيفا ، ورثتها توشكان ان تنفجرا ،
بيد انها دفعت نفسها دفعا الى مزيد من الركض ، حتى وصلت
الى السور المحيط بالبحيرة ، واعتلته ...

ومن فوق السور اطلت على ايمى وهى فى المياه العميقة المربعة
تتخبط وتجاهد للبقاء طافية ... وبلا ادنى تردد قفزت تريسى فى
المياه خلف الطفلة المشرقة على الفرق ...
وما ان اصطدمت بالمياه حتى غمغت فزعا : رباها !.. انا لاعرف
العوام ! ...

الفصل الثانى عشر

نيو اورليانز

الجمعة ٢٥ أغسطس - الساعة ١ صباحا

كان ليستر تورانس الصراف فى بنك « فريست مرشانتس »
يعتز بصفتين فى شخصه : جاذبيته لدى الجنس اللطيف ، ومقدرته
فى تقييم عملاء البنك ، ومن ثم كانت معاملاته مع النساء خاصة
تسم بالركة المتناهية ، والتصرف بأسلوب « خد وهات » ، ولاسيما
مع من تكون منهن فى ورطة او ضيق ...

وفى يوم الجمعة هذا عرف ليستر لدى النظرة الاولى انه وجد
ضالته فى القادمة الفاتنة ذات القوام الصاعق ، والتى رآها تدبر
نظراتها بين الصرافين الاربعة ، وما ان اوما برأسه اليها مشجعها
وشفع الايماءة بابتسامة رقيقة حتى وقع اختيارها عليه ، وتقدمت
من شبابه قائلة بأرق لهجة :

- صباح الخير ... آسفة اذا قلت اننى امام مشكلة ...
فقال بحرارة : وانا هنا لحل المشاكل ... وان كنت لا اعتقد
ان مائة مثلك يمكن ان تتسبب فى أى مشكلة ...
فقلت وقد اتسعت عيناها العسلتان فزعا : لكن هذا ما حصل .
انا سكرتيرة جو رومانو ، وقد طلب منى منذ اسبوع ان اطلب له
دفتر شيكات لحسابه الجارى فى البنك ، فنسيت تماما ، ولما
نفدت الشيكات البيضاء ، أصبحت فى ورطة ولا اعرف ماذا
... تفعل معى اذا عرف الموقف ...

كان ليستر يعرف اسم جو رومانو كعميل مميز للبنك ، حتى
برغم ان رسيده لم يكن كبيرا نسبيا ، اذ كان معروفا ان أمواله
الحقيقية مودعة فى مكان آخر ...
بادرها ليستر قائلا وهو يبتسم مظفرا : ليست هذه بالمشكلة
الخطيرة يامسر ... ؟

- ... مس لورين هارتفورد ..
يا للحظ السعيد !.. هكذا ناجى نفسه .. ثم اضاف على الاثر :
سأطلب اعداد الشيكات الجديدة حالا ... وستكون جاهزة فى
خلال اسبوعين او ثلاثة ..

فاشتد انزعاجها حتى قالت : هذه مدة متأخرة ، وقد تضايق
مستر رومانو منى ، ولا اعرف ماذا سيفعل معى بعد ذلك .. الا
يمكنك ان تستعجل اعداد الشيكات ، حتى لا أتعرض للفصل من
عملى ؟ ... انا مستعدة لاي شئ ..

كان لكلماتها وقع الموسيقى فى سمعه ، فقال من فوره : سأقول
لك ماذا سأفعل ... سأجعل الطلب مستعجلا ، وستكون
الشيكات جاهزة يوم الاثنين .. مارايك ؟ ..

فقلت بامتنان بالغ : انت رائع ! ..
- سأرسل الشيكات الى المكتب و ...

- الافضل ان احضر لاخذها شخصا .. لا اريد ان يعرف مسٹر
رومانو اننى مقصرة فى عملى ... لن انسى جميلك ... الى يوم
الاثنين ..

واختصته بابتسامة ساحرة ، وانصرفت من البنك فى مشية
متثدة جعلت ليستر يحدق خلفها مبهورا ، ثم أسرع الى الاندراج
يستخرج رقم حساب جو رومانو ووجه طلبا مستعجلا بالتليفون .

كان الفندق القائم في شارع كارمن متواضعا لا يختلف عن مئات من مثله من الفنادق في نيوأورليانز ، وهذا ما جعل تريسى تختاره وقد مضى عليها في الغرفة الصغيرة الرخيصة الاثاث أسبوع ، ولكنها كانت بالمقارنة الى زنزانة السجن قصرا ..

وعندما رجعت تريسى من مغامرتها مع صراف البنك لينستر تورانس خلعت باروكتها السوداء وأرسلت شعرها الغزير ، ثم أزالَت العدسات اللاصقة الرخوة من عينيها ومسحت « الماكياج » الذى كسب وجهها السمرة ، وأخيرا جلست فى الكرسى الوحيد فى الغرفة ونفست الصعداء .. لقد سار كل شيء على مايرام .. فقد استطاعت أن تعرف بسهولة فى أى بنك يضع جو رومانو حسابه ، بعد أن نظرت فى الشيك الملقى الذى عثرت عليه فى أوراق تركة أمها ... نعم ان أرنستين زميلة الزنزانة قالت لها أن جو رومانو شخص لا يمكن أن تطوله يدها ... لكن أرنستين كانت مخطئة ، فهاهو ذا رومانو الاول فى خطة الانتقام ، وسوف يتبعه الآخرون من ظالمها ، واحدا واحدا ...

ولم تمالك تريسى أن أغمضت عينيها وراحت تستعيد المعجزة التى جاءت بها الى هنا ..

لقد شعرت بالمياه الباردة القائمة تطبق على رأسها عندما ألقت بنفسها فى البحيرة ... ألفت نفسها تفرق ، وامتلات نفسها رعبا ... وغاصت حتى لامست يداها الطفلة ، فتشبثت بها ودفعتها الى سطح البحيرة ... ولكن أيمى جعلت تتخبط فى رعبها الاعمى وتجاهد للتملص منها حتى جذبت كليهما الى ماتحت سطح المياه من جديد .. ولقد شعرت تريسى برئيتها توشكان على الانفجار ، فجعلت تشق طريقها الى خارج هذا القبر المائى متشبثة بالطفلة الصغيرة لانتزاعها من قبضة الموت ، الى أن شعرت بقواها تخور ثم تعالت اصوات تنادى وتصرخ ، وشعرت بجسد أيمى ينتزع من ذراعيها ، وبأيد قوية تشد على معصمها ، وقائل يقول : « كل شيء بخير الآن ... اطمئنى ! .. »

وبعد لحظات انتشلت كلاهما من المياه العميقة القاسية ..

وكان من الممكن الا يشير هذا الحادث اكثر من نبذة صغيرة فى احدى الصفحات الداخلية فى جرائد الصباح ، لولا أنه دار حول سجننة لا تعرف السباحة قد جازفت بحياتها لانتقاذ طفلة مدير

السجن ... وبين عشية وضحاها جعلت الصحف ومعلقو التلفزيون من تريسى بطله ، وقام هابر حاكم الولاية نفسه بزيارة مستشفى السجن بصحبة مديره لرؤية تريسى ...

قال لها مدير السجن بتأثر بالغ : ان ما فعلته لهو عمل باسل ..
واننى وزوجتى لنعبر لك من عميق امتناننا ...
فردت تريسى وهى لاتزال ضعيفة ومنهكة بتأثير التجربة القاسية :
كيف حال ايمى ؟ ...

- هى فى طريق التحسن ...

اطبقت تريسى عينها وهى تقول لنفسها : « ماكنت لاحتمل لو اصابها شيء » ... وعندما تذكرت انها كانت تعامل الطفلة ببرود وهى تتطلع الى حنانها ، لم تتمالك ان ساورها خجل مرير .. ان الحادث قد كلفها ضياع فرصتها للهروب من السجن .. لكنها ايقنت انه لو قدر لها ان تعاود الكرة ، لفعلت نفسى الشيء ..

واعقب ذلك تحقيق قصير فى الحادث ، فقالت ايمى لايها :
كانت غلطتى ... كنا نلعب الكرة ، فجرت تريسى خلفها وطلبت منى ان انتظر ، لكننى تسلفت السور لكى اراها افضل ، فوقعت فى المياه ... لكن تريسى انقلدتنى يابابا ...

وفى تلك الليلة ابقوا تريسى فى المستشفى تحت الملاحظة ، وفى الصباح ذهبوا بها الى مكتب برانيجان مدير السجن ... فاذا وسائل اعلام فى انتظارها هناك ، يتقدمها مندوبو وكسالتى « يوناتيدبرس » و « اسوشياتدبرس » ومحطة التلفزيون المحلية .
لقد اهتموا فى الحادث قصة انسانية ، فجاءوا فى اثرها ...

وما ان حل المساء حتى انتقلت قصة بطولة تريسى الى شاشات التلفزيون القومية وزادت انتشارا ، الى حد ان الصحف الكبرى مثل « تايم » و « نيوزويك » و « ييبول » ومئات من الصحف فى طول البلاد وعرضها احتضنت القصة فى صدر صفحاتها .. ومع استمرار هذه التغطية الصحفية ، تدفقت الرسائل والبرقيات على السجن تطالب باصدار العفو عن تريسى هويتنى ...

وفى اجتماع بين هابر حاكم الولاية وبرانيجان مدير سجن النساء فى هذا الصدد قال برانيجان : ان تريسى هويتنى موجودة هنا بسبب جنابة خطيرة ...

ففكر الحاكم مليا ثم قال : لكن ليست لها سابق يا جورج ، اليس كذلك ؟...

- تماما ياسيدى ...

- لن اخفى عنك اننى تحت ضغط شديد لعمل شئ من اجلها ..

- وانا مثلك ياسيدى الحاكم ..

- وبالطبع لا يمكننا ان ندع الجمهور يبين لنا كيف نسير الامور فى سجوننا ، اليس كذلك ؟

- مؤكدا هذا لا يمكن ...

- لكن من الناحية الاخرى ، لقد اظهرت الفتاة هويتى قدرا عظيما من الشجاعة ... انها اصبحت بطلة قومية ... ما رايك يا جورج ؟...

فاجاب جورج برانيجان وهو يختار كلماته بعناية : انت تدرك بالطبع ياسيدى الحاكم ان لى جانباً شخصيا فى هذا ، فان التى انقذت هى طفلى .. لكن اذا وضعنا هذه النقطة جانبا ، فلست اظن ان تريسي هويتى من طراز المجرمين ، ولا يمكننى ان اعتقد انها ستكون خطرا على المجتمع اذا خرجت الى الدنيا .. واننى اوصى مشددا باصدار العفو عنها ...

كان الحاكم وهو على وشك ان يعلن ترشيحه للمنصب للمرة التالية خير من يقدر مثل هذه المشورة القيمة ، ومن ثم قال : لنترك هذه المسألة بينى وبينك فترة اخرى ...

ولا غرو ، ففي عالم السياسة ليس كمثل التوقيت المضبوط ! .. وفى اعقاب هذا قالت الين زوجة مدير السجن بعد التشاور معه ، مخاطبة تريسي : اننى والمدير نود جدا ان تنتقلى للاقامة معنا فى الفيلا ... عندنا غرفة نوم اضافية ... وبامكانك ان تشرفى على ايمى طول الوقت ...

فشكرتها تريسي واعربت عن قبولها بامتنان

وبعد ثلاثة اسابيع من حادث انقاذ الطفلة وبينما كانت تريسي تلاعبها فى الفناء ، اذ خرجت اليهما الين بسرعة وابلفت تريسي ان مدير السجن كلمها تليفونيا لكى تذهب اليه فى مكتبه على الفور . والواقع ان تريسي انتابها خوف مفاجئ وتملكها الهواجس .. وعندما ادخلت اليه فى مكتبه بادرها قائلا : الافضل ان تجلسى .. لقد حاولت تريسي ان تقرأ البت فى مصيرها من نبرات صوته ، واذا هو يقول لها باتفعال لم تفهم سببه :

— عندى خبر لك ... لقد تلقيت توا أمرا من حاكم ولاية لويزيانا بالعفو الشامل عنك ، مع النفاذ الفورى ...

« رحماك ياربى ! ... هل قال حقا ما اظننى سمعته ؟ .. »
لقد خافت أن تتكلم ، بينما استطرد قائلا : أريدك أن تعرفى أن هذا لم يتقرر لان التى انقذتها هى ابنتى .. انك تصرفت بالغريزة بالاسلوب الذى يمكن أن يصدر من أى مواطن صالح ... ولا أعتقد بأى حال أنك سوف تشكلىن أى تهديد للمجتمع ...

ثم اضاف باسم : ان ايمى سوف تفتقدك ... وكذلك نحن .. لم تجد تريسى كلاما تقوله ... آه لو عرف حاكم السجن الحقيقة : لو أن حادث الانقاذ لم يحصل ، لانطلق حراس السجن يتعقبونها كهاربة ! ...

وسمعه يقول : سوف يتم الافراج عنك بعد غد ..
واخيرا عالجت الكلام قائلة : انا .. انا لا أعرف ماذا أقول ..
— لست بحاجة الى أن تقولى أى شيء ... ان كل انسان هنا فخور بك .. واننى وزوجتى نتوقع أن تقومى بأعمال كبيرة فى الخارج ...

هى الحقيقة اذن ! ... وقد أصبحت حرة ! .. لقد شعرت بضعف شديد حتى تشبثت بذراع المتعد تلمس السند .. وعندما تكلمت فى النهاية كان صوتها ثابتا وهى تقول : هناك أعمال كثيرة أريد أن أقوم بها فعلا ياسيدى المدير ! ..

وفى الليلة الاخيرة لها فى السجن ، تقدمت منها نزيلة تدهى بيتى فرانشييسكوس وهناتها بالافراج عنها قائلة : اذا احتجت الى أى مساعدة فى الخارج ، هناك رجل تذهبين اليه فى نيويورك ، اسمه كونراد مورجان ...

ودست فى يد تريسى قصاصة وأردفت : انه من العاملين فى رعاية السجناء السابقين ، ويود اسداء المساعدة لمن كانوا فى السجن ..

— اشكرك .. لكن لا أظن اننى سأحتاج ...

— انت لا تعرفين الظروف .. احتفظى بهذا العنوان ..

وبعد ساعتين كانت تريسى تخطو خارجة من بوابة السجن ، مارة بين كاميرات التليفزيون .. ولم يكن بوسعها أن تتحدث مع المندوبين ولكن عندما أفلتت ايمى من يد أمها وارتمت بين ذراعى تريسى ،

سارعت الكاميرات بالعمل ، وتصدرت هذه الصور صفحات الجرائد المسائية ...

هكذا نالت تريسى حريتها بمعجزة ، وأصبحت مطلقة اليد لتنفيذ خططها ...

وفى مدينة فيلادلفيا شاهد تشارلز ستانهورب صور تريسى وهى تغادر السجن ، فقال لنفسه : « انها لا تزال جميلة » .. وبدأ له وهو يتأمل الصور أن من المستحيل أن تكون ارتكبت جريمة من الجرائم التى أدبت بها ... وعندما تطلع الى زوجته المثالية التى جلست تطرز وأدعة فى مواجهته ، لم يتمالك أن ناجى نفسه مرة أخرى : « ترى هل أخطأت فى حقها ؟! » ...

وشاهد الصور أيضا دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التأمين وهو فى مسكنه فى نيويورك ... فلم يحفل مثقال ذرة باطلاق سراحها من السجن ، واقفل جهاز التليفزيون واستأنف فحص الملف الذى أمامه ...

أما جو رومانو فقد ضحك عاليا لرؤية نشرة الاخبار التليفزيونية وقال لنفسه : هذه المنت اللعوب محظوظة ... وأراهن أن السجن كان مصلحا لها ! ... ولابد انها الآن أطوع والين ! ... وربما نلتقى مرة أخرى ذات يوم ! ...

كان رومانو راضيا مفتبطا بنفسه .. فقد باع لوحة رينسوار الفنية الى تاجر المروقات ، واشتراها أحد هواة الفن فى مدينة زيورخ السويسرية ، وحصل هو على نصف مليون دولار من شركة التأمين ، ونصف هذا المبلغ من التاجر ... وكان من الطبيعى أن يقتسم الحصيلة كلها مع انطونى أورسانى ... إذ كان رومانو بالغ الدقة فى معاملاته معه ، خصوصا وقد رأى أمثلة لما أصاب أولئك الذين لم يكونوا مدققين فى معاملاتهم مع أورسانى ! ..

ظهر يوم الاثنين عادت تريسى ، فى شخصية لورين هارتفورد ، الى بنك « فيرست مير شاتنس » ... فى تلك الساعة كان البنك مزدحما بالمتعاملين ، وما أن لمحها ليستر تورانس الصراف المتحجب حتى هش فى وجهها قائلا : المسألة لم تكن سهلة ، لكننى أنجزتها من أجلك يا لورين ...

وفتح درجا وأخرج منه علبة شيكات قدمها اليها قائلا : إليك الشيكات : أربعمائة شيك على بياض ...

فشكرته بحرارة اذابت قلبه ، حتى قال لها : هل هناك مانع من
ان نتناول الغداء معا في مطعم هادىء ؟..
- هذه أمنية بالنسبة لى يالستر ...
- واين اكلهم بالتليفون يالورين ...
- آه ... سأطلبك انا يالستر ..

وتحولت عنه مبتعدة ، وسرعان ما حل محلها عميل آخر ، مما جعل
بيستر يشعر بالاحباط ...

وكان فى وسط البنك اربع مناخذ بها خانات تحتوى على
استثمارات بيضاء للإبداع والسحب ، ازدحم امامها عملاء يدونون
استثماراتهم ... وما أن خلت منضدة حتى احتلتها تريسى . وكانت
العلبة التى قدمها اليها ليستر تحتوى على ثمانى لفافات من الشيكات
البيضاء ، غير أن هذه لم تكن هى مطلب تريسى ، وانما استثمارات
الإبداع الموجودة خلف اللفافات ...

وبعناية تامة فصلت استثمارات الإبداع عن الشيكات ، وفى أقل
من ثلاث دقائق كان بيدها ثمانون استمارة ابداع .. وبعد أن تأكدت
تريسى أن أحدا لا يراقبها ، وضعت عشرين استمارة فى خانة
المنضدة ...

وانتقلت بعد هذا الى المنضدة المجاورة ، حيث وضعت عشرين
استمارة ابداع أخرى ... وفى غضون دقائق معدودة كانت بقية
استثمارات الإبداع قد احتوتها المناخذ الأخرى ... كانت
استثمارات الإبداع بيضاء ، ولكن كل واحدة منها كانت تشتمل
على رقم شفرى مغطس فى أسفلها ، يستخدمه الكمبيوتر فى
إبداع مختلف الارصدة ... ولم يكن مهما من يودع الرصيد ،
لان الكمبيوتر ، بفضل الشفرة المغنطة ، يقوم أوتوماتيكيا بتسجيل
رصيد جورومانو مع كل عملية ابداع ... ومن خلال خبرة تريسى
فى أعمال البنوك ، كانت تعرف أنه فى خلال يومين ستؤدى
إبصالات الإبداع المغنطة عملها ، وأنه ستمضى خمسة أيام على الأقل
قبل أن يكتشف هذا التلاعب .. وهذه الفترة كافية وأكثر لاتمام
مادبرت القيام به ..

وفى طريق عودتها الى الفندق ألقت تريسى بالشيكات البيضاء
فى سلة للنفايات ، إذ أن جو رومانو لن يحتاج اليها ..
وكانت خطواتها التالية هى دخول إحدى الوكالات السياحية

حيث قررت للعاملة المختصة انها سكرتيرة مستر جو رومانو ، وانها
تريد حجز تذكرة سفر مفردة له بالطائرة الى ريو دي جانيرو في
البرازيل ... وبعد ان رجعت العاملة الى الكمبيوتر قالت لها :
التذاكر كلها محجوزة ، الا تذكرة واحدة بالدرجة الاولى على طائرة
« بان اميريكان » المسافرة يوم الجمعة في السادسة والنصف
مساء ...

فقلت تريسي : سيكون مسرورا بهذا الموعد ...
- الاجرة ١٩٢١ دولارا . هل تدفع نقدا او بالتحويل ؟
- ان مستر رومانو يدفع دائما بنظام التحويل .. هل يمكن
ارسال التذكرة الى مكتبه يوم الخميس الساعة ١١ صباحا ؟ ..
- نعم ... والعنوان ؟ ..

فذكرت لها تريسي العنوان ، وشكرتها ، وانصرفت ..
وبعد مسيرة خطوات في نفس الشارع عرجت تريسي على محل
كبير للملابس الجاهزة وقالت للبائع الذي خف للترحيب بها :
- اريد شراء بذلات لزوجي من النوع الفاخر ، لاننا سنسافر في
رحلة ...

فقادها الى صف من البذلات الانيقة قائلا : انا متأكد ان واحدة
من هذه ستعجبه ... عندنا منها ثلاثة مقاسات .. اي مقاس
يمكن ان ...

- سأخذ بذلة من كل مقاس ..
- جميل .. هل سيكون الدفع نقدا او بالتحويل ؟ ..
- بالتحويل ، باسم جو رومانو ... هل يمكن ارسالها الى
مكتب زوجي يوم الخميس الساعة ١١ صباحا ؟ ... مع وضع
« انيشيال » مذهب بالحرفين ج ، ر ؟

- بالتأكيد يامسر رومانو ... سأشرف على هذا بنفسى ...
فشكرته تريسي ، وذكرت له العنوان ...

وفي مكتب شركة « وسترن يونيون » ارسلت برقية خارجية
خالصة الرد الى فندق « ريو بالاس » في مدينة ريو دي جانيرو
بالنص التالي : « الرجاء حجز افخر جناح اعتبارا من يوم الجمعة
القادم لمدة شهرين . نرجو تأكيد الموافقة برقيا . جوزيف رومانو -
٢١٧ شارع بويدراس ، نيواورليانز ، لويزيانا » ...

وبعد ثلاثة ايام اتصلت تريسي تليفونيا ببنك « فيرست ميرشانتس »

طالبة ليستر تورانس ، وبادرتها قائلة باتم رقة : ربما كنت لا تتذكرني
باليستر ... أنا لورين هارتفورد ، سكرتيرة مستر رومانو ..
فرد باشتياق قائلاً : طبعاً أتذكرك يا لورين ... لعلك لم تنسى
موعدنا للغداء ؟

— أنت لا تعرف كم أترقب هذا .. هل يناسبك الخميس
القادم يا ليستر ؟
— رائع ! ..

— اتفقنا إذن ... آه ، يا لغبأوتى .. انك أنسيتنى بعذب حديثك
سبب مكالمتى لك ... ان مستر رومانو كلفنى بمراجعة رصيده
فى البنك .. هل يمكن أن تعطينى الرقم ؟ ..
— لا مشكلة فى هذا .. حالا . ابقى على الخط يا لورين ..

وفى الاحوال العادية كان ليستر يسأل عن تاريخ الميلاد أو أى
دلالة أخرى لشخصية الطالب ، بيد أنه تجاوز عن ذلك فى هذه
المناسبة ... وتقدم من فوره الى السجل الخاص وسحب بطاقة
حساب جو رومانو وراح يفحصها بدهشة ... فقد وجد عدداً غير
عادى من الايداعات أضيفت الى رصيد رومانو فى خلال الايام القليلة
الماضية ... وكان سبب دهشته هو أن رومانو لم يحتفظ بمثل
هذه المبالغ الكبيرة من قبل ... ومع تعجبه من هذا فقد فكر
أن رومانو ربما كان يعد لصفقة كبيرة ، ومع ذلك لا بأس أن يطرق
هذه المسألة عند تناوله الغداء مع لورين ... وهكذا رد عليها
بالتليفون قائلاً : ان رئيسك شغلنا فى الفترة الاخيرة ، فقد بلغ
رصيده فى البنك أكثر من ثلاثة آلاف دولار ..

— آه ! ... بديع ! .. هذا هو الرقم الذى عندى .. الحقيقة
ان شكرى لك عظيم يا ليستر .. انت مدهش !
— انتظرى لحظة .. هل اتصل بك تليفونيا فى المكتب بخصوص
موعدنا يوم الخميس ؟ ..

— أنا الذى سأصل بك يا عزيزى ...
وقطعت المكالمة التليفونية ...



كانت شركة باسيفيك للاستيراد والتصدير تحتل الطابق الرابع
بأكمله فى المبنى العصرى الفخم المملوك لانطونى اورساتى ، وكانت
مكتب اورساتى تحتل القسم الاكبر من الجناح ، وفى مواجهتهما

القسم المخصص لجورومانو ... وكان الحيز الفاصل بين القسمين مخصصا لاربع سكرتيرات حسناوات كانت مهمتهن استقبال اصدقاء انطونى اورساتى وارباب الاعمال ... وامام جناح اورساتى كان يجلس رجلان عملاقان حياتهما مكرسة لحراسة « الزعيم » ، كما كانا يعملان سائقين لسياراته ، ورسولين لمهامه ...

وفى صباح يوم الخميس هذا كان اورساتى جالسا فى مكتبه يراجع حصيلة اليوم السابق من ايرادات عشرات الانشطة السرية التى تشرف عليها شركة الاستيراد والتصدير ...

كان انطونى اورساتى فى اخريات العقد السادس من عمره ضخم الجسم ، قصير الساقين بما لا يتناسب مع ضخامته ، حتى أنه لو وقف لبدا مثل ضفدعة جالسة ... وكان وجهه الذى تقاطعت فوقه آثار الجروح يضم فما كبيرا وعينين سوداوين جاحظتين ، تحت رأس أصلع تكسوه « باروكة » .. وكانت عيناه بصفة خاصة مثل عيني مقامر لا تتمان عن شيء من الانفعالات ، إلا حين يكون مع بناته الخمس اللاتي يعبدن عبادة .. وكان صوته محشرجا رنانا نتجة سلك لف حول عنقه فى عيد ميلاده الخامس والعشرين حين تركه المهاجمون ميتا أو كالميت ... أما الرجلان اللذان وقعا فى هذه الفلطة فقد كان مصيرهما فى المشرحة فى الاسبوع التالى ... وعندما كان اورساتى يستشار ، كان صوته يخفت الى حد الهمس المختنق الذى لا يكاد يبلغ المسامع ...

لقد كان انطونى اورساتى ملكا يدير مملكته بالرشاوى والمسدسات والابتزاز ... كان يسيطر على مدينة نيو أورليانز ، وكانت تدين له بالخضوع فى شكل ثراء لا حصر له ... وكان « زعماء العائلات » الأخرى فى طول البلاد وعرضها يحترمون ويلتمسون على الدوام مشورته ...

وفى هذه المناسبة كان انطونى اورساتى فى حالة نفسية راضية : فقد افطر مع عشيقته ، تلك التى افرد لها مسكنا باذخا فى عمارة يمتلكها فى « ليك فيزتا » ، حيث كان يزورها ثلاث مرات كل اسبوع ، وكانت زيارة هذا الصباح نعيما يملأ النفس انشراحا ، حتى كان اورساتى يعتقد اعتقادا جازما بأنها متيمة بحبه ... والى هذا كانت « منظمته » تسير بدقة واحكام ، خلوا من أية مشاكل ، ايمانا من اورساتى بأن المبادرة الى حل المشاكل فى بدايتها هو

خير سبيل لتفادى تضخمها واستحالتها الى مشاكل فعلية .. وهذا
المبدأ هو مآلقنه لمساعدته جو رومانو ...

كان اورساتى يحب رومانو حبا جما .. كان بمثابة ابن له ..
لقد التقطه اورساتى منذ كان صبيا يسرح بالمشروبات فى الازقة ،
واشرف بنفسه على تدريبه وتلقينه أسرار المهنة حتى تفوق وأصبح
ساعده الايمن ، وغدا يشرف على كافة عمليات « العائلة » ، ولا
يدين بالطاعة والولاء الا لاورساتى ، رب نعمته ...

كانت الساعة فى هذا الصباح قد اشرفت على الحادية عشرة ،
وعندما دخلت عليه سكرتيرته الحسناء لوسى تلقاها بالامتعاض ،
اذ كان قد أمر بعدم مقاطعته قبل الظهر ولكنها قالت له :
انا آسفة لمضايقتك يا مستر اورساتى .. معى على التليفون مس
جيجى دوبريه التى تبدو فى حالة هستيرية ، لكنها لاتريد أن تقول
لوى ما عندها ... انها تصر على التحدث معك شخصيا ، وفكرت
أن المسألة ربما كانت هامة ...

راح اورساتى يدير هذا الاسم فى ذاكرته التى بعدها قسوية
لا تنسى ، فلم يجد صدى للاسم لديه ... على أنه من قبيل حب
الاستطلاع رفع سماعة التليفون مشيرا للسكرتيرة بالخروج ،
وقال :

- نعم ؟ .. من المتكلم ؟ ..

فجاءه صوت تشويه لهجة فرنسية تقول صاحبه : آه ! ...
الحمد لله اننى توصلت اليك يا « مستر » اورساتى ! .. لابد أن
تمنعه بربك ! ..

- ياسيدة .. انا لا اعرف عنى تتكلمين ، وانا مشغول ...

- هوجو رومانو ، حبيبى ... لقد وعد أن يأخذنى معه .. انه
كذب على .. اكتشفت أخيرا أنه سيسافر الى البرازيل بدونى ...
ان نصف مبلغ الثلاثة آلاف دولار الذى سيأخذه معه هو من
حقى ! ..

بدأ اورساتى يهتم بعد أن كان يستمع متأفقا ، وقال : أى مبلغ
هذا الذى تقولين عنه ؟ ..

- المبلغ الذى كان جو يخفيه فى حسابه الجارى فى البنك ...
المبلغ المسروق ! ..

تزايد اهتمام اورساتى بتأثير هذه البيانات التى لم يكن يعرفها ،

بينما مضت المتكلمة تقول بلهجتها الهستيرية : أرجوك أن تقسول
لجو انه لابد ان ياخذنى معه الى البرازيل ...
فقال اورساتى فى النهاية بلهجة مستطيرة : نعم ... سسأهتـم
بهذه المسألة ...



كان مكتب جو رومانو الفخم مؤسساً على أحدث طراز ، تزدان
حدرانه بتلك اللوحات الفنية للمشاهير ... نعم انه نشأ فى ازقة
نيو أورليانز ، ولكنه استطاع أن يرتقى بتعليمه وذوقه الفنى حتى
أصبح يفاخر بأنه من عشاق الفن والموسيقى ، وفى حين أن أضرابه
ونظراءه كانوا يعتمدون فى بقائهم على القوة البدنية والبطش ، فقد
نجح هو فى استخدام مواهبه العقلية ... وإذا كان اورساتى
يسيطر على نيوأورليانز حقاً ، فمن الحق أيضاً أن جورومانو هو
الذى يديرها لحسابه ...

ونراه الآن وقد دخلت عليه سكرتيرته قائلة : حضر مندوب ومعه
تذكرة سفر بالطائرة الى ريودى جانيرو ، ويطلب الثمن .. هل
أكتب له شيكاً ؟ ..

هز رومانو رأسه وقال : ريودى جانيرو ؟ .. قولى له ان المسألة
فيها غلط ...

وكان المندوب لدى الباب ، فقال : اخبرونى ان أسلم التذكرة
الى جو رومانو فى هذا العنوان ...

- لا بأس .. اخبروك غلط .. هل هى مداعبة من شركة
الطيران ؟ ...

- لا ياسيدى .. انا ..

- دعنى أرى التذكرة ... يوم الجمعة ؟ .. ولماذا أسافر الى
ريو يوم الجمعة ؟ ..

فقال انطونى اورساتى الذى وقف لدى الباب خلف المندوب :
- سؤال وجيه .. ما الذى يدعوك الى السفر يا جو ؟ ..

فقال رومانو وهو يرد التذكرة الى المندوب : لابد انها غلطية
سخيفة .. ردها من حيث جاءت و ...

بيد ان اورساتى تناول التذكرة وفحصها قائلاً : التذكرة تبين
انها فى الدرجة الأولى ، الى ريودى جانيرو ، يوم الجمعة ، ذهناً
فقط ...

فضحك رومانو قائلا : هناك غلطة ولاشك ... اتصلى يا مادج
بشركة الطيران وابلغيها انهم غلطوا غلطة سخيفة ، وان مسافرا
مسكينة سيفقد مقعده فى الرحلة ...

وفى هذه اللحظة دخلت مساعدة السكرتيرة قائلة : معذرة
ب مستر رومانو ... البدلات وصلت ... هل تريد ان امضى
بالاستلام ؟ ...

حملق فيها رومانو قائلا : ايه بدلات ؟! ... انا لم اطلب اى
بدلة ! ...

ولكن انطونى اورساتى استبقه قائلا : هاتى البدلات ...
بينما هتف رومانو : يا السماء ! .. هل جن كل انسان ؟..
ولما دخل المندوب بالبدلات هتف رومانو مرة ثانية : ما هذا
كله ؟! ... انا لم اطلب اى بدلات !.. خذها الى جهنم !..
فقال اورساتى وكان يفحص الملابس : انها تحمل حرفى اسمك
مذهبا باجو ! ..

- ماذا ؟! .. آه !.. مهلا .. ربما كانت هدية !..

- اهو عيد ميلادك ؟!

- لا .. ولكنك تعرف طبيعة الصديقات ياتونى ... يتحفنك
دائما بالهدايا ! ..

فقال انطونى اورساتى : عندك مايمك فى البرازيل ؟
فرد رومانو ضاحكا : البرازيل ؟!.. لابد ان هذه دعابة
ياتونى ! ..

انتسم انطونى اورساتى انتسامة رقيقة ، وبعد ان اشار الى
السكرتيرتين بالخروج سألته : ما هو رصيدك فى البنك باجو ؟..
تظلم اليه رومانو متحيرا ، ثم اجاب : لا اعرف بالضبط ..
الف وخمسمائة دولار كما اظن ، وربما الفان ... لماذا ؟!
- للمزاح فقط .. لماذا لا تتصل بالبنك وتعرف بالضبط ؟..
- ليكن .. مادام هذا يرضيك ...

وبعد ان اوصلته السكرتيرة بالبنك قال لرئيسة الحسابات :
انا جو رومانو .. ارجو افادتى عن رقم رصيدى فى البنك ..
تاريخ ميلادى هو ١٤ اكتوبر ...

وفى نفس الوقت التقط انطونى اورساتى وصلة التليفون
لستمع ، وبعد قليل جاءه الرد : رصيد حسابك حتى هذا اليوم

بامستر رومانو هو ثلاثة آلاف وتسعمائة وخمسة دولارا واثنتان وثلاثون سنتا ...

شعر رومانو بالدم ينحسر من وجهه وهو يصيح قائلا : بامفلة ! لست أملك مثل هذا المبلغ فى حسابى ! ... هناك غلطة شنيعة ! دعيني اكلم ...

غير انه الفى سماعة التليفون تسحب من يده وترد الى مكانها ، وصوت انطونى اورساتى يقول له : من أين جاء هذا المال يا جو ؟ اجاب رومانو وقد اصفر وجهه : أقسم بالله ياتونى اننى لا اعرف شيئا من هذا المبلغ ! ... - صحيح ؟ ...

- لابد ان تصدقنى ! .. مؤكد انها مكيدة من احدهم ! .. - لابد انه شخص يحبك كثيرا ... فأهداك هدية وداع بمبلغ ثلاثة آلاف دولار ! ..

وتهالك اورساتى فى المقعد الحريري وراح يتأمل رومانو طويلا ، ثم استطرد قائلا بأنهم هدوء : كل شيء تم تدبيره باحكام ، اليس كذلك ؟ .. تذكرة سفر ذهابا الى ريو ، وبدلات جديدة .. كمب لم كنت تخطط لحياة جديدة متواصلة ! ..

نقال جو رومانو فى فزع شديد : كلا ! .. يااللهى ! .. انت تدبرنى احسن من هذا ياتونى ! .. اننى كنت على الدوام قويما معك ! .. انت مثل اب لى ! ..

واخذ يتصبب عرقا .. وفى هذه اللحظة طرق الباب ، واطلت مارج براسها ممسكة بمظروف ... وبفريزة وحش حوصصر قال لهاجو رومانو : ليس الان ! .. انا مشغول ! .. - سأخذ انا المظروف ...

قال اورساتى هذا وهو ينهض قائما قبل ان تغلق السكرتيرة الباب ، وتمهل فى قراءة البرقية الواردة ، ومالبت ان ركز عينيه فى رومانو قائلا : بصوت شديد الخفوت حتى لم يكدر رومانو يسمعه سأقراها لك يا جو .. انها تقول : « يسرنا تأكيد حجزكم لجناح الاميرة بفندقنا لمدة شهرين اعتبارا من يوم الجمعة القادم اول سبتمبر » ... والبرقية بامضاء مدير فندق « ريو بالاس » فى ريو دى جانيرو ... اليس هذا طلبك ؟ .. لكنك لن تحتاج الى الجناح المحجوز ! ..

الفصل الثالث عشر

فوجيء اندريه جيلان الطاهى الفرنسى فى منزل المحامى بيرى بوب وهو منهمك فى اعداد الوليمة الوشيكة بصوت قاصف اعقبه توقف جهاز التكيف عن العمل ...

يا للمفاجأة !.. سوف يقضب مخدمه ولا ريب ، اذ كان اندريه يعرف انه يعتز كثيرا بهذه السهرة الاسبوعية ، كل يوم جمعة ليلا ، حيث تدار لعبة البوكر الحافلة ، مقترنة بالعشاء الفاخر ... كانت تقليدا مستمرا يتواصل منذ اعوام ، بحضور هؤلاء الصنفوة من المقامرين المعروفين .. وبدون هواء مكيف يقدو المنزل خائقا لا يطاق لشدة الحر والرطوبة فى طقس سبتمبر هذا فى نو أورليانز ...

كانت الساعة الرابعة ، وسوف يصل الضيوف فى الساعة الثامنة ... فكر اندريه فى مكالمة مستر بوب تليفونيا ، لكنه كان قد أخبره انه سيظل مشغولا فى المحكمة طول اليوم ، وسيكون بعدها فى حاجة الى الراحة ...

هكذا أسرع اندريه الى التليفون واتصل بشركة اسكيمو للتكيف ، فرد عليه صوت الانسان الآلى يقول أن جميع الفنيين مشغولون ، وان له أن يذكر الاسم والعنوان ونوع الخلل ، لكى يبادروا بالحضور لاصلاحه بأقرب وقت ممكن ... فامتثل اندريه على مضض وهو يحسب الف حساب لغضب المحامى اذا لم يتم الاصلاح قبل موعد الاجتماع .. فان مخدمه الشاب شخصية مرموقة لافى دوائر المحاماة والقضاء فقط ، ولكن كذلك فى الاوساط الاجتماعية الكبيرة ... وهكذا مضى اندريه فى اعداد اصنافه الممتازة وهو يتفصد هرقا ...

وشد ماتنفس الصعداء عندما رن جرس الباب بعد نصف ساعة ، فأسرع لفتح الباب الخلفى ، حيث وجد أمامه رجلين فى ملابس العمال أحدهما زنجرى طويل القامة ، والثانى ابيض وأدنى منه طولا ...

ومن كذب وقفت فى الممشى سيارة الخدمة ... وقال الزنجرى :

هل عندكم مشكلة بخصوص جهاز التكييف ؟ ..

- نعم ... شكرا للسماء انكم حضرتم ! .. ارجو ان تعملوا على اصلاحه حالا ، فعندنا ضيوف سيحضرون عاجلا ...

تقدم الزنجى الى الفرن وتشم رائحة « التورتة » قائلا :

- يا لها من رائحة لذيذة ! ..

- ارجوك ان تسرع ، فلا وقت امامنا ! ..

وقادهما اندريه الى غرفة التكييف المركزى ... فركع الرجل الابيض المدعو رالف امام الجهاز وفتح بابا صغيرا عند اسفله واخرج بطارية ثم انبطح على بطنه وجعل يمين النظر فى الداخل .. وبعد برهة نهض قائما وقال : ليس الخل هنا ..

فقال اندريه : واين هو اذن ؟ ...

- لابد انه احتراق فى احد المنافذ ، ادى الى عطل فى الجهاز كله ... كم وحدة تكييف عندكم ؟ ..

- توجد وحدة فى كل غرفة ... مجموعها ٩ وحدات على الاقل ..

- ربما كان العطل فى واحدة منها .. لابد من القاء نظرة للفحص ...

وعاد الثلاثة الى الصالة ، وفى مرورهم بغرفة الجلوس قال آل الزنجى : هذا مكان جميل فعلا ! ..

كانت غرفة الجلوس فاخرة الاثاث حقا ، امتلات بالوان مسن التحف الثمينة تساوى وحدها ثروة ... والى مسارها قامت غرفة طعام رحبة الجنبات ، وعن يمينها مخدع توسطته مائدة قمار كبيرة مكسوة بالجوخ الاخضر ... وفى ركن من المخدع نصبت مائدة مستديرة أعدت لطعام العشاء ... وفى هذا المكان توقف العاملان للفحص ، ثم اخرج الزنجى آل بطاريته وسلطها على منفذ التكييف فى أعلى الحائط ... ومالبث أن تطلع الى السقف فى المكان الذى يعلو مائدة القمار وغمغم : ما الذى يوجد فوق هذه الغرفة ؟ .

- غرفة السطح ...

- لنصعد اليها لالقاء نظرة ..

وتبع العاملان اندريه الى الغرفة العلوية ذات السقف الواطئ التى كانت متربة تتناثر فى زواياها اعشاش العناكب ... وتقدم

آل صندوق كهرباء فى الحائط ، ففحص أسلاكه المتشابكة ثم غمغم :
... آ

فسأله أندريه بلهفة : هل وجدت شيئا ؟ ..

- المكثف تالف ... بسبب الرطوبة .. ولا بد من استبداله ..

- هل يأخذ هذا وقتا طويلا ؟ ..

- لا .. معنا مكثف جديد فى السيارة ..

- أرجوك بالله أن تسرع ! ان مستر بوب سيعود قريبا !

- دع كل شيء لنا .. عد أنت الى مطبخك مطمئنا ، وسنقوم
نحن بكل شيء ...

- أشكركم ! .. أشكركم ! ..

وعاد أندريه الى المطبخ مطمئنا ... وخرج العاملان الى السيارة
ورجعا بكيسين كبيرين صعدا بهما الى غرفة السطح ، ففتحا
الكيسين وأخرجتا كرسيًا منطويا ومثقابا من الصلب ومنظارا مكبرا
لرؤية الأشياء الدقيقة وأدوات لحام ، الى جانب طبق شطائر
وعلبتى بيرة .. ثم انهما فى العمل ... وضحك آل قائلا وهما
يستفتحان : ان أرنستين ستكون فخورة بى ! ...

وفى بداية المهمة رفض آل الفكرة بعناد ، قائلة لحبيبته أرنستين :
لا بد أنك فقدت عقلك يا امرأة ! .. لن يكون لى شأن ضد شخصية
خطيرة مثل المحامى بيرى بوب ، والا حطمنى فى ضوء النهار ! ..
كان هذا الحديث يدور بينهما فى مسكن أرنستين بعد الافراج
عنها ، ولما رأى أصرارها سألها : لحساب من تريدان أن أقوم
بهذه العملية ؟ ..

- انها من أجل صديقتى تريسى ...

كان آل يميل الى تريسى بعد أن تناول ثلاثتهم طعام العشاء معا
يوم خروجها من السجن .. ولمزيد من الاقناع قالت له أرنستين :
إذا لم نساعدنا فى هذه المهمة فسوف تضطر الى الاستعانة بشخص
آخر لا يكون له مثل مهارتك ، وإذا قبضوا عليها فلن تنجو من
السجن مرة أخرى ... اننى وضعتها تحت حمايتى أيام السجن ،
ولن اتخلى عنها بحال ...

وفى النهاية أذن آل لأرنستين ، واتفقا على الاستعانة بصاحبه
رالف الذى أفرج عنه مؤخرا ...

وكانت الساعة السادسة والنصف عندما رجع العاملان الى اندريه
فوق المطبخ يكسوهما العرق والاثربة ... ولما سألهما بلهفة ان
كان الاصلاح تم ، اجاب آل : نعم ... وبعد خمس دقائق سيدور
التكييف كما لو كان جديدا ..

— مدهش ... اذا تركتما الفاتورة على المائدة فان ...
فهز رالف راسه قائلا : لا تشغل بالك ... ستقوم الشركة
بالمطالبة .

— بارك الله فيكما ! ...

وراقبهما اندريه وهما ينصرفان من الباب الخلفى حاملين كيس
الادوات ... ولما غابا عن نظره دارا في الفضاء الى موضع صندوق
المكيف الخارجى لوحدة التكييف حيث رفع رالف بطاريته بينما
تولى آل اعادة توصيل الاسلاك التى كان قد فصلها منذ نحو
ساعتين ، وسرعان ما دبت الحياة فى جهاز التكييف كله ..

وقبل انصرافهما كتب آل رقم التليفون المدون على الجهاز ،
وفى الطريق اتصل تليفونيا بشركة الاسكيو للتكييف وابلغ الانسان
اللى الذى رد عليه قائلا : هنا مسكن بيرى بوب بشارع تشارلز رقم
٤٢ ... ان جهاز التكييف عندنا عاد الى العمل بصورة مرضية ..
لا تكلفوا خاطرکم بأرسال مندوب للاصلاح ... ليلتكم سعيدة ! ..



كانت سهرة « شلة » الجمعة للعب القمار فى منزل بيرى بوب
مناسبة حافلة يتطلع اليها اللاعبون باشتياق ... كانوا دائما
نفس المجموعة « المختارة بعناية : انطونى اورساتى ، وجو رومانو ،
والقاضى هنرى لورانس ، وعمدة المدينة ، والسيناتور عضو البرلمان
ومضيفهم بالطبع ... وكانت مبالغ اللعب ضخمة ، والطعام ممتازا
والجمع كله يمثل أوج القوة والسلطان ...

ووقف بيرى بوب فى غرفة نومه يغير ملابسه ويترنم هائلا قرير
العين ، مفكرا فى الامسية المرتقبة الموعودة ، خصوصا فى حظه
الذى لازمه التوفيق فى العهد الاخير ، حتى لم يتمالك ان قال
لنفسه : ان حياتى كلها فى الواقع كانت دائما مناط التوفيق
والربح ...

قلو ان احدا فى نيو اورليانز احتاج الى خدمة قضائية ، لم

بكن امامه سوى يرى بوب المحامى ليقضيها له .. وكانت قسوة ناعمة من اتصالاته بعائلة اورساتى ... كان معروفا باسم « مدير الامور » ، الذى يستطيع تسوية أى شيء ابتداء من مخالفة مرور ، الى تهمة الاتجار بالمخدرات ، الى جريمة هتك عرض أو قتل ... هكذا كانت الحياة امامه رغدة ناعمة ...

وعندما حضر انطونى اورساتى أخيرا ، كان بصحبته ضيف ، وكان اول ما قاله : ان جو رومانو لن يشاركنا اللعب بعد الآن .. كلكم تعرفون مفتش البوليس نيوهاوس ...

وتصافح الضيوف جميعا ... وقال يرى بوب : المشروبات على المائدة أيها السادة ... وسنتناول العشاء فيما بعد ... لماذا لا نبدا جولة صغيرة فى اللعب ؟ ..

واتخذ الرجال مقاعدهم المعتادة حول المائدة الخضراء .. ولم يلبث اورساتى أن أشار الى مقعد جورومانو الخالى وقال للمفتش نيوهاوس : ان هذا سيكون مجلسك ياميل من الآن فصاعدا ..

وبينما قام احد الرجال بفتح مجموعات جديدة من أوراق اللعب، بدأ يرى بوب بتوزيع « فيشات البوكر » ... وشرح للمفتش نيوهاوس قائلا :

— الفيشات السوداء بخمسة دولارات ، والحمراء بعشرة دولارات ، والزرقاء بخمسين دولارا ، والبيضاء بمائة دولار ... وكل واحد يبدأ اللعب بشراء ما قيمته خمسمائة دولار من الفيشات ...

فقال له المفتش : هذا كلام طيب فى نظرى ...
وأما انطونى اورساتى فقد بدا متعكر المزاج ، اذ قال : لنبدأ دون تأخير ...

كان صوته اقرب الى الهمس المخبئ ، وهذه علامة سيئة ... وكان يرى بوب يتوق بكل مشاعره الى معرفة ماذا حل بجو رومانو، بيد ان المحامى كان أعقل من ان يطرق هذه المسألة .. ان اورساتى يمكن ان يناقشها معه عندما يتهاى لذلك ...

وفى الحق ان افكار اورساتى كانت سوداء وهى تدور حول هذا المدار : اننى كنت بمثابة الاب لجو رومانو ... لقد منحته ثقتى ، وحملته ساعدى الايمن وكبير اعوانى .. فاذا ابن اللئام يطعننى فى

الظهر ... ولو أن تلك المرأة الفرنسية اللعوب لم تتصل بى تليفونيا
لاستطاع الافلات من قبضتى بغنيمته !... لا بأس .. لن يستطيع
الآن الافلات بأى شيء وهو سابح مع الاسماك فى الاعماق !..
- تونى ! .. هل أنت معنا ، أو خارج اللعب ؟..

وبهذا النداء عاد انطونى أورساتى باهتمامه الى اللعب .. كانت
مبالغ ضخمة تدور فوق هذه المائدة بين المكسب والخسارة ...
وكان يزعج انطونى أورساتى دائما أن يخسر ، وإن لم يكن ذلك بسبب
المال .. فهو لا يطيق أن يكون فى الجانب الخاسر لاي شيء .. وما كان
يرى فى نفسه الا الرابع الذى هيأته الطبيعة للربح ... فالرابحون
هم فقط الذين يرتقون الى مكانته فى الحياة ... وقد حدث خلال
الاسبوع الستة الاخيرة أن يرى بوب ظل على الدوام هو الرابع
على نحو جنونى ، فاعتزم انطونى أورساتى أن يكسر هذه الظاهرة
الشاذة فى ليلته تلك ...

ولكن بالمعجب العجيب ... لقد تنوعت اساليب اللعب هذه
الليلة ، ولكن على الرغم من تنوعها فقد ظل انطونى أورساتى فى
الجانب الخاسر ... ومن ثم أخذ يضاعف المبالغ التى يلعب بها ،
مستميتا غاية الاستماتة ، محاولا تعويض خسائره ... وما أن
تنصف الليل عندما توقف اللاعبون لتناول العشاء الفاخر الذى أعده
اندريه الفرنسى ، حتى بلغت خسائر أورساتى خمسين ألف دولار ،
وبرى بوب هو الرابع الاكبر ! ...

كان الطعام سائفا حقا ، وكان أورساتى عادة يستمتع بعشاء
منتصف الليل هذا ، غير أنه بدا هذه الليلة نافذ الصبر متعجلا
للعودة الى المائدة الخضراء ...

قال له ببرى بوب : أنت لا تأكل يا تونى ...

- لست جائعا ...

ومد أورساتى يده الى اناء القهوة الفضى بجانبه وصب القهوة
فى فنجان الخزف الثمين وانتقل وحده الى المائدة الخضراء وجعل
يراقب رفاقه وهم يأكلون ، متمنيا أن يسرعوا ... كان يتعجل
استرداد المبالغ التى خسرها ... وفيما هو يبدأ فى قلب القهوة
اذ سقطت قطعة صغيرة من الملاط فى الفنجان .. فعمد فى استيائه
الى رفعها بملقعة ، وفحصها ... بدا أنها قطعة ملاط فعلا ...

فرفع نظره الى السقف ، واذا شيء يصيبه في جبينه .. وفجأة
احس بجلبة شيء يمرق فوق راسه .. فهتف :

- ما الذي يحدث فوق السقف بحق الشيطان ؟ ...

كان يرى بوب منهمكا في سرد نكتة للمفتش نيوهاوس ، فقال :
انا آسف ... ماذا قلت يا توني ؟ ..

كانت جلبية الشيء المارق اشد وضوحا الآن ... وبدأت قطع
الملاط الصغيرة تتساقط تباعا فوق المائدة الخضراء ... فقال
السيناتور : يبدو لي ان عندك بعض الفئران ! ..

فرد يرى بوب مهتاجا : لا يكون هذا في بيتي ! ..

فزمجر أورساتي قائلا : يا للجحيم ! .. هناك شيء عندك ! ...

وسقطت هذه المرة قطعة كبيرة من الملاط فوق المائدة الخضراء

فرفع انطوني أورساتي عينيه الى السقف مرة أخرى ولمح فيه فتحة
صغيرة فوق راسه مباشرة ، واذا هو يقول : غريب ! ... هلموا بنا
نلقى نظرة على ما هناك ! ..

ونهض أورساتي واتجه الى السلالم ، بينما نظر الآخرون بعضهم
الى بعض ، ثم أسرعوا خلفه .. وعندما وصلوا الى باب غرفة
السطح دفعه أورساتي وأضاء يرى بوب النور ... فلمحوا فأرین
يتسابقان بجنون حول الغرفة ، حتى لم يتمالك يرى بوب ان هتف
يا الهى ! .. فئران في بيتي ! ..

اما انطوني أورساتي فلم يكن منصتا اليه .. كان يحدق في
الغرفة ... فوقع نظره في وسطها على كرسي من القماش المنطوي
وفوقه لفافة شطائر وعلبتي بيرة مفتوحتان ومنظفان مكبر صغير
انحجم ... فتقدم نحوها وتناولها واحدا واحدا وأخذ يفحصها
وما لبث ان رجع على الأرض التربة وأزال الاسطوانة الخشبية
الصغيرة التي كانت تخفي الفتحة التي تم ثقبها في سقف الغرفة
التحتية ... ومن خلال هذه الفتحة بدت له مائدة القمار جليسة
واضحة ...

لقد وقف يرى بوب في وسط غرفة السطح منعقد اللسان
مشدوها ... وما عثم ان هتف : من بحق الشيطان وضع هذه
الاشياء هنا ؟ .. ساحاسب أندريه عن هذا حسابا شديدا ! ..

ثم نهض أورساتي متباطئا ونفض التراب عن ملايسه ... ونظر

يرى بوب الى الارض ، فلم يتمالك ان هتف : انظروا ! .. انهم تركوا فتحة لعينة في الارض ! ... ان عمال هذه الايام غاية في الاهمال ! ...

وقرفص يرى بوب والقي نظرة من خلال الفتحة ، واذا وجهه بمنقع فجأة .. ومالبت ان قام ونظر حوائيه زائغ البصر ، فاذا الجميع يحملقون فيه .. فراح يقول :

- لعلكم لا تظنون اننى .. تكلموا يارفاق ! .. انا لا اعرف شيئا عن هذا ! .. انا لا يمكن ان اغشكم في اللعب ! .. يا الهى ! .. انا اصدقاء ! ..

وارتفعت يده الى فمه وبدأ يعض على ابهامه محتدما .. فما كان من اورساتى الا ان ربت على ذراعه قائلا بصوت لا يكاد يسمع :

- هون عليك ، ولا تشغل بالك ! ..

ولكن يرى بوب لم يكف فى يأسه عن غرس أسنانه فى لحم ابهامه ...

الفصل الرابع عشر

قالت الزنجية ارنستين ضاحكة : هاهما اثنان قد سقطا ! ... الدائر على الالسنه فى الشارع ان صاحبك المحامى يرى بوب لن يمارس المهنة بعد الآن ... فقد أصيب فى الحادث أصابة قاتلة ! ...

كانت تريسى - ورنستين تتناولان القهوة باللبن والبسكويت فى مقهى صغير بشارع رويال ... وقد مضت ارنستين تقول : أنت ذات ذكاء خارق وعقلينة جبارة يا بنيتى ! .. هلا انضممت الى للاشتراك معا فى العمل ؟ ...

- أشكرك يا ارنستين ... عندي مشروعات أخرى ..

فقالت ارنستين بلهفة : على من الدور ؟ ..

- لورانس .. القاضى هنرى لورانس ...

لقد بدأ هنرى لورانس حياته العملية محاميا صغيرا فى بلدة ليزفيل ... ولم تكن له ميول الى القوانين ، ولكنه كان يحظى بموهبتين بالفتى الاهمية : شكله المهيّب ، ومرونته الاخلاقية ...

كانت فلسفته قائمة على اعتبار القانون كعود طرى يمكن ثنيه لكى يلائم حاجات الموكلين ... وبهذه النظرة التى استحوذت على عقله ، لم يكن مما يدهش أنه بعد فترة قصيرة من انتقاله الى مدينة نيو أورليانز ، ازدهرت ممارسته للمحاماة مع طبقة خاصة من الموكلين ... وهكذا تطورت معاملاته القضائية من معالجة مخالفات المرور والجنح الصغيرة الى قضايا السرقات وجرائم القتل ، وامتد تأثيره بعد ذلك الى ذم المحلفين انفسهم ، حتى أصبح خبيرا فى هذا المجال ، مستعينا فى هذا بالرشاوى وتسفيه شهادة الشهود بالباطل والتلفيق ... وهكذا كان هو الرجل الذى ينشده انطونى أورساتى ، اذ كان محتما ان تتلاقى طرقهما وتتوحد ... كان التلاقى بمثابة زواج فى عالم « المافيا » .. وغدا لورانس البوق الناطق باسم « عائلة أورساتى » ... وعندما حان الوقت للملائم ، عمل أورساتى على رفعة الى مرتبة القضاة ...

وفى الحديث بين أرنستين وتريسي قالت تلك : لا أعرف كيف يمكنك الإيقاع بالقاضى لورانس .. هو غنى ، وقوى ، ومنيع الجانب ...

بيد أن تريسي كانت قد رسمت خطتها ، وان اضطرت بعد ذلك الى تعديلها بعد أن اتصلت بمكتب القاضى لورانس تليفونيا وعلمت من سكرتيرته بعد محاورة ومداورة أنه فى الخارج مع بعثة قضائية .

قالت تريسي للسكرتيرة وذهنها يعمل كخطف البرق : أنا اليزابيث داستين رئيسة رابطة المحامين الأمريكية ، وقد قررنا اقامة حفلة السنوى يوم ٢٠ الجارى لمنح الجوائز ، ووقع الاختيار على القاضى هنرى لورانس ليكون « رجل العام » ..

— هذا بذيع ... ولكن يؤسفنى أن أقول أن فخامته لن يعود قبل هذا الموعد .

— بالسوء الحظ ... اننا كنا نتطلع الى سماع أحد خطابه المتميزة ... أن هذا الاختيار تم بإجماع اللجنة الخاصة .. هل يمكن أن أعرف مقره الحالى للاتصال به ، وأنا كفيفة بالحصول على موافقته حتى لا تفوته هذه المناسبة الاعلامية الكبيرة ...

لقد اعتذرت السكرتيرة اول الامر عن الانضاء بمعلومات عن مكان وجود القاضى ، بيد أن تريسي مازالت بها حتى قبلت أخيرا ،

وقالت لها : يمكنك الاتصال به فى موسكو ، بفندق روسيا .. انه سيبقى هناك مدة خمسة ايام ، وبعد ذلك ...

— بديع .. سأصل به فوراً .. شكرى لك عظيم ! ..
وارسلت البرقيات الثلاث الى القاضى هنرى لورانس بعنوانه فى فندق روسيا ، اولها بالنص التالى :
١ — « عن المجلس القضائى الاجتماع اتفق عليه ورتب »
« اكدوا التاريخ المناسب كما ان الاماكن »
« مثلما طلبتم » .

« بوريس »

٢ — وكانت البرقية التى ارسلت اليه فى اليوم التالى بهذا النص :

« اخطرونا ماهى خطط السفر طائرة اختكم »
« وصلت متأخرة لكنها هبطت بأمان فقدت »
« الجوازات والنقود فقط واختكم »
« وضعت فى فندق اولى سويسرى سنعمل على »
« تسوية الحساب فيما بعد — بوريس »
٣ — وكانت البرقية الاخيرة كما يلى :
« بالاتصال بالسفارة الامريكية تحاول اختكم ما امكن »
« الحصول على جواز لا معلومات الآن » .
« عن فيزا جديدة السويسريون ينظرون الى الروس »
« بالتقدير سنرسل اختكم بالباخرة فى هذه المرة قريباً »
« بوريس »

وجلست المخابرات الروسية تنتظر لترى ان كانت هناك برقيات اخرى ... ولما لم ترد برقيات جديدة قبض على القصاصى لورانس ...

وقد دام استجوابه عشرة ايام بلياليها :

« لمن ارسلت المعلومات ؟ .. » ..
« أية معلومات ؟ .. انا لا اعرف ماذا تقصدون » ..
« تقصد الخطط .. من الذى امطاك الخطط ؟ » ..
« أية خطط ؟ .. »

« الخطط المتعلقة بالفواصة النووية السوفيتية » ...
« لا بد انكم جننتم ! .. ماذا ادرانى عن فواصات سوفيتية ؟ »

« هذا مانوى أن نكتشفه .. مع من كانت اجتماعاتك السرية ؟ »
« أية اجتماعات سرية ؟ .. ليست عندى أسرار » ...
« حسنا .. اذن يمكنك أن تخبرنا من هو بوريس » ...
« بوريس ؟ .. أى بوريس هذا ؟ .. »
« الرجل الذى أودع تقودا فى حسابك بسويسرا » ..
« أى حساب بسويسرا ؟ » ...

هكذا احتدم مستجوبوه غضبا ، وقالوا له : أنت عنيد أحمق ..
اننا سنجعل منك أمثلة ومن كافة الجواسيس الأمريكين الذين
يحاولون هدم وطننا العظيم ...

وعندما سمح للسفير الأمريكى بزيارته ، كان القضاى هنرى
لورانس قد فقد خمسة عشر رطلا من وزنه ، ولم يستطع أن يتذكر
آخر مرة سمح له فيها أسروه بالنوم ، وغدا حطام رجل راعش
مهدم ... وأصبح يقول بصوت كئيب ضفدع : لماذا يفعلون بى
هذا ؟ ... أنا مواطن أمريكى ! ... أنا قاض ! .. أخرجونى من
هنا بالله ! ..

فرد عليه السفير مؤكدا : اننى ابذل كل ما فى وسعى ...
والحق أن السفير قد ربح لمظهر لورانس .. أنه ربح بالقاضى
لورانس وزملائه من أعضاء البعثة القضائية عند حضورهم منذ
أسبوعين ... أن الرجل الذى قابله السفير آنذاك بدا الآن أبعد
شبهها بالمخلوق المروع الهلوع الذى كان الآن يتدلل أمامه .
ولقد طرق السفير باب الوزير المختص وأعرب له عن احتجاجه
الرسمى قائلا : أن هذه المعاملة للقاضى هنرى لورانس لا عذر
لها ... وأن اعتبار رجل فى مثل مكانته جاسوسا هو ! ..
فرد عليه الوزير بفتور قائلا : إذا كنت انتهيت من كلامك ،
فتفضل والى نظرة على هذه الاوراق ..

وقدم صور البرقيات الى السفير .. فقرأها ، ثم تطلع متحيرا
وقال : ما هو العيب فيها ؟ ... انها بريئة تماما ! ..
- أحقا ؟ .. ربما كان الأفضل أن تقرأها مرة ثانية ، بعد فك
شفرتها ...

وقدم للسفير صورة أخرى للبرقيات ، وبها كل رابع كلمة بين
قوسين :

١ - « عن المجلس القضائى » الاجتماع « اتفق عليه »

« و « رتب » اكدوا التاريخ المناسب « كما »
« ان الاماكن مثلما » طلبتم »

« بوريس »

٢ - « اخطرونا ماهى » خطط » السفر طائرة اختكم « وصلت »
متأخرة لكنها » .

« هبطت » بآمان » فقدت الجوازات و « النقود » فقط واختكم
وضعت » .

« فى فندق اولى » سويسرى » سنعمل على تسوية «الحساب»
فيما »

« بعد - بوريس » .

٣ - « بالاتصال بالسفارة الامريكية » تحاول » اختكم ما امكن
الحصول »

« على جواز لا » معلومات » للآن عن فيزا « جديدة » .

« السويسريون ينظرون الى « الروس » بالتقدير سترسل »

« اختكم » بالباخرة » فى هذه المرة « قريبا » .

« بوريس »

وهكذا ارتج على السفير ولم يجر قولا ...

وقد منعت الصحافة والجمهور من حضور المحاكمة ... والتزم
السجين العناد حتى النهاية ، مستمرا فى انكاره انه جاء الى الاتحاد
السوفييتى فى مهمة تجسس ... وقد وعده ممثل الاتهام بتخفيف
الحكم اذا هو كشف عن هم رؤساؤه ، وكان القاضى لورانس على
استعداد لبذل روحه لو كان فى قدرته ان يفعل هذا ، ولكن ماكان
له الى ذلك من سبيل واأسفاه .

وغداة يوم المحاكمة نشرت الصحف نبأ موجزا عن ادانة الجاسوس
الامريكى القاضى هنرى لورانس بتهمة التجسس والحكم عليه
بالسجن مع الاشغال الشاقة فى سيبيريا لمدة اربعة عشر عاما ..

هذا ، ولم تعد الامور تسير سيرها الحسن بالنسبة لانطونى
اورساتى ... واصبح « الزعيم » عاجزا عن التكهن بالاسباب -
فلاول مرة فى حياته صار النحس حليفه ... وكانت البداية هى
خيانه جو رومانو له ، وتلاه بيرى بوب ، والان هاهو ذا القضاى

لورانس قد ذهب ، متورطا في عملية تجسس جنونية ... كان ثلاثتهم جزءا متماسكا أساسيا في جهاز أورساتي ... كانوا أشخاصا يعتمد عليهم ! ..

لقد كان جوروماتو هو العمود الفقري في تنظيم « العائلة » ، ولم يجد أورساتي أحدا يحتل مكانه ، وأصبحت الأعمال تدار في تخبط واضطراب ، وغدت الشكاوى تتوارد من أناس لم يكونوا يجسرون قط على الشكوى من قبل ... وأصبح متواترا على اللسنة أن تونى أورساتي بدا يهرم ، وأنه لا يستطيع توجيه رجاله ، وأن تنظيمه بدا يتصدع ويتفكك ...

ثم كانت القصة التي قصمت ظهر البعير هي تلك المكالمات التليفونية التي تلقاها من مدينة نيوجرسي تقول : « سمعنا أنك تعسانى بعض المتاعب ياتونى فى موقعك ، ونحب أن نساعدك للتغلب عليها » ...

فرد أورساتي محتدما : ليس عندى أية متاعب ... نعم اننى صادفت بعض المشاكل أخيرا ، ولكننى سويتها كلها ! ..
- هذا لم نسمع به ياتونى ... الشائع أن مدينتك بدأت تخرج عليك بعض الشيء ، وليس هناك من يسيطر عليها ..
- انما انا المسيطر فعلا ! ..

- ربما كان الامر فوق طاقتك .. ويجوز أنك تجهد نفسك فى العمل ...

وقد تكون فى حاجة الى شيء من الراحة ...
- هذه مدينتى ! .. ولن ينتزعها أحد منى ! ..
- مهلا ياتونى ! .. من قال شيئا عن انتزاعها منك ؟ .. كسل ما هناك اننا نريد مساعدتك ... ان « العائلات » فى المنطقة الشرقية قد اجتمعت وقررت ارسسال بعض الرجال اليك لمذك بشيء من المساعدة ... وليس فى هذا أى خطأ فيما بين الاصحاب القدماء ، اليس كذلك ؟ ..

لقد شعر أنطونى أورساتي بقشعريرة باردة تسرى فى كيانه .. فقد أيقن أن هذا الكلام الناعم المعسول هو النذير بنهايته ...



أعدت أرنستين طعام العشاء ، ولم يبق الا حضور آل لكى ينضم اليها والى تريسى .. وما أن حضر فى النهاية حتى انفجرت فيه

ارنستين صارخة : أين كنت بحق جهنم ؟ .. إن العشاء بدأ يحترق فوق النار ، مثلى أنا ! ...

بيد أن آل بدا في روح معنوية عالية ، إذ قال : اننى كنت اتقب من الاخبار يا امرأة ، فاسمعى ما عندى ...
ثم التفت الى تريسى واردف : لقد دارت الدائرة على انطونى اورساتى ... فان « العائلة » فى نيوجرسى فى طريقها الى هنا لخلعه وأخذ مكانه ! ... لقد سقط ابن اللثام أخيراً من فوق عرشه ! ...

غير أن ابتسامته العريضة ما لبثت أن تلاشت عندما نظرس فى مبنى تريسى ، وقال لها : الست سعيدة يا تريسى ؟ ..
بالها من دنيا غريبة ! .. سعيدة ؟! .. لقد نسيت معنى هذه الكلمة ... وتساءلت فى خاطرها أيمكن أن تكون حقاً سعيدة من جديد ، وأن تخامرها بعد أية مشاعر طبيعية ؟ ... لقد لبثت زمناً مديداً وهى لا تفكر إلا فى الانتقام والاقتصاص ممن فعلوا بأمها وبها ما فعلوا من مظالم ... والآن وقد تم أو أوشك ما كانت تريد ، فإذا الذى فى كيانها خواء أى خواء ! ..

ومهما يكن فقد عرجت تريسى فى صباح اليوم التالى على محل زهور وقالت للبائعة : أريد إرسال زهور الى انطونى اورساتى ..
أكيل جنازى أبيض فوق حامل وحوله شريط عريض تكتب عليه هذه الكلمات : « ارقد فى سلام » ...

وطلبت بطاقة كتبت عليها : « من ابنة دوريس هويتنى » ...

القسم الثالث

الفصل الخامس عشر

فيلادلفيا - الخميس ٧ أكتوبر - الساعة ٤ مساء .
لقد حان الوقت لتصفية الحساب مع تشارلز ستانوب .. كان الآخرون غرباء عنها ... أما تشارلز فكان حبيبها ووالد طفلها الذى لم ير النور ، وهو قد أدار ظهره لهما معا ...
وكانت ارنستين وآل فى توديعها فى مطار نيو أورليانز ، وسألها آل : ماذا ستفعلن فى فيلادلفيا ؟ ..

فأجابت وهي تخفى عنهما نصف الحقيقة : سأعود الى عملى
السابق فى البنك ...

تبادلت أرنستين وآل النظر ، وقالت الاولى : هل ... يعرفون
أنك قادمة ؟ ..

- لا .. لكن نائب المدير يودنى ... ولن تكون هناك مشكلة ...
من الصعب إيجاد خبرة فى أعمال الكمبيوتر مثلى ..
- حسنا ... حظا سعيدا ... اتصلنى بنا ، وابتعدى عن
المشاكل ...

وبعد نصف ساعة كانت فى الفضاء ، متجهة الى فيلادلفيا .
شد ما كانت تريسى مسرفة فى حسن الظن بالناس والايام ...
فعندما قصدت فى اليوم التالى الى البنك ، قابلها المدير ديزموند
بالامتنعاض ، مبديا بـ استحالة عودتها الى البنك ، نظرا لقضائها
فترة فى السجن بتهمة السطو المسلح ومحاولة القتل ، مما هو
مناقض للتقاليد الخاقية المعمول بها فى البنك ..

كانت صدمة مريضة لها ، وعادت الى غرفتها بالفندق حيث
أمضت نهارها كله وهى حليفة التعاسة والحنق معا .. وشيئا
فشيئا ثابت الى الهدوء ، ورات أن امامها مهمة أخرى فى المدينة ،
وما أن تتمها حتى ترتحل الى مكان آخر ، فى نيويورك ، حيث تكون
مجهولة لا يعرفها أحد ، ولا يتعرف على ماضيها ..

فلما كان المساء قصدت الى مطعم رويال لتناول العشاء ، اذ
كانت فى أمس الحاجة الى ما يبعث السكينة فى نفسها فى جو
الاضواء الخافتة والموسيقى الشجية والبيئة المختارة ... وبدأت
حليستها بطلب شراب ، وما أن تطلعت حولها حتى خفق قلبها فجأة
ففى مقصورة صغيرة عبر المكان وقع نظرها على تشارلز وزوجته ..
انهما لم يبصراها بعد ... وكان أول ما خطر لها هو أن تقسوم
وتنسحب ، اذ لم تكن فى الحق متأهبة لمواجهة تشارلز ، الى أن
تعد خطتها الكاملة ... بيد أنها لم تلبث أن قررت البقاء لاتمام
العشاء ...

وعادت تنظر الى ناحية تشارلز من جديد ... ومن عجب أن
ظاهرة جديدة مذهشة قد حدثت ، اذ بدأ لها وكأنها تنظر الى
شخص غريب عنها ... ابصرت رجلا ناحلا شاحبا ، تقدمت به
السنون ، أدنى الى الصلع ، مقوس المنكبين ، تشيع فى وجهه

أمارات ملل مطبق ... كان من المستحيل أن تصدق أنها أحبت يوما هذا الرجل ، وأسلمت له نفسها ، ورسمت أن تمضي بقية عمرها معه ! ... ثم نظرت الى زوجته ... كان طابع الملل هو السمة الغالبة عليها مثله ... كانت طوالهما تنبئ عن اثنين احتبسا في قفص مدى الحياة ، وتجمدا في مسيرة الزمن ... وكان يوسعها أن تتخيل العيش الرتيب الممض على مدار أعوامهما القادمة .. كانا ببساطة جالسين متجاورين لا ينبس أحدهما بكلمة واحدة ، لا حب بينهما ولا بهجة ...

هذا اذن عقاب تشارلز كما قدرت تريسي ، واذا هي تشمر بفيض دافق من الراحة والتحرر من تلك الاغلال العاطفية الثقيل التي كانت ترويح تحت نيرها ...
لقد انتهى كل ما كان بينهما ... ودفن الماضي نهائيا ..



كانت تريسي قد تلقت المبلغ المقرر من ادارة السجن لدى الافراج عنها وهو ثلثمائة دولار ، بالإضافة الى المبلغ الذي استحقته عن رعايتها للطفلة ايمي ... بيد أن هذا وذاك لن يدفعها عنها شر الحاجة ، وكان لابد لها من البحث عن عمل ...
وكان أول ما فعلته عند وصولها الى نيويورك والنزول في فندق صغير هو البحث في اعلانات الوظائف الخالية بالصحف ، ولما قرأت عن طلب سكرتيرة في شركة تصدير بادرت بالذهاب الى الشركة ، فما أن دخلت على المدير المختص حتى فاجأها قائلاً : اننى رايتك في التليفزيون ... انك أنقذت طفلة في السجن ، اليس كذلك ؟ ...
فلم ترد ، وانثنت هاربة ...

وفي اليوم التالي وفقت الى وظيفة بائعة في متجر لمستلزمات الاطفال ، وكان المرتب اقل كثيرا مما اعتاده ، لكنه كان على الاقل كافيا لاعالتها ...

وبعد يومين اثنين تعرفت عليها زبونة هستيرية وأبلغت المدير أنها ترفض أن تأخذ احتياجاتها من قائلة أفرقت طفلة صغيرة ! . وهكذا فصلت توا ...

لقد خيل الى تريسي أن الرجال الذين أوقعت انتقامها بهم كانت لهم الكلمة العليا في النهاية ... فقد أحالوها الى مجرمة ، ومنبوذة وكان الظلم الذي يلاحقها الآن ساحقاً ... ولم تعد تدري كيف

يتأني لها أن تعيش ، ولأول مرة في حياتها استحوذ عليها يأس مطبق ... وفي تلك اللحظة نظرت في كيس نقودها لتعرف كم بقي لها من نقودها المحدودة ، فعثرت يدها على قصاصة ورق كانت بيتي فرانسيسكوس قد أعطتها لها في السجن بعنوان كونراد مورجان الجواهرجي ومحلّه رقم ٦٤٠ في « فيفت افنيو » بنيويورك ، وقالت لها أنه يعمل لمساعدة المسجونين السابقين .. فلم تتردد في الذهاب إليه ..

وتبين لها أن محل كونراد مورجان هو في الواقع متجر فخم ، يقوم على بابّه حاجب في كسوة خاصة ، وبداخله حارس مسلح وكانت المجوهرات المعروضة من النفائس ... وعندما ذكرت تريسي لعاملة الاستقبال أنها تريد مقابلة مستر كونراد مورجان سألتها : هل هناك موعد ؟ ...

- لا ... أن صديقا مشتركا أوصاني بمقابلته ..
- اسمك ؟ ..

- تريسي هويتشي ..

فرفعت العاملة سماعة التليفون وغمغمت كلاما لم تستطع تريسي أن تسمعه ، ومالبثت أن وضعت السماعة قائلة : مستر مورجان منسقول الآن ... وهو يستفهم أن كان بإمكانك الحضور في الساعة السادسة ؟ ...

- نعم ... شكرا .

وخرجت من المحل ووقفت على الرصيف مترددة .. أن الحضور الى نيويورك كان غلطة ولاشك ... وأغلب الظن أن كونراد لن يستطيع أن يفعل لها شيئا ، وما الذي يضطره الى هذا وهي غريبة عنه تماما ؟ ... كل مافي وسعه هو أن يعطيها محاضرة ليست في حاجة اليها ، لا منه ولا من أي أحد آخر .. كلا ! .. لا بد لها من الاعتماد على جهدها وحده مهماتكن المصاعب .. فليذهب كونراد الى الجحيم ! ... وهكذا قررت ألا تعود اليه ...

وراحت تمشي في الشوارع الفخمة بلا هدف معين ، مارة بالتاجر الانيقة والمباني الشامخة دون أن تبصر شيئا وقد تملكها احباط مرير ...

فلما كانت الساعة السادسة الفت نفسها قد عادت ادراجها الى محل الجواهرجي كونراد مورجان ، قرأت حارس الباب قد

ذهب ، والمحـل مغلقا . . . فجعلت تطرق الباب فى شىء من التحدى
ثم تحولت عنه ، ولكن لدهشتها فتح الباب فجأة . . .
ألفت نفسها أمام رجل قصير أصـلع تحف بأذنيه خصلات شعر
أشيب مجعد ، ولكنه كان مورد الوجه بـادى البشاشة أزرق العينين
لامعهما . . . وقد بادرها قائلا :

— لا بد أنك مس هويتنى ؟

— نعم . . .

— أنا كونراد مورجان . . . تفضلـى بالدخول . .
دلفت تريسـى الى المحـل المهجور ، فى حين قال لها مورجان :
انى كنت فى انتظارك . . . هيا ندخل مكتبى حيث يمكننا أن
نتكلم . . .

وتقدمها الى باب موصل فتحة بمفتاح . . . كان مكتبه أنيق
الاثاث ، وبدا أقرب الى سكن منه الى محل عمل ، بلا مكتب ، وانما
أرائك ومقاعد ومناضد منسقة بـفن . . . وكانت الحوائط مزودة
بلوحات كبار الرسامين . . .

وعرض عليها الشراب ، فاعتذرت . . . والواقع أنها شعرت
فجأة باضطراب عصبى ، ولكنها قالت له : أن بيتى فرانـشيسكو
أشارت على بأن أقصدك بـامستر مورجان . . . قالت أنك تساعد من
كانوا فى . . . مشاكل ! ..

ولم يطـاوعها لسانها على القول « .. فى السجن » . أما كونراد
مورجان فقد شبك يديه ، ولاحظت تريسـى أنهمـا مجملتان
« بالمانيكير » . . . وقال لها :

مسكنة بيتى . . . سيدة محبوبة . . . لكنها كانت سيئة
الحظ ..

— سيئة الحظ ؟ ..

— نعم .. لكنهم ضبطوها ..

— لست .. لست أفهم ! . . .

— المسألة فى غاية البساطة بـامس هويتنى . . . ان بيتى اعتادت
العمل لحسابى .. وكانت مكفولة العيش .. ثم وقعت المسكنة فى
حب سائق سيارة خاصة فى نيو اورليانز ، واستقلت بالعمل لنفسها
والنتيجة أنهم ضبطوها . . .

شعرت تريسي بالارتباك والحيرة حتى قالت : هل كانت تعمل لحسابك هنا كبائعة ؟ ...

مال كونراد مورجان في مقعده الى الخلف وضحك حتى امتلأت عيناه بالدموع ، ثم قال لها وهو يمسح دموعه : كلا يا عزيزتي ... من الواضح ان بيتي لم تشرح لك كل شيء ... ان لي عملا اضافيا صغيرا يامس هويتني ، وانا أسعد كثيرا باقتسام الارباح مع زملائي وكنت على الدوام موفقا في استخدام اشخاص مثلك ، ممن أمضوا فترة في السجن ، ومعدرة لهذا التعبير ..

راحت تريسي تتفرس في وجهه وهي في عجب وحيرة متزايدة ، بينما استطرد يقول : انني في مركز فريد كما سترين ... فزبائني من الاثرياء المفرطى الثراء ... ومعاملاتي معهم تجعلهم اصدقاء لي ... وهم يشقون بي ويفضون الى بأسرارهم ... وانا أعرف متى يقوم زبائني بالرحلات والاسفار ... وقليل من الناس من يسافرون ومعهم مجوهراتهم في هذه الاوقات الحرجة ، وهكذا تبقى مجوهراتهم تحت القفل في بيوتهم ... وانا أشير عليهم بتدابير الامن التي يجب اتخاذها لوقاية المجوهرات ... كما أعرف بالضبط ماهي المجوهرات التي يمتلكونها لانهم اشتروها مني ... انهم .. الفت تريسي نفسها واقفة على قدميها ، قائلا : أشكر لك ما أضعت من وقت يامستر مورجان ...

— مؤكدا أنك لن تنصرفي الآن ؟ ..

— اذا كنت ستقول لي ما أظن أنك ستقوله ...

— نعم ، هذا ما أنويه فعلا ...

شعرت بوجنتيها تلتهبان ، وقالت : أنا لست مجرمة ! .. انني

جئت الى هنا للبحث عن عمل ...

— وانا أعرض عليك عملا يا عزيزتي ... انه سيأخذ من وقتك

ساعة أو ساعتين ، ويمكنني أن أعدك بمبلغ خمسة وعشرين ألف

دولار ... خالية من الضرائب طبعاً !

جاهدت تريسي بكل قوة للتحكم في غضبها ، وقالت : لا يهمني

هذا ... هلا تركتني أخرج ؟ ..

— بالتأكيد ، اذا كانت هذه رغبتك ..

وبهض قائما وأوصلها الى الباب ، ثم قال : لابد أن تفهمي يامس

هويتني انه لو كان ثمة أدنى احتمال لخطر التعرض للضبط ،

لما عرضت نفسي لهذا العمل ... فانا حريص على حماية سمعتي ..
فقلت تريسي بيروود : اعدك الا اقول شيئا عن هذا ...
فابتسم قائلا : فى الحقيقة ، لا يوجد مايمكن ان تقسوليه
يا عزيزتى ... اعنى من ذا الذى يصدقك ؟ . انا كونراد مورجان ..
وعندما وصلا الى مدخل المحل قال مورجان : ارجو ان تخطرينى
اذا غيرت رأيك ... وافضل وقت يمكن ان تتصلى بى فيه هو بعد
الساعة السادسة مساء ... سأنتظر زيارتك ..

فقلت باقتضاب : لا تنتظر ! ..
وخرجت والليل يرخى سدوله ... وعندما وصلت الى قرفتها
كانت مائزال ترتجف ..

ثم طلبت من خادم الفندق الوحيد ان يجيئها من الخارج
« بسندويتش » وقهوة ، اذ كانت لا تريد مواجهة اى انسان .. فان
لقاها بمورجان جعلها تشعر انها ليست نقية طاهرة .. فقد لطمها
بكل ماقاله عن الاجرام والمجرمين الذين كانوا يحيطون بها فى سجن
النساء بولاية لويزيانا .. لكنها ليست واحدة منهم ! ... انما
هى تريسي هويتنى ، خبيرة الكمبيوتر ، والمواطنة الصالحة المطيعة
للقانون ... التى لايمكن ان يستأجرها احد فى عمل اجرامى ! ..
وظلت تريسي يقضى طول ليلاها ، تفكر فى مستقبلها ... كانت
بلا عمل ، وما بقى لها من نقود قليل ... ثم انتهت آخر الامر الى
قرارين : ان تنتقل الى فندق أرخص ، وان تبحث عن عمل .. اى
عمل ...

وبعد ان استأجرت غرفة رخيصة فى الدور الرابع بمنزل قديم
فى حي شعبي غير مبرا السمعة ، قصدت الى وكالة للأشغال قرب
الحى تديرها من تدعى مسز مورفى البدينة البادية الطيبة ، وبعد
ان استمعت الى قصتها هزت رأسها قائلة : انسى أنك تبحثين عن
عمل لاختصاصية كمبيوتر ... فان الشركات هذه الايام عندها
حساسية بسبب جرائم الكمبيوتر ، ولا تقبل استخدام شخص له
سوابق ..

- لكننى فى حاجة الى عمل ...
فكرت المرأة قليلا ، ثم قالت لها : اسمعى ... انا اعرف ان هذا
العمل هو دون مستواك ، لكن هناك وظيفة خالية « الجرسونة »
فى مطعم جاكسون هول فى الحى الشرقى ...

- « جرسونة » ؟ ..

- نعم ... لن آخذ منك « عمولة » ، لكنني سمعت مصادفة عن هذا العمل ...

جلست تريسى تشاور نفسها ... انها قامت بهذا العمل فى الكلية وكان لونا من الطرافة ... لكنها الآن مسألة العيش ، للبقاء على قيد الحياة ! ...

هكذا قالت : سأجرب العمل ...

وكان مطعم جاكسون مكتظا بالرواد من مختلف رجال الاعمال ، وأمضت تريسى يومها الاول فى عمل يقصم الظهر ، لسكنها نالت اجرا ... أما فى اليوم الثانى فبينما كانت تقوم على خدمة أحد الطاعمين اذ امتدت يده الى خصرها ، فما كان منها الا ان سكبت الحساء على رأسه ، وكان هذا نهاية عملها الجديد ...

ولما عادت الى مسز مورفى وأخبرتها بما حدث قالت لها : عندي لك خبر سار ... ان فندق ولنجتون فى حاجة الى مساعدة للمشرقة ... وسارسلك الى هناك ...

كان فندقا صغيرا فى « بارك افنيو » تؤمه طبقة الاغنياء والمشاهير ... وبعد اجتماعها بالمشرقة اسند اليها العمل ، الذى لم يكن ثقيلا ، مع زملاء معقولين وساعات عمل محدودة ..

ولكن بعد اسبوع من عملها الجديد هذا استدعاها المدير وسألها عما اذا كانت قد اشرفت هذا اليوم على ترتيب جناح جنيفر مارلو ممثلة هوليوود المشهورة اثناء عملها اليومى .. ولما ردت بالإيجاب أخبرها أن الممثلة الكبيرة شكت من ضياع خاتم ماسى ثمين تركته فى غرفة النوم ... وعندما اكدت تريسى وهى تضغط على أعصابها أنها لم تعثر على شيء من هذا القبيل اذ ربما يكون الفاعل احدى الخادومات او تكون الممثلة نفسها نسيت موضع الخاتم ، رد المدير قائلا : مع وجود سابقتك فى السجن ، لابد من استدعاء البوليس للتحقيق على أى حال ...

واقتيدت الى غرفة رجال الامن فى انتظار حضور الشرطة وقد شعرت كأنها تعاد الى السجن مرة أخرى ... لقد سمعت عن سجناء سابقين تلاحقت مطاردتهم لا لشيء الا أنهم كانوا من ذوى السوابق ، بيد أنه لم يخطر ببالها قط أن شيئا من هذا يمكن أن يحدث لها ... لقد الصقوا بطاقة حمراء عليها ، وعليها ان تحمل

هذا الوضع لكى تعيش ... او تلقى حتفها دونه ! .. هكذا جرت
خواتمها بمرارة ..

وبعد نصف ساعة دخل عليها المدير مبتسما وقال لها : لا بأس .
ان مس مارلو وجدت الخاتم .. قالت انها وضعت في مكان ونسيته
مجرد غلطة في الحقيقة ! ..

فقال تريسي : رائع ! ...
وخرجت تريسي من الفندق واتجهت مباشرة الى محل كونراد
مورجان الجواهري ...



قال لها مورجان : المسألة في غاية البساطة .. ان واحدة من
عملائي ، لويز بيلامى ، قد سافرت الى اوربا ، وبיתה كائن في ضاحية
« سى كليف » فى لونج ايلاند ... وخدمها يكونون فى اجازة ايام
العطلات ، وهكذا يخلو البيت تماما وقتها ... وهنالك دورية
خصوصية تتفقد المكان كل اربع ساعات ... وبوسعك ان تدخل الى
البيت وتخرجى منه فى دقائق قليلة ...

دار هذا الكلام فى مكتب كونراد ، وقد استطرد يقول : اننى
اعرف نظام الانذار ، وعندى سر « تركيبة » قفل الخزنة .. وكل
ما عليك ان تفعله يا عزيزتى هو ان تدخل الى ، وتلتقطى المجوهرات ، ثم
تخرجى ... وستحضرين المجوهرات الى ، فأخرجها من الحلى
المركبة فيها ، واقتطع منها لتشكيل حجارة اصفر ، ثم اتولى
بمعها ..

فدغمته تريسي فى وجهه : اذا كانت العملية بهذه البساطة ، فلم
لا تقوم بها بنفسك ؟ ..

فلمعت عيناه الزرقاوان ، ورد قائلا : اننى سأكون خارج المدينة
بعض الاعمال ! .. ففى كل مرة تحدث فيها مثل هذه العمليات
الصغيرة ، اكون دائما خارج المدينة فى عمل لى ! ..

— مفهوم ...

— اذا كنت تتخرجين من ان يسىء هذا الى مسز بيلامى ، فلا
لزم لذلك ... انها فى الواقع امرأة شنيعة ، وهى تمتلك بيوتا
كثيرة فى كافة انحاء الدنيا مليئة بالنفائس ... وفضلا عن هذا فقد
قامت بالتأمين على مجوهراتها بضعف قيمتها ... وطبعاً انا الذى
توليت تقييمها وتأمينها ...

جلست تريسي تنظر الى كونراد مورجان ، ولم تتمالك أن
ناجت نفسها : لابد أنني جننت ، اذ اجلس هنا اتناقش بهدوء في
سرقة مجوهرات مع هذا الرجل !... ثم قالت له : لا أريد أن أعود
الى السجن يامستر مورجان ...

- لا خطر من هذا ... لم يحدث أبدا أن ضبط أحد من
اعوانى فى قيامهم بالعمليات التى أسندوها اليهم ... لا بأس ...
ما قولك ؟ .

كان واضحا أنها ستقول له لا . فان الفكرة كلها جنونية .. ولكنها
قالت له : قلت اننى سأنال خمسة وعشرين ألف دولار ؟..
- نقدا عند التسليم ..

كانت ثروة تكفيها لاعالة نفسها الى أن يتنها لها تدبير حياتها
ومستقبلها ... فكرت آنذاك فى غرفتها الرخيصة التى تسمع من
خلالها صراخ الجيران من السكارى والبغايا ، وفى شكوى زبونة
محل الملابس من أنها ترفض أن تأخذ حاجاتها من قاتلة ، وفى
قول مدير الفندق الذى عملت به يوما واحدا : مع وجود سابقتك
لابد لنا من استدعاء البوليس للتحقيق !..

بيد أن تريسي مازالت لا تستطيع أن تروض نفسها على
الموافقة ..

ذلك وقد مضى مورجان يقول : اننى اقترح أن تتم العملية السبت
القادم ليلا .. ان خدم البيت يبرحونه أيام السبت ظهرا .. وسأجهز
لك رخصة قيادة وبطاقة شخصية باسم مستعار ... وستقومين
باستئجار سيارة هنا فى « منهاقان » وتجهين بها الى « لونج ايلاند »
فتصلين فى الساعة الحادية عشرة مساء ... وبعد أن تأخذى
المجوهرات تعودين الى نيويورك وتعيدين السيارة ... تعرفين
القيادة طبعاً ؟ ..

- نعم ...

- بديع .. هناك قطار يتجه الى سانت لويس فى الساعة السابعة
والخامسة والاربعين صباحا .. وسأحجز فيه مقصورة لك ، ثم
اقابلك فى محطة ماندلويس ، فتعطينى المجوهرات ، وأعطيك مبلغ
الخمسة وعشرين ألف دولار ...

كانت هذه هى اللحظة الفاصلة لكى تقول لا ، لكى تقوم وتخرج
لكن تخرج الى أين ، كما ناجت نفسها ؟..

قالت له بتؤدة : سأحتاج الى « باروكة » شقراء ..
وعندما انصرفت تريسى جلس كونراد مورجان فى الظلام فى
مكتبه يفكر فى أمرها .. هى امرأة جميلة ... جميلة جدا حقا ..
ومن العار أن يسند اليها هذا العمل ... وربما كان يجدر به أن
يحذرها بقوله أنه ليس فى الواقع على تمام الدراية بجهاز الانذار ضد
السرقه ذاك المعمول به فى البيت الخلوى ! ..

الفصل السادس عشر

استعانت تريسى بالالف دولار التى اعطاها اليها كونراد مورجان
سلفا لشراء « باروكتين » احدهما شقراء والثانية سوداء ، تتدلى
منهما صفائر غزيرة ... اشترت بذلة كحلية اللون وفوقها «أوفراول»
أسود وحقيبة للادوات ... والى هنا كان كل شيء يسير على مايرام
فقد تلقت من مورجان مظروفا به رخصة قيادة باسم الين يرانش ،
ورقم تخطيطى لنظام الامن فى بيت لويزبيلامى ، وسر « تركيبة »
قفل الخزانة فى غرفة النوم ، وتذكرة سفر بالقطار الى محطة سانت
لويس فى مقصورة خاصة ...

وهكذا حزمّت تريسى حقيبتها واستأجرت سيارة واتجهت الى
لونج ايلاند ، فى طريقها لارتكاب عملية سطو ... والواقع أن
ما أخذت تفعله بدا وكأنه من الاحلام ، حتى كانت مرتاعة .. ماذا
لو ضبطوها ؟ . هل هذه المجازفة تستحق ما سوف تقوم به ؟ ..
كانت تحاول بمثل هذه الخواطر أن تثير السخط فى نفسها والتمرد
على ارتكاب الجريمة ... بيد انها لم تفلح ... وما أن وصلت الى
ضاحية « سى كليف » حتى بلغت من الاضطراب العصبى أشده ..
ومرتين انحرفت بالسيارة عن الطريق ، مؤملة أن يستوقفها البوليس
للقيادة باستهتار ، لكن لم تبدلها بسيارة بوليس واحدة فى
الطريق ، فهم هكذا لا يوجدون عندما يحتاج الانسان اليهم ، كما
قالت لنفسها ..

ولاح لها البيت اخيرا ، مطلا على البحر ، عتيقا كقصر على الطراز
الفكتورى ، باديا كقصر جنى مسحور فى كابوس ، مهجورا لاحس
فيه ولا حركة .. مهما يكن فقد أوقفت السيارة فى موضع خلف
أشجار صنصاف ماردة ، حيث كانت محجوبة عن العيان ، وأوقفت

محركها ... لم يكن ثمة صوت يعكر السكون الشامل ، وكان البيت بمعزل عن الطريق العمومي ، ولم تكن ثمة حركة مرور في هذا الوقت من الليل ...

لقد استعادت في ذاكرتها ما قاله مورجان لها : البيت يا عزيزتي محجوب بين الاشجار ، واقرب جار له يبعد مدى عدة فدادين ، وهكذا لا تشغلي بالك بان يراك احد ... ثم ان دورية الامن تقوم بطوافها في الساعة العاشرة مساء ثم في الساعة الثانية صباحا ، وهكذا ستكونين بعيدا عند حلول دورية الثانية صباحا ...

نظرت تريسى الى ساعتها ... كانت الحادية عشرة ... فقد انتهى طواف دورية العاشرة . وامامها الآن ثلاث ساعات قبل موعد الدورية الثانية .. او مجرد ثوان معدودة لكى تدبر السيارة وتعود ادراجها الى نيويورك وتنسى هذا العمل الجنونى ! .. لكن تعود الى ماذا ؟ الى الذين عيروها بسابقتها فى السجن وقطعوا عليها السبيل الى عمل شريف تقتات منه ؟ ..

ومضت تناجى نفسها : ما هذا الذى افعله ؟ .. انا لست لصة ! .. لست لصة حقيقية محترفة ، بل مجرد هاوية متخبطة توشك ان تصاب بانهايار عصبى ! لو كان لى نصف عقل لابتعدت من هنا ومازال فى الوقت متسع ، قبل ان يداهمنى رجال الشرطة ويطلقون على النار ويحملون جثتى المشخنة بالرصاص الى المشرحة ! ... بوسمى ان ارى عناوين الصحف بارزة : « قتل مجرمة خطيرة اثناء محاولة للسطو على منزل شخصية كبيرة » ! ... من ذا الذى سيقوم على جنازتى ويكفينى ؟ .. ارنستين وايمى ؟ ...

افاقت تريسى ونظرت الى ساعتها .. رباه ! .. لقد لبثت ثلث ساعة فى هواجس واحلام .. ان كان لامناس من القيام بالعملية ، فلأتحرك للعمل ...

لكنها لم تقو على الحركة ... شعرت بانها تجمدت من الخوف ثم قالت لنفسها : لا يمكن ان اجلس هنا الى الابد .. لماذا لا انزل والقى فقط نظرة على المنزل ؟ .. نظرة سريعة ! ..

اخذت تريسى نفسا عميقا ونزلت من سيارة وركبتها تصطكان اقتربت من البيت وانية الخطى ، وبدا لها حالك الظلام .. واخرجت من جيبها قفازا ولبسته ... رباه ! .. هانذا بدأت العملية ، وماضية فى تنفيذها ! ..

وشعرت بقلبها يدق عنيفا عاليا حتى لم تعد تسمع صوتا غيره ..
استعادت تعليمات مورجان اليها : « ان جرس الانذار الى يسار
الباب الامامى ... وهناك خمسة ازرار .. وسيكون الضوء الاحمر
قائما ومعناه ان الانذار شغال ... والشفرة لابطاله هي « ٣-٢-٤-
١-١ » ... وعندما ينطفئ الضوء الاحمر تعرفين ان نظام الانذار
قد توقف ... واليك مفتاح الباب الامامى ... وعندما تدخلين
تأكدى من اقفال الباب خلفك ... استخدمى هذه البطارية ...
لا تضئ شيئا من اوار البيت احتمالا لارور احد بسيارته قرب
البيت ... وستجدين غرفة النوم الكبرى فوق ، الى يسارك ، مطلة
على الخليج .. وستجدين الخزانة خلف صورة زيتية للوزير بيلامى
انها خزانة بسيطة جدا . وكل ماعليك ان تفعله هو العمل « بتركيبة »
القفل كما بينتها لك » ..

وقفت تريسى جامدة ، راجفة ، متحفزة للهروب لدى ادنى صوت
سكون شامل مطبق ... فمدت يدها وضففت على ازرار
الانذار بالتعاقب ، داعية الا تعمل ... فانطفأ الضوء الاحمر .
لابد ان الخطوة التالية ستفضحها ... تذكرت فى هذه الاونة ان
قائدى الطائرات يعرفون عبارة يطلقون عليها : « نقطة اللاعودة » ! .
وضعت تريسى المفتاح فى القفل ، فانفتح الباب ... انظرت
دقيقة كاملة قبل ان تدلف الى الداخل ... شعرت بأن كل عصب
فى جسدها ينبض بعنف شديد وهى واقفة فى الردهة ، ترهف
السمع ، خائفة ان تتحرك ... كان البيت مليئا بالسكون الموحش
ثم اخرجت البطارية وانارتها ، فرأت السلالم .. تقدمت واخذت
تصعد . كان كل ما تريده الان هو ان تنجز العملية بأسرع ما تستطيع ،
ثم تلوذ بالهروب ..

بدت الردهة العليا مفرعة فى وهج البطارية .. وجعلت تمنع
النظر فى كل غرفة وهى تتقدم ... كانت جميعا خاوية ..
كانت غرفة النوم الكبرى فى نهاية الردهة ، مطلة على الخليج ،
تماما كما وصفها مورجان لها ... كانت جميلة أنيقة مزخرفة بورون
منقوشة .. فتقدمت الى موضع الصورة التى أرشدها اليها
مورجان ... بدت لها لويز بيلامى كالحة الوجه متفطرسة ، مصداقا
لقول مورجان انها امرأة شنيعة ... والان الى القفل ، والى التركيبة
السرية كما لقنها مورجان ..

كانت الخزانة مليئة بمظاريف سميكة وأوراق شتى ، بيد أن تريسى تجاهلتها ... كان فى جانبها الخلفى رف صغير ، يعلوه كيس مجوهرات من جلد « الشاموا » ... وفى هذه اللحظة فقط انطلق جرس الانذار ضد السطو ، وانبعث منه رنين كان أعلى ماسمعه تريسى فى حياتها ... بدا وكأنه يتموج فى كل ركن من أركان البيت ، زاعقا بالندير والتحذير ..

وقفت مكانها ، مشلولة ، مروعة ... ماهو وجه الخطأ ؟ ... ألم يكن مورجان يعرف بوجود نظام انذار داخل الخزانة يعمل حين ترفع المجوهرات من مكانها ؟ ..

كان عليها أن تبادر بالخروج حالا ... فدفست كيس الشاموا فى جيبها وأنشأت تجرى نحو السلالم ... وعندئذ ، ومن فوق رنين جرس الانذار ، انبعث دوى « سارينه » تقترب ...

وقفت تريسى لدى السلالم مروعة فزعة وقلبها يدق عنيفا وحلقها قد تيبس ، ثم أسرعت الى النافذة ورفعت الستار وتطلعت الى الخارج ... رأت سيارة دورية سوداء وبيضاء قد وقفت امام البيت ، ولمحت شرطيا فى زيه الرسمى يجرى نحو الباب الخلفى ، وآخر يتقدم الى الباب الامامى ..

لا مفر الآن .. وما فتئت أجراس الانذار تتجاوب أصداؤها حتى بدت فى سمعها كأجراس سجن النساء فى لويزيانا ! .. قالت لنفسها : كلا ... لن أدعهم يردوننى الى هناك ! .. وفجأة رن صوت جرس الباب الامامى ...



كان الضابط ديركن يعرف لويزبيلامى ويعرف قدر مجموعة المجوهرات الثمينة واللوحات الفنية النفيسة التى تمتلكها .. وفى غيابها كان يحرص على تفقد البيت من وقت لآخر ، ايمانا منه بأنه هدف يفرى بالسطو ... والآن بدا له أنه يوشك ان يقتنص السارق ولقد كان على بعد مسافة قصيرة من البيت عندما تلقى بالراديو الانذار الذى بعثت به شركة التأمين ... فأيقن ان هذه فرصة طيبة لترقية قربه ...

وضغط الضابط ديركن على زر الباب الامامى مرة أخرى ، حتى ينهيا له أن يذكر فى تقريره أنه ضغط على زر الجرس ثلاث مرات

قبل اقتحام الباب وقد تولى زميله تغطية الباب الخلفى ، وهكذا
لن تتاح الفرصة أمام اللص للافلات ...

وعندما هم الضابط ديركن بالضغط على الجرس للمرة الثالثة ،
اذ فتح الباب الامامى فجأة ... فوقف مكانه محمقا .. راي فى
المدخل امرأة فى ثوب نوم شفاف أسفر عن تكوينها البديع .. وكان
وجهها مغطى بالمعاجين المطرية ، وشعرها مضموما تحت قلنسوة ..
وقد قالت له : ما الذى يجرى هنا وحق السماء ؟ ..

ابتلع الضابط ديركن ريقه ، ثم اجاب : انا .. من انت ؟ ..
- انا الين برانش ... انا ضيفة عند لويز بيلامى .. وهى مسافرة
فى اوربا ..

فقال الضابط مرتبكا : اعرف هذا ... انها لم تذكر لنا ان عندها
ضيفة مقيمة ...

فهزت المرأة الواقعة بالباب رأسها هزة العارف الخبير ، قائلة :
ليس هذا من طبع لويز ؟ .. معذرة .. لا أستطيع احتمال هذه
الضوضاء ..

وفيما هو يراقب ، راي ضيفة لويز بيلامى تمد يدها الى ازرار
جرس الانذار وتضغط عليها بالتعاقب ، فانقطع الرنين ..
وتنهدت قائلة : هذا افضل .. لا أستطيع ان أقول لكم كم انا
مسرورة برؤياكم ..

وضحكت ضحكة مهتزة وأردفت : كنت استعد للنوم عندما
انطلق جرس الانذار ، فتأكدت من وجود لصوص فى البيت وانا
هنا بمفردى .. ان الخدم انصرفوا عند الظهر ..

- هل من مانع اذا قمنا بالتفتيش ؟ ..

- لو سمحتم .. اننى أصر على هذا ..

ولم تستغرق عملية التفتيش سوى دقائق قليلة للتأكد من عدم
اختباء أحد فى البيت ... وقال الضابط : كله تمام .. هو انذار
كاذب .. لا بد أن شيئا جعله ينطلق تلقائيا ... لا يمكن الاعتماد
دائما على هذه الاجهزة الالكترونية .. ياليتك تتصلين بشركة الامن
وتطلبين منها فحص الجهاز ...

- سأفعل هذا بكل تأكيد ..

- حسنا ... اظن انه يمكننا الان ان نعود ادراجنا ...

- اشكركم كل الشكر للحضور بسرعة ... اننى أشكركم الآن بالامان ...
بدا الضابط ديركى مفتونا بقوامها ، حتى تساءل فى نفسه ماذا يكون حالها لو ازالنا عن وجهها المعاجين المطرية وقلنسوة الشعر ؟ .
ثم قال لها : هل ستقيمين هنا طويلا يامس برانش ...
.. حوالى اسبوع او اسبوعين ، الى ان ترجع لويز ...
- اذا كان عندك ما يمكن ان اقوم به لك ، فما عليك الا ان تطلبى ...

- شكرا لك ... سافعل ..
وقفت تريسى تراقب سيارة البوليس وهى تبتعد فى جوف الليل ... تنفست الصعداء وهى اقرب الى الانغماء .. وعندما غابت السيارة عن نظرها صعدت السلالم بسرعة وازالت معاجين المطرية التى وجدتها فى الحمام ، ونزعت رداء نوم لويز وقلنسوتها واستعادت ملابسها الخارجية ، ثم خرجت من الباب الامامى بعد ان اعادت نظام الانذار الى وضعه الاول باتم حذر ...
وما ان بلغت بالسيارة منتصف المسافة الى مانهاتن وهى فى طريق العودة حتى صدمتها جسارة هذا الذى فعلته .. فضحكت ، واستحالت ضحكها الى رجة عنيفة لم تستطع مغالبتها حتى اضطرت الى التوقف بالسيارة على جانب الطريق ... وظلت تضحك حتى انهمرت الدموع على وجهها ... وكانت اول مرة ضحكت فيها منذ عام ...

الفصل السابع عشر

لم تبدأ تريسى فى الاسترخاء الا بعد ان تحرك القطار من محطة بنسلفانيا ... بعد كل ثانية كانت تتوقع ان تهبط يد ثقبيلة على كتفها وصوت يقول : انت مقبوض عليك ! ..
لقد راقبت بعناية الركاب الآخرين وهم يستقلون القطار ، ولم يكن فى طوالهم ما يندر باى خطر ... ان كونراد مورجان سيكون بانتظارها فى سانت لويس ومعه خمسة وعشرون ألف دولار ... مبلغ جسيم تستطيع ان تفعل به ما يحلو لها .. تسافر الى اوربا .. الى باريس ! .. الى لندن ، حيث لا تكون طريدة السجون ! ..

ولم تلبث أن أوصدت باب المقصورة وأخرجت كيس الشاموا
وفتحته ... قوس قزح من الالوان المتلألئة انسكب بين يديها ...
ثلاثة خواتم ماسية كبيرة ، ومشبك من الزمرد ، وسررار من
الياقوت الأزرق ، وثلاثة أقراط ، وعقدان ، أحدهما من العقيق
والثاني من اللآلئ ... ثروة قدرت تريسى أنها تنافس المليون
دولار ..

وفيما هى مستسلمة لأحلامها الوردية اذ طرق باب مقصورتها ،
فردت المجوهرات بسرعة الى الكيس ووضعتة فى حقيبة ملابسها ..
ثم أخرجت تذكرة السفر وفتحت باب المقصورة للمحصل ...
وقع نظرها على رجلين فى ملابس رمادية واقفين فى الممشى ...
بدا أحدهما فى أوائل الثلاثين من عمره ، والثانى يكبره بنحو عشر
سنوات .. كان الرجل الأصفر جذابا ، له قوام رياضى ، وذقن
قرية ، وشارب قصير منمق ، وعينان زرقاوان نابهتان خلف نظارته
العريضة ... أما الثانى فكان كثيف الشعر فاحمه ، متين البنية ،
بارد النظرات ...

قالت لهما تريسى : هل من خدمة ؟ ..

فأخرج الرجل الأكبر من حافظته بطاقة بها هذا التعريف :
« مكتب المباحث الفيدرالية - وزارة العدل الأمريكية » ، وقال
لها : أنا المندوب الخاص دنيس تريفور ... وزميلي هو توماس
باورنى ...

فجأة شعرت تريسى بجفاف فى فمها ... لكنها اغتصبت
ابتسامة ، وقالت : أنا ... أنا لا أفهم .. هل هناك خطأ ..

فرد المندوب الأصفر قائلا : نعم ياسيدتى .. منذ بضع دقائق
دخل هذا القطار حدود ولاية نيوجرسي ... ان نقل بضائع
مسروقة عبر حدود الولاية هو جريمة فيدرالية ...

شعرت تريسى فجأة بغشاوة حمراء أمام عينيها طمست المراتبات
وسمعت دنيس تريفور يقول بلهجة الامر : هسلا فنحست
حقيبتك ؟ ...

كان أملها الوحيد أن تحاول « التهويش » ، فقالت : هل ...
معكم أمر رسمى بالتفتيش ؟ ..

فتولى الرجل الأشقر الرد قائلا : لسنا بحاجة الى مثل هذا

الامر يامس هويتنى ... اننا نقبض عليك متلبسة بارتكاب
جريمة ...

هاهم يعرفون اسمها ايضا !... لقد وقعت فى القفص ...
ولا مخرج لها الان ... بتاتا !..

واثناء ذلك فتح تريفور الحقيبة ... ايقنت الا فائدة من منعه ..
وراقبته وهو يستخرج كيس المجوهرات ، ولما فتحه نظر الى زميله
وهز رأسه .. فتهاكت تريسي فى المقعد عاجزة عن الوقوف ..
ولم يلبث تريفور أن أخرج كشفا من جيبه وأخذ يراجع
محتويات الكيس على الكشف ، ثم وضع الكيس فى جيبه قائلا
لزميله : المجموعة كلها هنا ياتوم ...

قالت تريسي وهى فى أشد تعاسة : كيف .. كيف توصلتم
الى هذا ؟ ..

فاجاب تريفور : غير مسموح لنا بإعطاء معلومات .. انت الان
مقبوض عليك ... من حقت ان تلتزمى السكوت ، وأن تستعينى
بمحام قبل أن تقولى أى كلام ... مفهوم ؟ ..

وقال توم باورز : أنا آسف لهذا .. أعنى اننى أعرف ماضيك ،
ولهذا أكرر أسفى ...

فقال زميله : يا الهى ! لسنا هنا فى زيارة خاصة !

وأبرز قيذا حديديا أراد أن يقيد به يدي تريسي وهى منعقدة
اللسان مشدوهة ، لولا أن زميله همس فى أذنه كلمات بدا أنها
توسط للدفاع عنها ، فهز الرجل الاكبر رأسه غاضبا ولكنه قال :
لا بأس ... لن نقيدك الآن ... سناخذك الى المحطة التالية ...
وسنرسل بالراديو اشارة الى مكتب التحقيقات الفيدرالى لطلب
سيارة ... وعليك ألا تبرحى هذه المقصورة .. واضح ؟ ..

أومات تريسي برأسها عاجزة عن الكلام .. ونظر اليها الرجل
الاصفر توم باورز وهز كتفيه فى عطف وكأنه يقول : ليتنى كنت
استطيع أن أفعل شيئا أكثر ..

ووقف الرجلان فى المشى يكلمان المحصل وهما يشيران اليها
كلما لم تستطع أن تتبينه ، فهز المحصل رأسه ، ثم أغلق الباب
عليها ، فكان عندها مثل اغلاق باب زنزانة السجن ...

لقد جلست تريسي مكانتها مشلولة من الخوف وهى تشعر فى
أذنيها بدوى أعلى من دوى القطار ... انها لن تجد فرصة هذه

المرّة ، فهي من أرباب السوابق ، ولسوف يحاكمونها ويحكمون عليها بالعقوبة القصوى ، ولن تجد هذه المرّة أدانة مدير سجن لاتقاذا ، ولن يبقى أمامها سوى سنوات السجن بلا نهاية ...

وشعرت أخيراً بالقطار يبطيء ثم يتوقف في إحدى المحطات .. لقد حان وقت الذهاب ... فقامت تريسى وأغلقت حقيبتها وارتدت معطفها وجلست تنتظر فتح باب المقصورة ...
توالى مرور الدقائق .. ولم يظهر الرجلان ... ترى ماذا يفعلان ؟
وأخيراً سمعت صوت المحصل ينادى : الكل يركبون ! ..

فزعت تريسى .. ربما قصد الرجلان أن يقولاً أنهما سينتظرانها على رصيف المحطة ... ولو بقيت في مكانها فقد اتهم بمحاولة الهرب منهما ، وفي هذا ما يزيد موقفها سوءاً ... هكذا اختطفت حقيبتها وفتحت باب المقصورة وهرعت إلى المشى ..
رأت المحصل يقترب ، وسألها : هل تنزلين هنا ؟ ..
يحسن أن تسرعى ، دعيني أساعدك .. أن امرأة في حالتك يجب ألا تحمل شيئاً ثقيلاً ...
فحدقت فيه مرددة : في حالتي ؟ !

— لا داعى للارتباك ... أن شقيقك أخبرانى أنك حامل وأن لاحظ حالتك ...

— ... شقيقاى ؟ ! ..

— هما شخصان لطيفان ... والظاهر أنهما مشغولان عليك كثيراً ..

شعرت تريسى بالدنيا تدور من حولهما ، وكل شيء ينقلب رأساً على عقب .. بينما حمل المحصل الحقيبة حتى باب المركبة وساعدها على نزول درجات السلم ... ثم بدأ القطار يتحرك .. فنسادت تريسى : هل تعرف أين ذهب شقيقاى ؟ ..

— لا ياسيدتى ... أنهما قفزا في سيارة أجرة عندما توقف القطار ...

مع مجوهرات مسروقة قيمتها مليون دولار !!!

اتجهت تريسى إلى المطار ... كان هو المكان الوحيد الذى أمكنها أن تفكر فيه ... مادام الرجلان قد ركبا سيارة أجرة ، فمعنى هذا

أنهما بدون وسيلة انتقال خاصة بهما ، وأنهما مهتمان بالتأكد
لمغادرة البلدة بأسرع ما يمكن ...

لقد جلست فى سيارة الاجرة التى استقلتها وقد امتلا صدرها
غضبا مما فعلاه بها ، وخزيا من استغفالهما بمثل هذه السهولة ،
حتى لم تتمالك أن احمر وجهها اذ ابتلعت الطعم ازاء هذه اللعبة
البوليسية المعروفة ...

مندوبا المباحث الفيدرالية ؟! أغلب الظن أنهما هاربان من
القانون ... فليكن اذن .. لابد أن تسترد هذه المجوهرات ... لقد
جازفت بما جازفت فى سبيلها ، ولن تسمح لهذين المحتالين
بالإلتصار عليها ... وهكذا استحثت سائق السيارة للوصول الى
المطار بسرعة ...

وفى المطار ، وعند بوابة الدخول الى الطائرة ، اهتدت اليهما
واقفين بين المسافرين فى الصف ... عرفتهما رغم أن الاصفر
المدعو توم باورز بدا الآن بلا نظارة ولا شارب وتغير لون عينيه من
الازرق الى الرمادى ، والمدعو دنيس تريفور الاكبر الذى كان
كثيف الشعر أسوده بدا هو الآخر أصلع تماما ... أما ملابسهما فلم
تتغير لضيق الوقت ...

أدركتهما عند بوابة الدخول ، فقالت لهما : نسيتما شيئا ..
نظرا اليها مجفلين ، وقطب الاصفر قائلا : ماذا تفعلين هنا ؟..
ان سيارة المباحث كان المفروض أن تكون فى المحطة لاخذك !..
فقالت تريسي : اذن لماذا لا نرجع للبحث عنها ؟..
فرد تريفور قائلا : لا يمكن ... أماننا قضية أخرى ...

فقالت تريسي : هاتوا المجوهرات !..
فقال توم باورز : لا يمكن أن تفعل هذا ... هى الدليل ضدك ،
ولا يمكن أن نفرط فيها ...

وأشرفا على بوابة الدخول ، وقدم تريفور تذكركه الى المشرف ..
فتطلعت تريسي حولها باستماتة ، ووقع نظرها على أحد شرطية
المطار واقفا من كثب ، فنادت : حضرة الضابط ! ... حضرة
الضابط ! ...

نظر الرجلان أحدهما الى الآخر مفزوعين ، وقال لهما تريفور
بصوت خافت كالفحيح : ماذا تفعلين بحق جهنم ! .. هل تريدين
أن يقبض علينا جميعا ؟

واقترب الشرطى وقال لها : نعم يا آنسة ... هل من مشكلة ؟
فقالت تريسي بلهجة المرح : لا مشكلة ولا شيء .. ان هذين
السيدتين عثرا على بعض مجوهرات فقدتها ، وسيعيدانها الى ...
وقد اشارا على ان تتكرم بحراستى الى سيارة اجرة ...

— بالتاكيد ... يسعدنى هذا ...

فانشنت تريسي الى الرجلين قائلة : اصبحت الآن فى امان لكى
تردا الى المجوهرات ... سيحرسنى الآن هذا الضابط النشيط ..
ولما حاولا الاعتراض عاجلتهما قائلة : انا متمسكة برأىي .. وانا
اعرف انه يهكمما جدا ان تلحقا بهذه الطائرة ! ..

نظر الرجلان الى الشرطى ، ثم تبادلوا النظر يائسين مغلوبين على
أمرهما .. لم يكن أمامهما ما يمكن عمله .. فأخرج توم ياورز كيس
الشاموا من جيبه مكرها ... فقالت تريسي : هو المطلوب ...
واخذت الكيس من يده وفتحته ونظرت فى داخله ، ثم قالت :
الحمد لله ! .. كلها هنا ! ..

وفتحت حقيبة يدها ودست كيس المجوهرات فيها ، ثم أخرجت
ورقتى بنكنوت من فئة الخمسة دولارات وأعطيت ورقة لكل منهما
قائلة : هذا مجرد رمز بسيط تقديرا منى لما فعلتماه من اجلى ! ..
كان باقى المسافرين قد دخلوا ، وقال المشرف : هذه هى المناداة
الاخيرة ... على جميع السادة الركاب ان يصعدوا الى أماكنهم ..
وقالت تريسي للشرطى متهلة الوجه وهى تسير معه :

— اشكرك من كل قلبى ... من النادر ان يعثر الانسان على
شخص شريف فى هذه الايام ! ..

الفصل الثامن عشر

عندما جلس توم باورز — المولود باسم جيف ستيفنز — فى مقعده
بالتائرة ينظر من النافذة عند اقلاعها ، لم يلبث ان رفع منديله الى
عينيه وأخذ كتفاه يعلوان ويهبطان ... فلم يتمالك زميله الاكبر
سنا والجالس بجانبه ان نظر اليه فى دهشة ، قائلا : ما هذا ؟ ..
هى مسألة فلوس لا اكثر ... انها لا تستحق ان تبكى لضياها ! ..
فالتفت اليه جيف ستيفنز والدموع تنهال على وجهه ، وكم كانت

دهشته عندما تبين أن جيف كان متشجعا من فرط الضحك ...
وقال له :

- ماذا جرى لك بحق الشيطان ؟ ... ليس فى المسألة ما يضحك
أيضا ! ..

لكنها فى نظر جيف كانت تبعث على الضحك - فان الأسلوب
الذى غلبتهما به تريسى فى المطار كان أحرق خدعة شهدها فى حياته
لقد أبلغه كونراد مورجان هو وزميله أن المرأة مجرد هاوية ،
حتى لم يتمالك جيف أن قال لنفسه : يا الهى ! .. ترى ماذا يكون
من أمرها لو كانت محترفة ؟! . ولقد كانت تريسى هويتنى بغير
شك أجمل امرأة رأى جيف مثلها ... وكانت ذكية بارعة أيضا ،
وكان جيف يفاخر بأنه أبرع محتل فى هذا المضمار ، ومع ذلك
فقد بذته وتفوقت عليه ! ..

كانت حياة جيف سلسلة من المغامرات جلبتها عليه وسامته
ووفرة شبابه وصلابة عوده ... كان أبوه متزوجا من امرأة غنية
لم يلبث أن بدد ثروتها ... ولما توفيت وهو بعد فى الثانية عشرة
من عمره ، تزوج أبوه فتاة فى العشرين من عمرها لم تتورع أن
تراود جيف عن نفسه فى قبية أبيه وزوجها ، ولكنه هرب منها ومن
البيت كله ، والتجأ الى عمه ولى صاحب السرك المتنقل ... وفى
السرك تعلم كثيرا من فنون الشعوذة وخفة اليد ، ثم استقل بنفسه
واخذ يمارس طائفة من أعمال النصب والاحتيال الصغيرة .. ولما
كان يحب حياة البحر فقد استقر به المطاف بحارا فى يخت
مليونيرة شابة مزواجة لم تلبث أن افتتنت به وتزوجته حيث عاش
حبنا يتقلب فى الأوساط الاجتماعية الراقية التى بدت له مسن
الداخل فسادا وفسادا وتبدلا وانحلالا ، الى حد أن زوجته لم
تتورع عن خيانتة ، حتى لم يجد مفرا من طلاقها بعد أن انتقم منها
ومن بطانتها بخدعة فاز منها بربيع مليون دولار ... وفى مدينة
رينو حيث تمت اجراءات الطلاق التقى بالجواهرجى كونراد مورجان
الذى كان يعرف عمه ولى صاحب السرك السابق بعد أن أدى
له عملا ... وفى هذا اللقاء قال له مورجان :

- ما رأيك يا جيف فى أن تؤدى الى خدمة صغيرة ؟ ... هناك
فتاة شابة مسافرة فى قطار من نيويورك الى سانت لويس ومعها
بعض المجوهرات ...

تلك كانت البداية ... بداية مغامرة جيف مع تريسي التي انتهت على هذه الصورة الغريبة المحزنة والمضحكة معا ، حتى لم يتمالك جيف وهو فى الطائرة مع زميله أن راح يفكر طويلا فى أمر تريسي والابتسام لا يفارق شفثيه ...



وأما تريسي فما أن عادت الى نيويورك حتى ولت وجهها شطر محل كونراد مورجان الجواهرجى .. فأدخلها مورجان الى مكتبه وأغلق الباب عليهما ... وقد فرك يديه قائلا : اننى كنت فى قلق شديد عليك يا عزيزتى .. لقد انتظرتك فى سانت لويس و .. أنت لم تذهب الى سانت لويس ... فقال وقد لمعت عيناه الزرقاوان : ماذا ؟ ماذا تقصدين ؟ - أقصد أنك لم تذهب الى سانت لويس ... ولم يكن فى نيتك أبدا أن تقابلنى ...

- لكننى ذهبت فعلا ! ... ان المجوهرات معك ، وأنا .. - أنك أرسلت رجلين لاختطافها منى .. بدت علائم الحيرة على وجه مورجان وقال : لست أفهم ! .. - فى أول الامر حسبت أن هناك خيانة من أحد عندك ، لكن تأكدت أن الخيانة من جانبك أنت ... لقد أخبرتنى أنك ربيت شخصا لحجز تذكرة لى بالقطار ، وهكذا كنت أنت الوحيد الذى كان يعرف رقم مقصورتى ... اننى استخدمت اسما مختلفا وتنكرت ولكن رجالك عرفوا بالضبط أين يجدوننى ... ارتسمت الدهشة على وجهه المليء وهو يقول لها : هل تحاولين أن تقولى لى أن بعض الرجال سلبوا منك المجوهرات ؟ .. فابتسمت تريسي وقالت : انما أحاول أن أقول انهم لم يفعلوا . فى هذه المرة كانت دهشة حقيقية على وجه مورجان وهو يقول : الجواهر معك !؟

- نعم .. ، ان أصحابك كانوا فى عجلة شديدة للحاق بالطائرة الى حد أنهم تركوها خلفهما ! .. جعل مورجان يتفرس فى وجه تريسي مليا ، ثم قال لها : حسن اذنك ... ودخل من باب خاص ، بينما جلست تريسي فوق الاربكة وهى فر. تمام الاسترخاء ...

غاب كونراد مورجان نحو ربع ساعة ، وعندما عاد كانت تبدو على وجهه أمارات الجزع ، وقال لها : آسف لوقوع غلطة .. غلطة كبيرة .. أنت شابة بارعة جدا يامس هويتنى .. لقد استحققت الخمسة وعشرين ألف دولار ...

وأردف وهو يتسهم إعجابا : هالى المجوهرات و ...

- بل خمسون ألفا ...

- معذرة !! ..

- كان لابد أن أسرق المجوهرات مرتين ... والمبلغ المستحق

هو خمسون ألف دولار يامستر مورجان ...

فقال وقد فقدت عيناه بريقهما : لا ... آسف إذ لا يمكننى أن

أعطيك مثل هذا المبلغ عن المجوهرات ...

فنهضت تريسى قائمة وهى تقول : لا بأس الآن ... سأحاول أن

أجد فى لاس فيجاس من يرى أنها تساوى هذا المبلغ ...

والتجهد الى الباب ... فقال كونراد مورجان : خمسون ألف

دولار !! ..

فأومات تريسى برأسها إيجابا ، فقال : وأين المجوهرات ؟ ..

- فى خزانة ودائع فى محطة بنسلفانيا ... وحالا تعطينى المبلغ

هذا وتقدأ ، وتركبنى سيارة أجرة ، سأعطيك مفتاح الخزانة ..

تنهد كونراد مورجان مهزوما ، وقال : اتفقنا ...

فقلت تريسى منشرحة : شكرا لك ... كان من دواعى السرور

أن أقوم بعمل معك ...

الفصل التاسع عشر

عقد مؤتمر هام فى مكتب ج . رينولدز رئيس اتحاد شركات

التأمين حضره دانييل كوبر كبير المحققين للتداول فى حادث السطو

على مجوهرات لويز بيلامى الذى تم فى الأسبوع السابق ... وفى

معرض المناقشات قال رينولدز : قرائم جميعا التقارير المتعلقة

بالحادث ... والجديد فى الموضوع أن السيدة المذكورة تبين أنها

بنت عم مدير البوليس ، ومن هنا رأيناه يقيم الدنيا ويقعدها ؟ ..

فقال أحد المحققين : وما هى الإجراءات التى اتخذها البوليس ؟ ..

- البوليس يتحاشى مواجهة الصحافة ... ولا لوم عليهم فى هذا

فان رجالهم فى منطقة الحادث تكلموا فعلا مع السارقة التى ضبطوها فى المنزل وتركوها تهرب آمنة مطمئنة !...
فقال محقق آخر : انهم أعطوا أوصافا عجيبة لها .. لقد انصرف اهتمامهم الى النظر الى قوامها وهى فى جلباب النوم الشفاف الى حد أسال لعابهم وأذاب أمخاخهم ! .. لم يذكروا أكثر من أنها كانت تضع معاجين التطرية على وجهها وتكسو قلنسوة شعرها ، وأنها فى منتصف العشرينات من عمرها ... وهكذا ليس ثمة أى دليل يرشد الى شخصيتها ، ولا حتى معلومات عامة ...
وهنا تدخل دانييل كوبر لأول مرة ، قائلا :
- بل عندى الدليل والمعلومات ... وأنا أعرف من هى ...

كان دانييل كوبر فى اليوم السابق قد قام وحده برحلة خاطفة الى قصر لويز بيلامى وعابن موقعه المنعزل واستخلص من الملابس ان الفاعل لابد أن يكون قد ذهب الى المكان فى سيارة مستأجرة .. وبالتحرى لدى وكالات تأجير السيارات امكنه الاستدلال على سيارة من نوع « شيفى كابريس » استؤجرت فى الساعة الثامنة مساء يوم الحادث ، وأن المسافة التى سجلها العداد بعد اعادة السيارة فى الساعة الثانية صباحا هى أربعة وستون ميلا ذهابا وإيابا ، وأن المستأجر كان امرأة باسم الين برانش ...
وفى هذا الاجتماع فاجأ دانييل كوبر الجميع بقوله :
- ... ان اسمها الحقيقى هو تريسي هويتنى ...
حلق اليه الجميع ، وقال أحدهم : كيف عرفت هذا بحق الشيطان ؟ ...

- انها ذكرت اسما وعنوانا زائفين ... لكننى اخذت عقد الإيجار الذى وقعت عليه بخطها وعرضته على قسم البصمات فى البوليس ، فوجدتها مطابقة لبصمات تريسي هويتنى التى أمضت فترة فى سجن النساء فى ولاية لويزيانا ، وتذكرون اننى تحدثت معها منذ نحو سنة بصدد حادث لوحة رينوار المسروقة ...
فقال رينولدز : اتذكر ... لكنك قلت آنذاك انها بريئة ..
- كانت بريئة وقتها ... أما الآن فلم تعد بريئة .. انها سارقة محوهرات لويز بيلامى ..
فقال رينولدز مكرها رغم نفوره من كوبر : هذا جهد مشكور يا كوبر .. الآن يمكننا ابلاغ البوليس لاعتقالها و ...

فقال كوبر بهدوئه المثير : وبأى تهمة ؟ ... استئجار سيارة ؟
لا يستطيع البوليس التعرف عليها ، ولا دليل ثمة ضدها ...
وقال محقق آخر : وماذا تظننا نفعل ؟ ... هل نتركها حرة
طليقة تسرح وتمرح ؟

فرد كوبر قائلا : نعم هذه المرة ... لكننى أعرف الآن من هى
ولسوف تكرر العملية - وعندما تفعل ، سأكون بالمرصاد لاقتناصها .

الفصل العشرون

قالت تريسي لنفسها بعزم : حان الوقت لكى أبدأ حياة جديدة .
لكن أى نوع من الحياة ؟ .. اننى تحولت من فتاة بريئة ساذجة
الى - ماذا ؟ .. الى لصة ... هذا هو الوصف ...

وذهبت تفكر فى جو رومانو وانطونى أورسباني وبيرى بوب
والقاضى لورانس .. كلا .. بل تحولت الى منتقمة .. هذا هو
الوصف الحقيقى .. وربما مغامرة .

لقد تفوقت على البوليس ، وعلى اثنين من المحتالين المحترفين ،
وعلى جواهرجى نصاب عديم الشرف .. ولما فكرت فى أرنستين
وايمى تملكها السجن ... واذا هى تقصد من فورها الى محل
كبير لبيع الالعب وتشترى مسرحا مصفرا للعرائس وتبعث به
الى ايمى ابنة مدير السجن مع بطاقة بهذه الكلمات : « هؤلاء
اصدقاء جدد لك ... أوحشتنى .. محبتى لك .. تريسي » ..

وفى محل لبيع الفراء أرسلت الى أرنستين علبة بها لفاع للعنق
من الفرو مع حوالة بمبلغ مائتى دولار ، وبطاقة بهذه الكلمات
الموجزة : « شكرا يا ارنى - تريسي » ...

وبعد هذا ناجت نفسها : لقد سددت الآن كل ديونى ..
كان هذا احساسا طيبا .. وهى الآن حرة تذهب الى حيث
تشاء ، وتفعل ما يحلو لها ...

وقد احتفت باستقلالها ذاك بالنزول فى فندق هلمسلى الفاخر ،
ومن الطابق السابع والاربعين كانت تطل على جسر جورج واشنطن
على مبعدة ، وعلى الجانب الآخر كان موقع المسكن الحقيقى الذى
اقامت فيه مؤخرا ، « لا أعاده الله » كما قالت لنفسها ! ..

ولم تلت أن فتحت زجاجة الشمبانيا التي بعثت بهسا ادارة
الفنلق وجلست تحتسيها راضية وهي تراقب مقبب الشمس فوق
دءوس ناطحات السحاب فى مانهاتن ... وما أن بزغ القمر حتى
حزمت تريسى أمرها ... لسوف تذهب الى لندن .. انها الآن
مستعدة لتذوق المباح والمناعم التى سوف تزجىها الحياة اليها ...
واختتمت قائلة لنفسها : لقد سددت ديونى .. وأنا أستحق بعض
السعادة ...

وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى قصدت تريسى الى احدى
وكالات السياحة وطلبت حجز جناح لها على الباخرة كوين اليزابيث
الثانية ... وكانت من فرحتها اقرب الى الاطفال بصدد اول
رحلة لها خارج امريكا ، حتى أمضت ثلاثة ايام وهى تبتاع الملابس
واللوازم الشخصية .. وكان الجناح الذى دلفت اليه بعد اتمام
احراءات الصعود الى الباخرة من النوع المكلف ، ولكن تريسى قررت
ان تستمتع بحياتها ...

ووقفت تريسى على سطح السفينة تراقب اقلاعها من الميناء وقد
تملكها انفعال مفاجيء ... فهى مرتحلة الى مستقبل مجهول حقا
ولكى تنفض عنها الهواجس راحت تختلط بالركاب وتتفقد
انحاء الباخرة الضخمة التى كانت اشبه بمدينة عائمة ، بها اربعة
مطاعم ، وستة بارات ، وقاعتان للرقص ، وملهيان ليليان ، واربعة
احواض للسباحة ، وملعب رياضى ، الى جانب عشرات الحوانيت
المنوعة ، حتى لم تنمالك تريسى أن قالت لنفسها مبهورة : ليتنى
كنت أستطيع العيش فى هذه الباخرة على الدوام ! ...

ثم حجزت لنفسها فى موعد العشاء مائدة خاصة فى قاعة الشواء
اذ كانت اصغر وأكثر اناقة من قاعة الطعام الكبرى .. على انها لم
تكد تجلس الى المائدة حتى سمعت صوتا مألوفا يقول لها : أهلا
بك هنا ! ..

تطلعت تريسى الى مصدر الصوت ، واذا المتكلم هو توم باورز
مندوب المباحث الفيدرالية المزيّف ، وقد اردف قائلا : هل تمنعين
اذا جلست معك ؟ ... انها مفاجاة سارة ! ...

- امانع جدا ...
بيد انه انزلق فى المقعد المواجه لها واختصها بابتسامة آسرة ،

قائلا : يمكننا أن تكون أصدقاء .. على أى حال ، نحن الاثنين هنا لغرض واحد ، اليس كذلك ؟ ..
لم يكن لديها أدنى فكرة عما يقصده ، فقالت : اسمع يا مستر باورز ..

فقال فى سر : ستيفنز .. جيف ستيفنز ..
- مهما كان اسمك ! ..

وهمت بالنهوض عن المائدة ، فعاجلها قائلا : مهلا ... أحب أن أشرح لك بخصوص المرة الأخيرة التى تقابلنا فيها ..
- ليس هناك ما يدعو إلى الشرح ... لو كانت طفلة لتصورت الحقيقة ...

- أتنى كنت مدينا لكونراد مورجان الجواهرجى بمعروف سابق ومع ذلك أفننه الآن غير راض عني ...
فقالت بلهجة العداء : وأنا غير راضية عنك أيضا ... ماذا تفعل على ظهر هذه الباخرة ؟ ... أما كان أولى لك أن تكون فى سفينة نهريّة ؟

فقال ضاحكا : مع وجود مكسميليان بربونت على ظهر الباخرة ، فمن سفينتى النهريّة ؟ ...
- من ؟ ...

تنظر إليها بدهشة وقال : تولى عنك هذا ! .. تعنين أنك لا تعرفين كمالا ؟ ...
- أعرف ماذا ؟ ..

- أن مكسميليان هو واحد من أغنى الرجال فى العالم .. وهو أبته هى دقم الشركات المتنافسة إلى الأفلاس ... وله هيام بالخيول الأصيلة والنساء الجميلات ...

- وتنبوى أنت أن تربيعة من بعض ثرائه المفرط ؟ ...
فاجاب وهو يتأملها : بل من جانب كبير منه فى الواقع .. هل تعرفين ما يجب أن نفعله أنت وأنا ؟ ..

- أعرف بالتأكيد بامستر ستيفنز ... يجب أن تبادل الوداع ، وظل جالسا فى مكانه يراقب تريسى وهى تنهض وتنسحب من قاعة الطعام ...

وتناولت العشاء فى قمرتها وهى تعجب من سوء الطبايع الذى وضع جيف ستيفنز فى طريقها مرة أخرى .. وبدأ لها أن تنسى

الخوف الذى شعرت به وهى فى القطار عندما توهمت أنها أصبحت مقبوضا عليها ، فقالت لنفسها : حسنا ... لن أدعه يفسد على هذه الرحلة ... ولهذا سوف أتجاهله ...

وبعد العشاء صعدت تريسى الى سطح الباخرة ... كانت ليلة صافية الاديم للاءة الانجم ... ووقفت لدى الحاجز فى ضوء القمر تراقب انعكاس الاضواء الفوسفورية على الامواج وتنصت الى خفق الرياح الساجية ، عندما أحست به الى جانبها .. وقال لها : ليست عندك فكرة الى أى حد تبدين جميلة وأنت واقفة هنا ... هل تؤمنين بالفرايميات على سطح الباخرة ؟ ..

— بالتأكيد ... لكن مالا أؤمن به هو أنت ! ..

وهمت أن تبتعد ، فعاجلها قائلا : انتظرى .. عندى لك بعض الاخبار ... لقد اكتشفت الآن فقط أن مكسميليان بيربونت ليس على ظهر الباخرة آخر الامر .. فقد ألقى رحلته فى آخر دقيقة . — أه ! .. ياله من عار ! .. لقد خسرت أجرة سفرك ! ..

— ليس بالضرورة ... ما رأيك فى التقاط ثروة صغيرة أثناء الرحلة ؟ ..

هذا رجل غير معقول ! . فردت قائلة : مالم تكن معك غواصة أو هليكوبتر فى جيبك ، فلا اظن أنك ستفلت بعد أن تسلب احلاما على ظهر هذه الباخرة ..

— من قال أى شئ عن سلب أى انسان ؟ هل سمعت عن موريس مالنكوف البلغارى وبيتر نيجولسكو الرومانى ؟ ... حسنا .. انهما بطلا الشطرنج العالميان فى طريقهما الى ميناء سوشى على البحر الاسود للعب مباراة دولية ... واذا امكنتى أن ارتب مباراة لكى تلعبى مع الاثنين معا ، فبالامكان أن نربح مبلغا طائلا ... ان خطتى جاهزة ، وهى مضمونة تماما ..

تطلعت اليه تريسى غير مصدقة ، وقالت : اذا صح تقديرك ، فلتعرف أن هناك ثغرة فى مشروعك ، وهى أنني لا لعب الشطرنج ...

فقال وهو يبتسم متسامحا : لا مشكلة هنا .. ساعلمك .. فقالت تريسى : أنت مجنون ... اذا أردت نصيحة مخلصه ، فابحث لنفسك عن طبيب نفسانى ! ..

وعلى الرغم من هذا فما زال بها جيف حتى اقنعها بالموافقة على

مشروعه الذى عدته جنونيا اول الامر ... وبدأ يدرّبها على لعب الشطرنج ... بل قال ان خطته تقوم على ان تلاعب الاثنين فى وقت واحد فى جولة واحدة نظير عشرة آلاف دولار يقبضسها كل من اللاعبين فى حالة فوزهما ، فى مقابل صورة فوتوغرافية لكل منهما ممهورة بتوقيع البطل ، تنالها تريسى اذا خسرت المباراة ...

ومن عجب ان البطلين قبلا اللعب فى هذه المباراة الغريبة وثوقا من قدرتهما وطمعا فى كسب المبلغ الجزيل دون عناء ... وهكذا اتفق جيف ستيفنز مع رئيس خزانة الباخرة على عقد المباراة فى « قاعة الملكة » يوم الجمعة ليلا ، وسلمه شيكات سياحية بمبلغ عشرين ألف دولار ... وسرعان ما انتشرت القصة فى كافة أرجاء الباخرة ، وما أن علم الركاب ان صراف الباخرة نفسه راهن بمبلغ على الطرف الفائز حتى تدفق الرهان من معظمهم ، بل امتد أيضا الى مهندس غرفة الآلات ومن معهم من البحارة ...

ومع ذلك فقد أبلغ رئيس الخزانة ريان الباخرة بأمر هذه المباراة الغريبة قائلا : ان معظم الركاب اشتركوا فى المراهنة ، الى حد ان المبلغ الذى تجمع عندي من المراهنات يقرب الآن من مائتى ألف دولار ..

وبعد ان تداول الرهان مع رئيس الخزانة مترددا بين السماح باحراء المباراة الغريبة او منعها هز راسه قائلا : يبدو من رائحة العملية ان وراءها لعبة اخرى ... ولكن نظرا لخبرتي بالصدفة فى لعب الشطرنج ، فأنا أعرف ان الفش فى هذه اللعبة غير ممكن .. وتقدم الرهان الى مكتبه وجذب حافظته واردف : راهن لى بمبلغ خمسين جنيها .. على البطلين ...

وفى الساعة التاسعة من مساء يوم الجمعة اكتظت « قاعة الملكة » بركاب الدرجة الاولى والمتسللين من ركاب الدرجتين الثانية والثالثة ، وكذلك بضباط الباخرة والبحارة من غير القائمين بالعمل وبنساء على طلب ستيفنز منظم المباراة ، فقد خصصت لها غرفتان ، ووضعت طاولة فى وسط « قاعة الملكة » وأخسرى فى انصاؤون المجاور ، وأسدت ستائر للفصل بين القاعتين ، وقال تفسيرا لهذا : لئلا ينشغل كل من اللاعبين بوجود منافسة معه ... كمسا اننا نريد أن يلزم المتفرجون أماكنهم فى الحجيرة التى يختارونها ...

وبالإضافة الى هذا مدت حبال من القטיפه حول كل من الطاولتين لمنع تزاحم المتفرجين حولهما ... وكان هؤلاء يوشكون أن يشهدوا شيئاً لن يروا له مثيلاً مرة أخرى ... وكانوا لا يعرفون شيئاً عن الشابة الأمريكية الحسناء ، فيما عدا أنه يستحيل عليها - أو أى أحد آخر - أن يلاعب البطلين الكبيرين فى وقت واحد وينتهى بالتعادل مع أى منهما ، طبقاً لشروط المباراة ...

وهكذا جاءت اللحظة الحافلة ... وشعرت تريسي بركبتيهما ترتعدان ، بعكس اللاعبين اللذين كانا فى منتهى الاعتداد والمرح .. قال جيف ، ملنيكوف : حرصاً على العدالة لكل طرف ، فأننى اقترح أن تلعب القطع البيضاء حتى تبدأ أنت أولاً ... وفى اللعب مع مستر نيجوليسكو تلعب مس هويتنى بالقطع البيضاء وتبدأ هى بتحريك القطع ...

فقبل البطلان ..

وبين صمت المتفرجين وكان على رؤوسهم الطير حرك ملنيكوف قطعة وهو يقول لنفسه : لن أهزم هذه المرأة فقط ، بل سأسحقها ...

وتطلع الى تريسي ... فتمعنت فى الرقعة ، وأومات برأسها ، ثم نهضت دون أن تحرك أية قطعة ... وأفسح لها بحار الطريق بين الزحام فدخلت الى الصالون الثانى حيث كان نيجوليسكو جالساً ينتظر ... وكان فى الحجرة مائة من المتفرجين على الأقل غصت بهم عندما جلست فى المقعد المواجه له ، فبادرها قائلاً : أهلاً يا حماتى الصغيرة .. هل هزمت بوريس ؟ .. وضحك ضحكة رنانة طرباً من نكتته .. فقالت تريسي بهدوء : انا متجهة الى هذا ...

ومدت يدها الى رقعة الشطرنج وحركت مثل القطعة البيضاء التى حركها ملنيكوف ... فحرك نيجوليسكو قطعة سوداء مماثلة .. وعندئذ نهضت تريسي ورافقها البحار فى عودتها الى ملنيكوف ، حيث حركت مثل قطعة نيجوليسكو السوداء .. وحانت منهما التفاتة الى ناحية جيف فى المؤخرة ، فلمحت منه ايماءة الموافقة التى لم يكدها يلحظها أحد ..

ومضى اللعب على هذه الوثيرة مما اثار دهشة البطلين وجعلهما يدركان أنهما يواجهان خصماً بارعاً ... فعلى الرغم من كل حركة

حاذقة صدرت من كل منهما ، استطاعت هذه الهاوية أن تقابلها بحركة مضادة ..

وبسبب الفصل بين البطلين ، لم يدر ملنيكوف ولا نيجوليسكو أنهما كانا في الواقع يتعبان أحدهما ضد الآخر ... ففي كل حركة قام بها ملنيكوف مع تريسى ، كانت تريسى تكررهما مع نيجوليسكو وعندما كان يواجهها بحركة مضادة ، كانت تريسى تستخدم تلك الحركة ضد ملنيكوف ...

لم يكن من سبيل لوقف تريسى عند حدود قدرتها ... فقد استمر اللعب أربع ساعات ، لم يتحرك خلالها أحد من المتفرجين فى القاعتين ولا تملل فى مكانه ...

وفى هذا قال ملنيكوف لنفسه : الملعونة ! .. أنها درست مع نيجوليسكو ، وقد لقنها ولاشك ! ..

وبالمثل قال نيجوليسكو لنفسه : أنها محسوبة ملنيكوف ! .. انه أعطاها أسرار لعبته ! ..

وكانا كلما شددا الوطأة على تريسى ، كلما أدركا انه لا قبل لهما بهزيمتها ... وبدأ لهما ان المباراة سوف تنتهى على غير ما كانا يتدركان ...

وفى الساعة السادسة من بدء المباراة ، عندما وصل البطلان الى نهاية اللعب ، لم يبق فى كل من رقعتى الشطرنج سوى ثلاثة بيادق ، ورخ ، وملك ... ولم يعد من سبيل أمام أحدهما لكى يفوز ...

وما ان أعلنت هذه النتيجة حتى دوى الهتاف فى القاعتين ... فتم يكن أحد يصدق ان امرأة جاءت من حيث لا يعلم أحد ، استطاعت ان تقهر أعظم لاعبين للشطرنج فى العالم ...

وجاء جيف الى جانبها وقال لها باسم : هلمى بنا ... كلانا فى حاجة الى شراب ...

وعندما انسحبا كان كل من ملنيكوف ونيجوليسكو مطرقان فى مقعديهما ، يحدقان فى رقعة الشطرنج فى غير وعى ... وحول المائدة التى جلست اليها تريسى وجيف فى البار العلوى قال لها ضاحكا : كنت رائعة ! .. هل رأيت مظهر على وجه ملنيكوف ظننت انه سيصاب بنوبة قلبية ...

فقلت تريسي : بل انا الذى ظننت اننى سأصاب بتوبة قلبية ..
كم ربحنا ؟

- حوالى مائتى ألف دولار .. وسنقوم بتحصيل المبلغ مسن
رئيس الخزانة فى الصباح عند وصول الباخرة الى ميناء سوئمبتون
وسأقابلك لتناول الافطار فى قاعة الطعام ...
وبعد ان افترقا لياوى كل منهما الى قمرته التقى جيف بأحد
ضباط الباخرة الذى قال له : مباراة عظيمة يامستر ستيفنز ...
ان نبا المباراة قد تسرب الى الراديو .. وفى تصورى أن الصحافة
سوف تلتقى بكما فى سوئمبتون .. هل أنت مدير أعمال مس
هويتنى ؟ ...

- كلا .. اننا مجرد متعارفين على ظهر الباخرة ..
بيد أن ذهنه أخذ يعمل بسرعة البرق ... فلو أنه وتريسي ظهرا
مرتبطين ببعضهما لبدت العملية مدبرة ... وربما أجرى تحقيق
فى الأمر ...

وهكذا قرر أن يحصل المبلغ قبل أن تثار أية شكوك ...
وسطر جيف رسالة موجزة الى تريسي بعث بها مع بحار الى
تريسي قال فيها : « حصلت المبلغ وسأقابلك فى وليمة افطار فى
فندق سافوى » ...

وقصد من فوره الى مكتب رئيس الخزانة وقال له معتذرا :
آسف لازعاجك ... سترسو الباخرة بعد ساعات معدودة ، وأنا
أعرف أنك ستكون مشغولا جدا ، ولهذا بودى أن أعرف أن كان
يمكنك دفع المبلغ لى الآن ؟ ..

فقال رئيس الخزانة باسم : لا ازعاج هناك ..
وأخرج الرجل من خزائنه مظروفين كبيرين وهو يقول : هذا
مبلغ نقدى جسيم قد يصعب التنقل به ... هل تحب أن أعطيك
شيكا به ؟ ...

- لا .. لا تشغل بالك .. وهل يمكن أن أطلب منك معروفا ؟
ان قارب البريد سيصل لمقابلة الباخرة قبل رسوها على الرصيف ،
اليس كذلك ؟ ..

- أجل ياسيدى ... والمنتظر وصوله فى الساعة السادسة
صباحا ...

- ستكون مكرمة منك لو أمكن تدبير نزولى فى قارب البريد ..

از والدتى فى حالة مرضية خطيرة ... وبودى ان ادركها قبل .. قبل فوات الوقت ..

قال كلماته الاخيرة بصوت متهدج ، فبادره رئيس الخزانة : انا فى شدة الاسف يامستر ستيفنز .. بالطبع يمكننى تدبير هذه المسألة من أجلك ... وسأتولى الترتيبات اللازمة مع الجمارك .. وكانت الساعة السادسة والربع صباحا عندما أخذ جيف ستيفنز يهبط فى سلالم الباخرة الى قارب البريد .. وقد تلئت لالقاء نظرة اخيرة على الباخرة الضخمة من فوقه ... كان الركاب لا يزالون يغطون فى النوم ... وسيكون جيف على الرصيف قبل أن ترسو الباخرة بمدة كافية ... ولم يتمالك ان قال لاحد البحارة فى قارب البريد : كانت رحلة جميلة ..

واذا صوت يرد عليه : نعم ... كانت جميلة فعلا ... اليس كذلك ؟ ..

تلقت جيف حوله .. فاذا تريسى جالسة فوق كومة حبال وشعرها يتموج خافقا فى الهواء حول وجهها ..

- تريسى ! .. ماذا تفعلين هنا ..

- وماذا تظننى فاعلة ؟! ...

فطن الى النظرة التى ارتسمت على وجهها ، فبادر يقول : انتظرى لحظة ! .. لعلك لم تظننى اننى سأغدر بك ؟! .. فقالت بلهجة المرارة : ولماذا اظن هذا ؟!

- تريسى ! ... اننى بعثت اليك بكلمة لكى تسلم اليك فى الصباح وقلت فيها اننى سأقابلك فى فندق سافوى و ...

فقالت بلهجة لاذعة : طبعا كنت ستفعل هذا ... ان حججك لا تنفذ أبدا ! ..

فراح يتطلع اليها دون ان يجد مايقوله ...

وفى جناح تريسى بفندق سافوى جعلت تراقب جيف وهو يعد النقود بعناية ... وقال لها : ان نصيبك بلغ مائة ألف وخمسمائة دولار ...

فقالت ببرود : شكرا لك ...

فقال جيف : انت غلطانة فى حقى ياترىسى .. بودى لو منحتنى

فرصة لكى اشرح لك ... هلا تناولت العشاء معى هذه الليلة ؟

ترددت ، ثم قالت : لا بأس ...

- جميل ... سأصحبك فى سيارة الساعة الثامنة .
وعندما وصل جيف الى الفندق فى ذلك المساء وسال عن تريسي
أخبره موظف الاستقبال أن مس هويتنى قد غادرت الفندق، فى
وقت مبكر بعد الظهر ، ولم تترك عنوانا ..

الفصل الحادى والعشرون

كانت الدعوة المكتوبة التى تلقتها تريسي هى التى غيرت مجرى
حياتها ...

فبعد أن حصلت على نصيبها من المال من جيف شتيفنز ، انتقلت
من فندق سافوى الى فندق آخر فى بارك ستريت كان هادئا وأقرب
الى السكنى العائلية وامتاز بغرفته البهيجة وخدماته الممتازة ..
وفى يومها الثانى فى لندن جاءها أحد الخدم بدعوة مكتوبة
بخط أنيق فضتها وقرأت منها مايلى : « اقترح على صديق مشترك
أن نتعارف لما قد يفضى اليه هذا التعارف من مزايا للطرفين . فهلا
قبلت دعوتى لتناول الشاى فى فندق ريتز فى الساعة الرابعة بعد
ظهر اليوم ؟ ومعدرة اذا قلت اننى سأضع فى صدرى قرنفلة » ..
وقد ذيلت الدعوة بتوقيع جانتر هارتوج ...

لم تسمع تريسي فى حياتها بهذا الاسم ، وقد مالت أول الامر
الى تجاهل الرسالة ، بيد أن الفضول تغلب عليها ، وفى الساعة
الرابعة والرابع كانت فى مدخل قاعة الطعام الفخمة بفندق ريتز ..
وفى الحال لاحظت وجود الداعى .. كان فى الستينات من عمره ،
نحيفا ، تلوح عليه علائم النجابة ، شفاف البشرة ، مرتديا بدلة
رمادية غالية ، وفى عروة صدره قرنفلة حمراء .

وعندما تقدمت تريسي الى مائدته نهض وانحنى يسيرا ، قائلا :
اشكرك لقبول دعوتى ...

وعلى مائدة الشاى وملحقاته الحافلة قالت له تريسي : اشرت
فى رسالتك الى صديق مشترك ... فهلا عرفتنى من يكون ؟ ..

- هو كونراد مورجان الجواهرجى ... اننى أقوم معه ببعض
الاعمال بين وقت وآخر .. وهو من أكبر المعجبين بك ..

راحت تريسي تنغمس فى مضيئها ... كانت له هيئة أرستقراطية
ومظهر يدل على الثراء ، فتركت له أن يعضى فى التعريف بما يريده

منها ، بيد انه لم يشر الى كونراد مورجان مرة أخرى ، ولا الى المزايا المشتركة التي ستعود على الطرفين : جانتر هارتوج وتريسي هويتني بدلا من ذلك أخذ يحدثها عن ماضى حياته ، فصرقت انه المانى من اب كان من رجال المصارف وام يهودية ، وانه نشأ نشأة مترفة مدللة يتقلب بين التحف الاثرية الثمينة واللوحات الفنية العالمية ، الى ان جاء هتلر فسلب أسرته كل شيء ، وقتل أبواه اثناء الحرب ، اما هو فقد هربه بعض الاصدقاء الى سويسرا ، وبعد ائتمساء الحرب العالمية قرر الإقامة فى لندن حيث افتتح متجرا صغيرا للتحف فى مونت ستريت ، حيث يؤمل أن تزوره تريسي ذات يوم وهنا لم تتمالك ان قالت لنفسها بدهشة لعله يريد اذن ان يبيعها شيئا ! ...

لكنها كانت مخطئة كما تبينت فيما بعد ...
وفيما كان يدفع فاتورة الحساب قال لها عرضا : لى بيت ريفى صغير فى هامبشير ..
وقد دعوت عددا قليلا من الاصدقاء لتمضية عطلة نهاية الاسبوع عندي ، ويسرنى جدا أن تنضمي الينا ..
ترددت تريسي ... كان الرجل غريبا عنها تماما ، وهى ما زالت تجهل ما يريده منها ... ثم قررت فى النهاية انها لن تخسر شيئا ...

وكانت عطلة نهاية الاسبوع شائعة حقا .. ورات تريسي ان البيت الريفى الصغير ، كان قصرا جميلا من القرن السابع عشر فى وسط عزبة مساحتها ثلاثون فدانا ... وكان جانتر أرملا يقيم وحده ، باستثناء خدمه ... وقد طاف بها العزبة التى كانت تضم حظيرة للخيول ومزرعة لتربية الدواجن ، وقال لها برصانة : هذا لكيلا نموت يوما من الجوع ! ...

والآن دعيني أفرجك على هوايتي الحقيقية ...
وقادها الى برج حمام كان مليئا عن آخره ... وقال لها فى معرض الشرح وهو يزهو فخرا : وانظري الى هذه الحمامة الرمادية ، هى من نوع الحمام الزاجل ، واسمها « مارجو » ، وتستطيع فى عودتها الى برجها هنا أن تطير بسرعة متوسطةها اربعون ميلا فى الساعة ، وأن تقطع مسافة تزيد على خمسمائة ميل ! ..

ثم عرفها بضيوفه وكاثوا من النخبة : وزير فى الحكومة القائمة

وزوجته ، ولورد ، وجنرال مع صديقه ، وعقيلة مهرابا سابق ..
وكانت الصحبة ممتعة أنست تريسي الغرض من تعارفها بالداعى ..
وعلى أى حال فقبل أن تعود تريسي الى لندن بعد ظهر الاحد ،
اجتمع بها جانتري فى مكتبه وقال لها بغير مقدمات : اعرف انك فى
شوق لمعرفة سبب دعوتى لك ... فهل عندك مشروعات للمستقبل ؟
ترددت تريسي ، ثم اجابت : كلا ... كلا ... لم أقدر بعد
ما انوى أن أقوم به ..

- اظن انه يمكننا أن نعمل معا اعمالا مثمرة .

- تقصد فى محلك للتحف والعاديات ؟ ..

فضحك قائلا : كلا يا عزيزتى ... من المخجل أن نبذل مواهبك
المتأزة ... الحقيقة اننى عرفت مغامرتك مع كونراد مورجان ..
وقد تصرفت بمنتهى البراعة .

- اسمع يا جانتري ! .. كل هذا أصبح الآن من الماضى ! ..

- ولكن ماذا عن المستقبل ؟ ... لا بد أن تفكرى فى مستقبلك .

من المؤكد أن ما عندك الآن من المال لابد أن ينفد يوما ما ... وأنا
اقترح عليك المشاركة فى العمل ... اننى اخلط بدوائر راقية
محليا وعالميا ... واشهد حفلات الرقص الخيرية الكبرى ، ورحلات
الصيد والقنص ، وسباقات اليخوت .. اننى اعرف دخائل ومخارج
اهل الفنى وأرباب الثراء ...

- لست أرى ماعلاقة هذا بى ؟ ..

- بإمكانى ادماجك فى هذا الدائرة الذهبية .. بوسمى أن
أمدك بالمعلومات عن المجوهرات الاسطورية واللوحات الفنية العريقة ،
وكيف يمكنك أن تضعى يدك عليها فى أمان ... اما انا فاستطيع
أن اتصرف فيها بطرقى الخاصة ... وسيكون فى قدرتك أن
تسوى الميزان مع أولئك الذين اثروا على حساب الآخرين .. وكل
ما نستحوذ عليه سيكون قسمة بيننا .. ماقولك ؟

- أقول كلا ..

فتفرس فيها ساهما ، ثم قال : معلوم .. هل تتصلين بى اذا
غيرت رأيك ؟ ..

- لن أغير رأيى يا جانتري ...

وفى مستهل هذا المساء عادت تريسي الى لندن ..

صدق حساب جانتري هارتوج ... فقصد عاشت تريسي أياما

وأسابيع عيشة البلخ تفشى أفخر المطاعم والمنتديات وتتراد أشهر
المسارح وتقتنى أغلى الأزياء مما كاد يأتى على مالها وجعلها تفكر
فى المستقبل تفكيرا جديا ...

وفى خلال ذلك تكررت دعوات جانتر هارتوج لها لقضاء عطلة
نهاية الاسبوع فى بيته الريفى ، فكانت تسعد بضيافته ...
وفى احدى هذه الدعوات قال لها عضو فى البرلمان اثناء مأدبة
العشاء : اننى لم ألتق يوما يامس هويتنى بأحد أبناء ولاية تكساس
فما هى طباعهم ؟ ..

فأخذت تريسى فى تقليد غنية محدثة من أبناء الولاية الامريكية
بصورة مسرفة فى السخرية حتى ضج الضيوف بالضحك ..

وعندما صارت تريسى مع جانتر وحدهما بعد ذلك قال لها :
مارأيتك فى جمع ثروة صغيرة من مثل هذا التقليد المتقن ؟ ..

- انا لست ممثلة يا جانتر ...

- أنت تبخسين نفسك ومواهبك ! ... هناك متجر كبير
للمجوهرات فى لندن يعرف باسم باركر وباركر يجد سعادته
فى « انتزاع ريش » زبائنه الاغنياء ، على حد تعبيركم فى أمريكا ..
وقد أعطيتنى فكرة عن كيفية جعلهم يدفعون ثمن استغلالهم
للزبائن ..

وأفضى اليها بفكرته .. فقالت تريسى : كلا ...

بيد أن رفضها هذه المرة كان مشوبا بالتردد بعد أن تذكرت لذة
المغامرة وكيف تفوقت على البوليس فى عملية لويز بيلامى فى لونغ
ابلاند وعلى بطلى الشطرنج العالميين فى الباخرة « الملكة اليزابيث
الثانية » وعلى جيف ستيفنز نفسه ! ..

ما أن توقفت السيارة البيضاء الفخمة أمام محلات « باركر
وباركر » الجواهرجية بشارع اكسفورد حتى أسرع السائق بفتح
الباب فترجلت منها امرأة شابة شقراء الشعر مسرفة فى « الماكياج »
ترتدى فوق فستانها الايطالى الضيق معطفا من فرو السمور ...
وقد وقفت تريسى برهة أمام المحل تستعرض انعكاس صورتها
فى الواجهة ، ولما اطمأنت الى هياتها التى تمثل امرأة محدثة الفنى
من ولاية تكساس ، دلفت الى المحل حيث استقبلت بحفاوة رغم

أسلوب حديثها الصاخب المختلف عن مسلك مرتادى هذا المتجر
الكبير من الطبقات الانجليزية الراقية ...

وخف اليها البائع شيلتون يلبي طلباتها ، فقالت له : أريد شيئا
مطعما بالزمرد ، وهو ما يحبه زوجى بنيكى ...
فقادها الى « فترينة » بها مجموعة من هذه اللآلىء ، ولكنها قالت
له باحتقار : هذه مجرد « أولاد » زمرد ! ... أين « الامهات »
و « الآباء » ؟ ! ..

وقهقهت عاليا طربا من تكتتها ، فقال البائع بجمود : ان ثمنها
يقارب ثلاثين ألف دولار للقطعة الواحدة ...
- يا لجهنم ! . انا أمنع حلاقى « بقشيشا » بهذا المبلغ ! ..
سيغضب زوجى بنيكى متى اذا رجعت اليه بهذه « الحصوات » ! .
- وما هو مستوى الثمن الذى تراه سيدتى ؟ ..
- لماذا لا نبدا بمائة ألف دولار مثلا ؟ ..

فقال البائع وهو يتلع ريقه : فى هذه الحالة يحسن أن تتصلى
بمدير المحلات ...
وقدمها البائع الى جريجورى هالستون المدير النحيل المعروق
قائلا :

مستر هالستون ... هذه مسز ...
والتفت الى المرأة الشقراء الفاقعة الزينة ، فقالت : بنيكى
باحلو ... مارى لوبنيكى .. زوجة المليونير بنيكى .. اراهن انكم
سمعتم عن ب . ج بنيكى ! ..

فرد المدير ايجابا من قبيل المجاملة ، ولما قال له البائع ان القادمة
تربد زمردا يبدأ ثمنه من مائة ألف دولار هش وبش فى وجهها ،
وقادها الى باب موصد فتحه بمفتاح ، وادخلها الى غرفة صغيرة
باهرة الضوء ، ثم اغلق الباب خلفه باحكام قائلا : هنا نحتفظ
بيضاعتنا المخصصة للزبائن الممتازين .

كان فى وسط الغرفة الصغيرة « فترينة » عرض مليئة
بتشكيلة « مذهلة من الماس واليواقيت والزمرد يتلأل بريق الوانها
وقال لها : هل ترى سيدتى شيئا يعجبها هنا ؟
فتقدمت نحو العلبة التى تضم الزمرد وقالت : دعنى ارى هذه
« التشكيلة » ..

فاخرج هالستون مفتاحا صغيرا آخر من جيبه وفتح العلبة

ورفع منها صحيفة الزمرد ووضعها فوق المنضدة .. كان بها عشر قطع من الزمرد ، ووقف هالستون يراقبها وهي تتناول أكبرها ، وكانت ترصع مشبكاً من البلاتين ، وقالت بعد أن فحصتها بامعان : سأخذ هذه القطعة يا حلو ..

ان عملية البيع هذه لم تستغرق أكثر من ثلاث دقائق ، وقال لها المدير من فوره : رائع .. وثمانها بالدولارات يصل الى مائة ألف .. بأى عملة ستدفع سيدتى ؟ ..

- لا تشغل بالك يا جميل ... لى حساب بالدولارات فى بنك هنا فى لندن ... سأكتب لك شيكاً بالمبلغ ، وبعد ذلك سيرده لى ب . ج . بنيكى ..

- عظم ... سنقوم بتنظيف المشبك وتسليمه لك فى الفندق . لم يكن المشبك بحاجة الى تنظيف ، ولكن هالستون كان حريصاً على عدم خروج القطعة الثمينة من حيازته الا بعد تحصيل قيمة الشيك فى البنك ، اذ كان يعرف من السوابق أن الكثير من الجوهرين قد تعرضوا لعمليات نصب واحتيال ماهرة ، وهو ما يفاخر بأنه لم يتعرض لمثلها فى حياته ...

- وأين يكون تسليم المشبك ياسيدتى ؟ ..

- فى فندق دورتشستر ، حيث يتعامل زوجى مع أثرياء البترول أن « ب . ج . بنيكى » رجل حاذق !! ..

- هذا مؤكد ياسيدتى ...

ووقف يراقبها وهي تملأ الشيك الذى اخرجته من دفترها ، ولاحظ أنه من بنك باركليز ، فاطمان ، اذ له صديق فى البنك يمكن أن يتحقق من حساب بنيكى ...

ولما تناول الشيك قال لها : ستسلم اليك الزمردة شخصياً فى الفندق صباح باكر ...

فهشت فى وجهه قائلة : انا متأكدة أن ب . ج . بنيسكى سوف يسعده أن يقدم لى هذه الهدية فى عيد ميلادى ..

ورافقها الى الباب الخارجى حيث استقلت سيارتها الفخمة ، وأسرع عائداً الى مكتبه حيث اتصل تليفونيا بصديقه وقال له : بيتر يا عزيزى ... هندى الآن شيك بمبلغ مائة ألف دولار محرر على حساب مسز مارى لوبنيكى ... هل هو سليم ؟ ..

فاستمهله بيتر فترة ، ثم رد عليه قائلاً : لا مشكلة يا جريجورى هناك رصيد كاف يغطى هذا الشيك ..

فتنفس هالستون الصعداء قائلا : شكرا لك ... موعدا للفداء
الاسبوع القادم . على حسابي ..

وتم تحصيل قيمة الشيك في صباح اليوم التالي ، وسلم
المشيك الثمين مع رسول معتمد الى مسز ب . ج . بنيكى فى فندق
دورتشستر ...

وبعد ظهر نفس اليوم ، قبيل موعد اغلاق متجر المجوهرات ،
جاء سكرتير هالستون وقال له : حضرت الى هنا سيدة باسم
مسز بنيكى طالبة مقابلتك ...

غاص قلبه .. لا بد انها عادت لارجاع المشيك الثمين ، ولم يكن
ممكنا ان يرفض ... الا لعنة الله على النساء جميعا ، وعلى
الامريكيين ، وعلى كل اهل تكساس ! ..

ومع ذلك اغتصب هالستون الابتسام ، واستقبلها بحفاوة قائلا :
اخشى ان يكون زوجك لم يعجبه المشيك ...

- اخطأت فى تصوراتك يا مجنون ... ان ب . ج . بنيكى
افتتن به الى حد الجنون ! ..

فاخذ قلبه يرقص من جديد ، بينما استطردت تقول : انه فى
الحقيقة أعجب به جدا لدرجة انه يريد منى ان احصل على زمردة
مطابقة لى نصنع قرطا من الاثنتين ... والان اريد توام الزمردة
التي اشتريتها منكم ...

فقطب هالستون يسيرا وقال : اخشى اننا سنواجه مشكلة
هنا يامسز بنيكى . ان الحجر الكريم الذى اشتريته منى هو
فريد فى نوعه ، وليس هناك ما يشابهه ... عندنا تشكيلة جميلة
من نوع آخر ، ويمكن ...

- لا اريد أى نوع آخر ... اريد زمردة مثل التي اشتريتها ..
وعبثا حاول ان يؤكد لها استحالة العثور على زمردة مماثلة ،
فقد أصرت على طلبها ، واضافت قائلة : ان يوم السبت هو عيد
ميلادى ، و ب . ج . بنيكى يريد ان تكون هديته هى هذا القرط ،
وما يريده ب . ج . بنيكى لا بد ان يتم ..

ثم فكرت لحظة وقالت : كم دفعت فى هذا المشيك الزمردى ؟
مائة الف دولار ؟ .. انا اعرف ان ب . ج . بنيكى على استعداد
لرفع المبلغ الى مائتي ألف او حتى ثلثمائة ألف دولار ثمنا للزمردة
التوأم المطلوبة ..

راح هالستون يفكر بسرعة ... لابد من وجود مثيل لهذه الزمردة
فى مكان ما ، واذا كان ب . ج . بنيكى على استعداد لدفع مائتى
الف دولار اخرى ثمنها لها ، فهذا مكسب جسيم فى الواقع .. وفى
هذا قال هالستون لنفسه : بامكانى ان ادبر هذه المسألة بحيث
احصل منها على مكسب طيب لنفسى ا .. وهكذا قال لها : سأقوم
بالبحث فى كل مكان يامسز بنيكى ... ومع ثقتى بعدم وجود توأم
هذه الزمردة عند أى جواهرجى آخر فى لندن ، الا أنه توجد
دائما شركات تعرض فى المزادات ، وسأنشر عددا من الاعلانات فى
الصحف وأرى ماذا تكون النتيجة ..

فقلت الشقراء المزوقة : أمامك فرصة حتى نهاية الاسبوع ...
وبينى وبينك فان ب . ج . بنيكى قد يرفع المبلغ الى ثلثمائة وخمسين
الف دولار ...

وانسحبت مسز بنيكى ومعطفها فرو السمرور يتموج خلفها ..
وجلس هالستون فى مكتبه سابحا فى الحلم .. ان الاقدار
وضعت بين يديه رجلا مختبل العقل بشقرائه المزوقة الى حد
استعداده لدفع مبلغ ثلثمائة وخمسين الف دولار عن زمردة قيمتها
مائة الف دولار ، مما يعنى ربحا صافيا قدره مائتان وخمسون الف
دولار ... وقد رأى هالستون أنه لا حاجة لكى بثقل على « باركر
اخوان » بتفاصيل هذه العملية .. فمن السهل تسجيل بيع الزمردة
الثانية بمائة الف دولار ، ويضع هو الباقي فى جيبه .. ان هذا
الفرق وهو مائتان وخمسون الف دولار كفىل بأن يغنيه مدى الحياة
وكل ما عليه الآن هو البحث عن زمردة توأم للتي باعها الى مسز
ب . ج . بنيكى ...

غير أنه تبين أن العملية أصعب مما توقع هالستون .. فقد
أسفرت اتصالاته التليفونية بمحال المجوهرات الكبرى وبمسالات
المزاد الشهيرة عن عدم العثور على زمردة مطابقة للزمردة المطلوبة ،
وبقى الامل الاخير فى الاعلانات التى نشرت فى الصحف .. وفى
خلال ذلك اتصلت به مسز ب . ج . بنيكى تليفونيا مرتين تستعجل
النتيجة ، وفى المرة الثانية قالت له : غدا السبت هو عيد ميلادى
واذا لم تتمكن من العثور على الزمردة المطابقة صباح الغد ، فائنى
سأعبد الزمردة التى اشتريتها منكم .. ان ب . ج . بنيكى بارك الله

فيه قال لى انه سيشترى لى بدلا منها ضيعة كبيرة فى مكان يسمى
سسكس .. هل تعرفه ؟ ..

فرد هالستون بسرعة وهو غارق فى ورقه : هذا مكان ريفى شنيع
يامسز بنيكى لن تطيقى الاقامة فيه ، وقصوره فى حالة يرثى لها
من القدم ، وهى خالية من التكييف و ..

فقاطعته قائلة : بينى وبينك ، تنى افضل القرط الزمردى ..
بل ان ب . ح . بنيكى ابدى استعدادا لرفع المبلغ الى اربعة مائة
الف دولار لتوام الزمردة التى اشتريتها ... انت لا تعرف كم هو
عنيد ! ..

وقطعت المكالمة التليفونية وهو يشعر بان الثروة توشك ان تفلت
من يديه ... وجلس يلعن سوء حظه مستغرقا فى تأملاته المحمومة
الى حد انه لم يفتن الى رنين جرس التليفون الداخلى الا فى المرة
الثالثة ، عندما افاق ورفع السماعة ساخطا ، فقال له سكرتيره :
على الخط سيدة تدعى الكونتيسة ماريسا ، وهى تقول ان المسالة
خاصة بالاعلان المنشور عن الزمردة ...

مكالمة جديدة ؟! انه تلقى هذا الصباح عشر مكالمات على الاقل ،
وكلها كانت ضياعا للوقت ! .. ومهما يكن فقد جاءه فى التليفون
سوت رقيق تقول صاحبه الايطالية اللهجة : اننى طلعت على اعلانكم
فى الجرائد ، وعندى زمردة تطابق اوصافها المطلوب ، وهى لدى
اسرتى منذ سنين طويلة .. لكن ظروفى الحالية تضطرنى بكل
أسف الى بيعها ... ألم تذكروا فى الاعلان انها وزن عشرة قراريط
وخضراء اللون ؟ ..

رد هالستون بصوت يكاد يختنق : اذا كانت كما تقولين ، فهل
يمكن ان تشرفينا بالحضور للمعاينة ؟ ..

- آسفة .. فانا مشغولة ... اننا الان نعد حفلة فى السفارة
لزوجى ... وربما اتمكن فى الاسبوع القادم ..

- هل يمكن ان احضر عندك ؟ .. اين تقيمين ياكونتيسة ؟ ..

- فى فندق سافوى ..

- ساكون عندك فى خلال ربع ساعة .. لا .. عشر دقائق ..

- مناسب جدا .. واسمك ؟ ..

- هالستون .

- انا فى الجناح رقم ٢٦ ..

وفى سيارة الاجرة التى استقلها هالستون كان ذهنه يسابق الريح ... ان الريح الذى سيناله شخصيا كفىل بأن يهيبء له شراء فيلا فى الريفيرا ، وربما يخت ايضا ... وبالفلا واليخت ستهافت عليه الحسان زرافات ووحدا ...!

وعندما طرق هالستون باب الكونتيسة ماريسا الفى نفسه أمام سيدة أنيقة رشيقة فى الخمسينات من عمرها ، سوداء العينين والشعر ، يخالطه لون رمادى ... وبعد أن دعتة الى الدخول باللهجة الإيطالية المنقومة قال لها وهو يغالب لهفته : أين الزمردة ؟ - هلا جلست بالله ؟ ... اشرب القهوة أم الشاي ؟ ...

- لا ، اشكر يا كونتيسة .. الزمردة ؟ ...

فراحت تقول : ان الزمردة أهديت لى من جدى ، وبودى أن أهدبها بدورى الى ابنتى عندما تبلغ الخامسة والعشرين ، لكن أوحى بنوى الانتقال الى عمل جديد فى ميلانو ، ويهمنى أن أقدم له يد المساعدة فى مشروعه .. وربما كنت مخطئة فى عرض .. فعاجلها قائلا : لا لا يا كونتيسة .. من واجب الزوجة أن تساند زوجها ... أين الزمردة ؟ ...

- هى عندى هنا ..

ومدت يدها الى جيبها وأخرجت جوهرة ملفوفة بقماش ، وعرضتها على هالستون ..

جمل يحدق فيها ، وسرعان ما حلفت روحه المنسوية .. كانت قريبة جدا فى مظهرها ولونها وحجمها من الزمردة التى باعها لسز بنىكى ، الى حد أن الفارق بين الاثنتين لا تكاد تدركه العين .. وشعر يديه ترتعشان فتمالك وجعل يقلبها بين يديه ويعرض مختلف جوانبها للضوء ، ثم قال :

- اننى أسدى معروفنا الى سيدة صديقة يا كونتيسة .. ان فى محللنا حجارة كريمة أثمن من هذه بكثير ، ولكن الصديقة تصر على زمردة كالتي اشترتها منا لعمل قرط من الاثنتين ... واعتقد انها مستعدة لدفع ستين ألف دولار ثمننا لزمردتك ..

فتنهدت الكونتيسة قائلة : ان شبع جدى سوف يطاردنى من قبره اذا بعثها بهذا المبلغ ...

فقال هالستون باسم : سأقول لك ماذا ... ربما أمكننى اقناع صديقتى برفع المبلغ الى مائة ألف دولار ... وهذا مبلغ جسيم

فى الواقع ، لكن الصديقة متلهفة للحصول على الزمردة ..
فقلت الكونتيسة : هذا مبلغ معقول .. لكن يؤسفنى أن أقول
أن مشروع زوجى يتطلب ثلثمائة وخمسين ألف دولار ، وليس عندى
أكثر من مائة ألف دولار ... وهكذا لا يمكن أن أبيع بأقل من
مائتين وخمسين ألف دولار ..

وعبثا راح هالستون يساومها لتخفيض المبلغ ، لكنها تمسكت
بالقيمة التى حددتها ، ولم يستطع أن يزحزحها ... وهكذا قر قراره
آخر الامر ... أن ربح مائة وخمسين ألف دولار لنفسه خير
من لا شئ ... نعم أن الفيلا واليخت سيكونان أصغر ، لكنها ثروة
على أى حال ... وهذا ما يستحقه « باركر اخوان » من المعاملة
التى وجدها منهم طيلة خدمته عندهم ... ولسوف ينتظر يوما
أو يومين ثم يقدم استقالته .. ولن يحل الأسبوع القادم الا وهو
فى الريفييرا ...

قال فى النهاية وهو يدس الزمردة فى جيبه : لا بأس .. سأعطيك
شيكا من حساب المحلات بمائتين وخمسين ألف دولار ..
وحرر الشيك وقدمه للكونتيسة .. وسيطلب من مسز ب . ج .
بنيكى أن تدفع مبلغ الأربعمائة ألف دولار شيك ، ثم يتولى صديقه
بيتر فى بنك باركليز إضافة شيك الكونتيسة بمبلغ ٢٥٠ ألف دولار ،
بحيث يؤول فرق التسوية الى جيبه الخاص ، مع مراعاة عدم
ظهور هذا الشيك الاخير فى كشف الحساب الشهرى لمحلات
« باركر اخوان » ... وهكذا يكون نصيبه من هذه الصفقة ١٥٠
ألف دولار ! ..

وعاد هالستون الى مكتبه وهو يكاد يطير من الفرح ، واغلق
الباب على نفسه ، ووضع الزمردة فوق المكتب ، ثم رفع السماعة
وطلب رقما ... وبعد أن ردت عليه عاملة التليفون فى فندق
دروثشير ، طلب منها توصيله بمسز ب . ج . بنيكى ...
فاستمهله العاملة ، أخذ خلالها يصفر منشرح الصدر ..

ثم جاءه صوتها يقول : آسفة .. مسز بنيكى تركت الفندق ..

- هذا مستحيل ! .. انها ! ..

- ساوصلك بمكتب الاستقبال ...

- هل من خدمة ياسيدى ! ..

- فى أى جناح توجد مسز ب . ج . بنيكى ..

- ان مسز بنيكى تركت الفندق نهائيا هذا الصباح ...
لا بد من وجود تفسير ! ... لا بد ان شيئا غير متوقع قد حدث! ..
- هل يمكن ان اعرف عنوانها الجديد من فضلك ؟ .. هذه
محلات .

- آسف .. انها لم تترك اى عنوان ! .. انتى كنت فى توديعها
بنفسى ...

احس هالستون بلطمة فى معدته .. وقد وضع السماعة وجلس
مكانه مشدوها .. لا بد له من ايجاد طريقة للاتصال بها وتعريفها
بانه قد وجد الزمردة التوام المطلوبة اخيرا ... وفى خلال ذلك لا بد
له من استرداد شيك ال ٢٥٠ الف دولار الذى حصره باسم
الكونتيسة ماريسا ! ...

اسرع بطلب فندق سافوى تليفونيا ، جناح رقم ٢٦ ..

- من تطلب ياسيدى ؟ ..

- الكونتيسة ماريسا ..

- لحظة من فضلك ..

ولكن حتى قبل ان تعود عاملة التليفون للرد عليه ، حدثه قلبه
بالكارثة التى يوشك ان يسمع نهاها ... قالت العاملة : الكونتيسة
ماريسا تركت الفندق ..

أعاد السماعة .. وكانت أصابعه ترتعد ارتعادا عنيفا وهو يدير
فى التليفون رقم البنك .. وصلنى برئيس الحسابات .. حالا ! ..
أريد وقف دفع شيك ! ...

ولكن الطلب جاء بالطبع بعد فوات الاوان وبعد ان تم صرف
الشيك ... لقد باع زمردة بمبلغ مائة الف دولار ، ثم عاد واشترى
نفس الزمردة بمبلغ مائتين وخمسين الف دولار ! ..

كيف يستطيع بالله ان يشرح هذا لاصحاب محلات « باركر
اخوان » ؟ ! ..

الفصل الثانى والعشرون

كانت بداية حياة جديدة لتريسي ...

فقد اشترت بيتا جميلا من الطراز الجريجورى القديم فى « ايتون
سكوير » له حديقتان امامية وخلفية تبت ازهارهما الموثقة طوال

العام وتكسب البيت بهاء وبهجة ورواء ، وساعدها جانترها تروج
فى تائيثه ، حتى كان البيت تحفة رائعة ! ..

وتولى جانتري تقديم تريسى للمجتمع كأرملة شابة غنية كون زوجها
ثروته من أعمال الاستيراد والتصدير ... ومنذ البداية لقيت نجاحا
طيبا وهى الجميلة ، الذكية ، الجذابة .. وسرعان ما انهارت عليها
الدعوات ...

وبين فينة وأخرى كانت تقوم برحلات قصيرة الى فرنسا وسويسرا
وبلجيكا وإيطاليا ، وكل هذه الرحلات كانت مثمرة مربحة لها
ولجانتري ..

وتحت اشراف جانتري ورعايته ، درست التقاويم والموسوعات
المتخصصة التى تقدم معلومات تفصيلية عن الملوك والأمراء وذوى
الالقاب فى أوروبا ... وأصبحت خبيرة فى فنون التنكر والتحدث
بشتى اللهجات ، وحازت عشرات جوازات السفر المختلفة لكثير
من البلدان والجنسيات : فمرة هى دوقة بريطانية ، وأخرى هى
مضيفة فى الخطوط الجوية الفرنسية ، وثالثة هى وارثة من أمريكا
الجنوبية ... وفى عام واحد تكسبت لديها أموال كانت أكثر من
حاجتها ... وقد خصصت من هذه الأموال صندوقا خاصا راحت
تفدق منه تبرعات بأسماء مجهولة للهيئات التى تعمل على مساعدة
نزلات السجون السابقات ، وخصصت معاشا شهريا لـ سـخيا
لاوتو شميدت وكيل مصنع أمها السابق ... بيد أنها لم تعد ترحب
بفكرة التخلي عن عملها هذا ... فقد أصبحت مشغوفة بالتفوق
على الأذكىء والناجحين ... وكانت نشوة كل عملية جريئة تقوم
بها حافزا لها على المزيد من عمليات أضخم وأجرا ... شىء واحد
فقط جعلته نصب عينيه ، اذ كانت حريصة على عدم ابداء الأبرياء
وكان أولئك الذين تقض مضاجعهم عملياتهم المثيرة فى النصب
والاحتيال ، من طبقة الجشعين والمجردين من كل خلق ..

وقد بدأت الصحف تنشر مختلف القصص عن المغامرات الجريئة
التي أخذت تحدث فى كل أرجاء أوروبا .. وبسبب استعانة تريسى
بشتى أساليب التنكر والتخفى ، أصبح البوليس مقتنعا بأن عمليات
الاحتيال والتدليس والسرقات التى كانت تتسم بالابتكار والتهور
هى من فعل عصابة من النساء ...

وبدا البوليس الدولى « الإنتربول » يتحرك ...

وفى هذا اجتماع رينولدز رئيس اتحاد شركات التأمين فى نيويورك
بالمحقق الداهية دانييل كوبر وقال له : ان عددا كبيرا من عملائنا
الاوربيين اضرىوا بهذه العمليات - التى يبدو انها من فعل عصابة
من النساء ، حتى تعالى صراخهم فى كل مكان ، وهم يطالبون
بالقبض على هذه العصابة .. وقد وافق « الانتربول » على التعاون
معنا ... وهذه مهمتك يا دانييل ... عليك ان تسافر الى باريس
فى الصباح ...

وفى مبنى مقر البوليس الجنائى الدولى « الانتربول » المكون من
سبع طبقات على مسافة ستة اميال الى الغرب من باريس - عقد
اجتماع حافل فى هذا الصباح الباكر من شهر مايو ، تحت رئاسة
المفتش اندريه ترينيان ، وهو رجل جذاب مهيب فى منتصف
الاربعينات من عمره ، تلوح عليه امارات الذكاء والدهاء واضحة
جلبة ، وشهد الاجتماع مفتشون للبوليس من انجلترا وبلجيكا
وفرنسا وايطاليا ..

وراح المفتش ترينيان يقول للحاضرين : ايها السادة - لقد تلقيت
طلبات ملحة من كل من بلادكم لامدادها بمعلومات من الجرائم
المتهورة التى وقعت مؤخرا فى كل انحاء اوربا ... ان حوالى ست
دول قد اصبحت بوباء من عمليات النصب والاحتيال والسطو
المتسمة بالحدق والافتتان ، والقاسم المشترك فيها هو التشابه ..
ان الضحايا كانوا دائما من غير ذوى السمعة المحمودة ، ولم يحدث
فى اى منها شئ من العنف ، وكان الفاعل دائما امرأة ... وقد
وصلنا الى الاقتناع باننا فى مواجهة عصابة دولية من النساء ...
والدينا الآن صور تقديرية قائمة على اساس الاوصاف التى ادلى
بها الضحايا والشهود العابرون .. وكما ترون من هذه الصور ،
فليست واحدة من النساء تشبه الاخرى .. فبعضهن شقراوات ،
وبعضهن سمراوات ... وقد تفاوتت التقارير المقدمة عنهن ، بين
انجليزيات ، وفرنسيات ، داسبانيات ، وايطاليات ، وامريكيات -
او بالاحرى من ولاية تكساس .. هذا ، وليست لدينا فكرة عن
شخصية زعيمة هذه العصابة ، ولا اين مقرها .. فانها لا تترك خلفها
اية آثار مرشدة ، وهى تختفى مثل حلقات دخان ... ولستعرف
تقبض على احدها عاجلا او آجلا ، وعندما نصل الى هذا ، فسننضم
ايدينا عليهن جميعا .. وفى غضون ذلك ايها السادة ، والى ان

بوافينا أحد منكم بمعلومات محددة ، فأخشي أن أقول أننا أمام طريق مسدود ...



وعندما وصل دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التأمين الأمريكية الى مقر « الانتربول » استقبله المفتش ترينيان بتحفظ ، وقال له : لابد لي أن أبلغك أن وضعك هنا غير عادي ... فأنك لست من أية هيئة بوليسية ، ووجودك معنا أمر غير رسمي ... ومع ذلك فقد طلبت اليك إدارات البوليس في عدة دول أوروبية أن نمد يد التعاون ...

لم يقل دانييل كوبر شيئا ، فاستطرد المفتش ترينيان قائلا : لقد فهمت أنك محقق لاتحاد شركات التأمين ..
- أن بعض عملائنا الأوروبيين قد منوا بخسائر فادحة مؤخرا ..
وقد فهمت أنه لا توجد دلائل ترشد الى أي شيء ..
فتنهذ المفتش ترينيان قائلا : يؤسفني أن أقول أن هذه هي الحقيقة .. نحن نعرف أننا نتعامل مع عصابة من النساء البارعات الى حد كبير ، ولكن فيما عدا ذلك ...
- ألا توجد معلومات من أي مرشدين ؟ .. كلا ؟ .. ألا تلفت نظرك غرابة شيء كهذا ؟ ..
- ماذا تقصد ياسيدي ؟ ..

- عندما يتصل الأمر بعصابة هائلة ، يكون هناك دائما شخص يتكلم أكثر من اللازم ، وينفق أكثر من اللازم ، ويشرب أكثر من اللازم ... من المستحيل على أية جماعة كبيرة من الناس أن تبقى سراها طي الكتمان ... هلا تفضلت وزودتني بتقاريركم عن هذه العصابة ؟ ...

هم المفتش ترينيان أول الأمر أن يرفض ، فقد بدا له دانييل كوبر شخصية منفرة متعالية .. ومع ذلك فهو مطالب بالتعاون الكامل ... ولهذا قص على كره : سأطلب نسخ صور من التقارير وأرسلها اليك في الفندق ...

وعكف دانييل كوبر في غرفة بالفندق في باريس على دراسة التقارير التي بعث بها المفتش ترينيان .. وظل ساهرا حتى الرابعة صباحا يدرسها بامعان ، محللا هذا الخليط الكبير من عمليات السرقة والاحتيال ... وكان بعضها معروفا له ، ولكن بعضها كان

جديدا عليه ، وكان جميع الضحايا من غير ذوى السمعة الحميدة كما قال المفتش ترينيان ...

وقد استرعى نظره من هذه التقارير واحد عن حادث سرقة وقع فى بروكسل ، وفحواه أن مستر فان روزين السمسار البلجيكي فى البورصة تعرض لسرقة مجوهرات من خزانة فى الحسابات قيمتها مليوناً دولار ، وكان السمسار قد تورط فى عمليات مالية مشبوهة ... وبدأ من تفاصيل الحادث الذى تم فى غيبة السمسار وروجه فى أجازة أن اللصوص أبطلوا نظام الإنذار ، وعندما وصل رجال الشرطة تلقى منهم لدى الباب امرأة ترتدى ثوب نوم شفافاً ، وكان شعرها معقوداً تحت قلنسوة ، ووجهها مكسوا بمعاجين التطرية . وقد زعمت لهم أنها ضيفة أصحاب البيت ، فتقبل رجال الشرطة قصتها ، وبعد أن تم اتصالهم بالأسرة للتحقق مما قيل لهم ، كانت المرأة والمجوهرات قد تبخرت ...

وهنا هز المحقق دانييل كوبر رأسه هزة العارف الخبير ... وعندما عاد الى الاجتماع بالمفتش ترينيان وافضى اليه بوجهة نظره قال له هذا متضجراً : أنت مخطئ ... أقول لك أنه يستحيل على امرأة واحدة أن تكون مسئولة عن كل هذه الجرائم ... فقال كوبر : هناك وسيلة للتحقق من هذا ... كيف ؟ ..

— أود أن نستعين بالكمبيوتر فى صدد تواريخ وأماكن عمليات السرقة والاحتيال التى تنطبق عليها هذه النوعية ... — هذا سهل جداً ، لكن ...

— واود أيضاً الحصول على تقارير إدارات الهجرة عن كل سائحة أمريكية كانت موجودة فى تلك المدن ذاتها فى الأوقات التى ارتكبت فيها الجرائم ... من الجائز أن المرأة استخدمت جوازات سفر مزورة فى بعض الحالات ، ولكن من المرجح أنها استخدمت أيضاً شخصيتها الحقيقية ...

أخلى المفتش ترينيان الى التأمل برهة ... بيد أنه لم يلبث أن تغلب على نفوره من هذا الضيف الثقيل ، وقال له : لا بأس ... سأخذ مايلزم فى هذا الشأن ...

كانت عملية السرقة الأولى فى هذه السلسلة قد ارتكبت فى ستوكهولم ... وقد جاء تقرير فرع « الانتربول » فى السويد معدداً

أسماء السائحات الأمريكيات في ذلك الأسبوع ، وتم تزويد الكمبيوتر بهذه الأسماء ... وكانت المدينة الثانية التي طلبت منها التحريات هي ميلانو ... وعندما روجعت في الكمبيوتر أسماء السائحات الأمريكيات في ميلانو وقت حادث السرقة هناك مع أسماء السائحات في ستوكهولم ، كانت القائمة تضم خمسة وخمسين اسما ... ثم أجريت مراجعة القائمة كلها مع أسماء السائحات الأمريكيات في أيرلندا وقت حادث الاحتيال الذي وقع هناك ، فانخفض عدد الأسماء الى خمسة عشر ... وعندئذ قدم المفتش ترينيان الورقة المطبوعة الى دانييل كوبر قائلا : سأبدا بمراجعة هذه الأسماء مع أسماء حادث الاحتيال في برلين و ...

ولكن دانييل كوبر تطلع اليه قائلا : لا تتعب نفسك .
فقد كان الاسم المطبوع في أول القائمة هو تريسي هويتني ... وبهذا الأساس المادى الذى يمكن الاستناد اليه في النهاية لمواصلة التحقيق ، شرع « الانتربول » في العمل ... وهكذا أعدت منشورات دورية حمراء ، ومعناها الاولوية القصوى ، وأرسلت الى كل دولة عضو في منظمة البوليس الجنائى الدولية ، تخطرها بالبحث عن تريسي هويتني ...

وفي اليوم التالى كانت بين ايدى رجال « الانتربول » صور فوتوغرافية باللاسلكى من سجن النساء في ولاية لويزيانا الامريكية . واتصل دانييل كوبر تليفونيا برئيسه رينولدز وأيقظه من نومه في الساعة الرابعة صباحا قائلا : أريد منك أن توافينى بكل شيء يمكنك ايجاده عن تريسي هويتني ، مثل قصاصات الصحف ، وشرطة الفيديو وغيرها ...

ولم يعبا كوبر بعبارات السخط التى انتهالت على راسه لايقاظ رئيسه من النوم في هذه الساعة ، ووضع السماعة ورينولدز يقول صاحبا : يوما ما سأقتل هذا الخنزير العديم الاحساس ! ...

الفصل الثالث والعشرون

اعتاد الكونت دى مائينى أن يقيم حفلة « راقصة » خيرية سنوية في باريس ، السبت الاول من شهر يونيو لمساعدة مستشفى الاطفال وكانت تذاكر حضور الحفلة تعرض بألف دولار للتذكرة ،

وكان يؤمها صفوة المجتمع من كل أرجاء العالم ...
وكان قصر ماتيني ذاته القائم في كاب دانتين من أفخم القصور
في فرنسا ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس عشر ... وفي مساء
يوم الحفل الكبير كانت قاعة الرقص الكبرى والقاعة الصغرى تمتلآن
بالضيوف في أزيائهم الانيقة وبالخدم في ملابسهم المزركشة وهم
يقدمون كئوس الشمبانيا بلا توقف ... أما موائد البوفيه الممدودة
فكانت معرضا لالوان المشهيات مصفوفة في صحاف من فضة ..

وكانت تريسي تبدو وهي تراقص الكونت دي ماتيني مضييفا
في أبهى صورة وهي مرتدية فستانها الابيض المطرز بالدانتيللا
وقد عقدت شعرها فوق رأسها تحت تاج من الماس . أما الكونت
نفسه وهو أرمل في أواخر الستينات من عمره فهو نحيل أنيق
دقيق التقاطيع في شحوب ... وكان صديقها جاترها توج قد
قال لها فيما قال وهو يلقيها ما يجب : « أن الحفل الخيري الذي
يقيم الكونت كل عام لصالح مستشفى الاطفال هو عملية نصب
حقيقية ... فان عشرة في المائة فقط من الحصيلة تؤول الى
المستشفى ، أما التسعون في المائة فتدخل جيب الكونت » ! ..

وقال لها الكونت وهو يراقصها : انت راقصة رائعة !
فابتسمت تريسي قائلة : الفضل في ذلك لشريكي في الرقص ..
- كيف تأتي أنك وأنا لم نلتق من قبل ؟ ..
- لأنني مقيمة في أمريكا الجنوبية . في الغابات ..
- ولماذا بالله ؟ !

- ان زوجي يمتلك عددا من المناجم في البرازيل .
- آه ... وهل زوجك هنا هذه الليلة ؟
- لا من سوء الحظ .. فهو مضطر للبقاء في البرازيل للاشراف
على أعماله ..

فقال الكونت وهو يحكم ذراعه حول خصرها : لسوء حظه هو ،
ولحسن حظي أنا ! .. اننى اطلع الى أن نصبح صديقين
حميمين ...

فغمفت تريسي قائلة : وأنا أيضا ...
ومن فوق منكب الكونت ، لمحت تريسي فجأة جيف متيفنز ،
تلوح عليه سمرة الشمس ويبدو في اتم صحة وحيوية .. وكان
يراقص امرأة سمراء جميلة مشوقة في فستان من « الشافتا »

القرمزي تعلقت به مفتتنة ... وقد لمحها جيف بدوره وابتسم لها ...

جرت خواطر تريسي في كآبة .. انه محق في ابتسامته .. فخلال الاسبوعين الماضيين خططت تريسي بكل امكان لعمليتي سطو .. وقد اقتحمت البيت الاول وفتحت الخزانة ، غير انها وجدتها خاوية .. فقد سبقها جيف اليها ... وفي المناسبة الثانية بينما كانت تريسي تتسلل بين حدائق القصر للوصول الى مكان الغنيمة اذ سمعت فجأة صوت سيارة تسرع بالابتعاد ، ولحت بداخلها جيف .. هكذا هزمها مرة ثانية ... انه لانسان مثير للغيظ .. والان هاهو ذا قد جاء الى القصر الذي خططت تريسي للسطو عليه ! ..

ولم يلبث جيف ان اقترب مع رفيقته من مكانها وهي تراقص الكونت ، وابتسم قائلا : مساء الخير ياكونت ...

فرد الكونت باسم : آه .. جيف ! .. مساء الخير ... يسرني كثيرا انك تمكنت من الحضور ..

— ما كان يمكن ان تفوتني هذه المناسبة الكبيرة .. اقدم لك صديقتي مس ولاس ... الكونت دي ماتيني ..

فقال الكونت مشيرا الى تريسي : تشرفنا .. يادوقه !. اقدم لك مس ولاس ومستر جيف ستيفنز .. الدوقة دي لاروزا ... فقال ستيفنز وهو يتفرس في تريسي : دي لاروزا ... دي لاروزا ؟ يبدو ان الاسم مألوف جدا .. طبعا ، طبعا .. انا اعرف زوجك .. هل هو موجود معك ؟ .

— انه في البرازيل ..

فابتسم جيف ستيفنز قائلا : آه ... هذا مؤسف جدا .. كنا نخرج في رحلات الصيد والقنص سويا ... قبل ان تحدث له تلك الحادثة طبعا ..

فقال الكونت : حادثة ؟ .

فاجاب جيف باستياء : نعم .. فقد طاشت رصاصـة من بندقيته واصابته في مكان حساس .. هل هناك امل يا دوقه في ان يكون طبيعيا كما كان ؟ ..

فاجابت تريسي على الفور : انا متأكدة انه سيعود طبيعيا مثلك تماما يا مستر ستيفنز ...

.. جميل .. وارجو ابلاغه صادق تحياتي عندما تتصلين به يا دوقه ..

وتوقفت الموسيقى ... فاعتسدر الكونت دي ماتيني لتريسي لاضطراره للقيام ببعض واجبات الضيافة ، وضغط على يدها واضاف : لا تنسى انك ستكونين على مائدتي وقت العشاء .

وما ان ابتعد الكونت حتى قال جيف لصديقه : يا ملاكى ... معك اسبرين في حقيبة يدك .. فهل يمكنك ان تحضري لى قرصا ، لشعورى بصداع شديد ؟ ...

فقالت وعيناها تلتهمانه افتنانا : مسكين يا حبيبى ... ساذهب وأعود حالا يا معبودى ! ...

وقال جيف اثر ذهابها : كيف احوالك يا دوقه ؟ .. فاجابت تريسي وهى تتكلف الابتسام مراعاة لمن حولها : ليس هذا من شأنك فى الواقع ..

.. الحقيقة اننى فى قلق شديد عليك مما يدعونى الى ان اقدم لك نصيحة مخلصه ... لا تحاولى سلب هذا القصر ... لماذا ؟ ... هل خططت لسلبه انت اولا ؟ ...

فتناول جيف ذراعها وتقدم بها الى ناحية غير مطروقة قسرب البيانو حيث كان عازف شاب يذيب قلبه بالحن يردددها ، ولهذا لم يكن صوت جيف مسموعا الا فى اذن تريسي وحدها وهو يرد قائلا : فى الواقع اننى كنت اخطط لعملية صغيرة ، لكنها شديدة الخطر ...

فالت تريسي وقد بدأ الحديث يطيب لها بعد هذا التصنع الذى استمر بينهما فترة : اتقول حقا ؟ ..

فاجاب جيف بلهجة انحازت الى الجد : استمعى الى ياتريسي .. لا تقومى بهذه المحاولة ... اولا لانك لن تشقى طريقك الى داخل القصر وانت حية ... فانهم يطلقون فى الليل كلبا ضاريا يقتل الطارق فى الحال ...

فجأة راحت تريسي تصفى باهتمام .. ان جيف يخطط فعلا للسطو على القصر ... بينما مضى يقول : ان كل نافذة وباب محصن بالاسلاك ... واجراس الانذار متصلة بمركز الشرطة مباشرة ... وحتى اذا افلحت فعلا فى الدخول الى البيت ، فالمكان كله تتقاطع فيه خطوط الاشعة دون الحمراء غير المرئية .

— أنا أعرف كل هذا ..

— اذن يجب أن تعرفي أيضا أن الشماع لا يطلق جرس الانذار
عندما تخطين فيه ... انه يطلق الانذار عندما تجتازينه .. فهو
يعمل بنظام تغير الحرارة ... فلا سبيل هناك لكى تمرى منه دون
جعله نطاق ...

انها لم تكن تعلم هذا ، فكيف عرف جيف ؟ .

— لماذا تقول لى كل هذا ؟ ..

فابتسم .. وبدا لها انه لم يكن قط بأكثر من هذا جاذبية ، ورد
عليها : اننى فى الحقيقة لا أريد أن يقبض عليك يادوقه ... اننى
أحب أن أراك حولى ... الواقع ياترىسى انه يمكننا انت وأنا أن
نصبح أصدقاء حميمين ...

فردت بيقين : أنت مخطيء ... هاهى عزيزتك واجمة .. تمتع
بوقتك ! .

وكانت مادية العشاء فاخرة ، كل دورة فيها مصحوبة بالانبذة
الخاصة الملائمة لها ، يقدمها خدم بقفازات بيضاء .. وبعد القهوة
والبراندى للرجال ، وزعت على السيدات قناني بلورية أنيقة من
عطور فواحة ..

وقال الكونت دى ماتينى لتريسى فى نهاية المأدبة : قلت أنك
مشتاقة لمشاهدة بعض لوحاتى الفنية ... فهل تحبين أن تلقى عليها
نظرة الآن ؟ ...

— هذا أحب شىء عندى ..

كانت قاعة اللوحات الفنية متحفاً فريداً حقاً بما اجتمع فيه من
لوحات كبار الفنانين العالميين مما يعد ثروة لا تقدر ، وقد راحت
تريسى تتأملها طويلاً مأخوذة بجمالها ، حتى قالت أخيراً : لعل هذه
النفائس تحت حراسة قوية ..

فرد الكونت باسم : فى ثلاث مناسبات حاول اللصوص الوصول
الى كنوزى هذه .. فقتل أحدهم بأنياب كلبى ، وشوهت معالم
الثانى ، أما الثالث فكان نصيبه السجن المؤبد ... ان هذا القصر
قلعة منيعة يادوقه ..

ولاحت أضواء بارقة فى الخارج ، فقال لها الكونت : لقد بدأ
عرض الألعاب النارية .. واظن أنها ستعجبك ...

واخذ يدها الرقيقة الغضة فى يده اليابسة الناحطة وقادها الى

خارج قلعة اللوحات الفنية وهو يقول لها : اننى مسافر الى
دوفيل فى الصباح ، حيث امتلك فيلا على شاطئ البحر .. وقد
دعوت مجموعة محدودة من الاصدقاء لقضاء عطلة نهاية الاسبوع
القادمة ... فلعلها تروقك ...

فقال تريسي بأسف : انا واثقة من هذا .. لكن اعتقد ان زوجى
سيقلق ... وهو يصر على عودتى ...
واستمر عرض الالعاب النارية حوالى ساعة ، انتهزت تريسي
خلالها فرصة الهرج السائد لاستطلاع وتفقد القصر .. فتبين لها
ان ما قال جيف هو الحق ، وان عملية سطو ناجحة دونها المخاطر ..
بيد انه من أجل هذا السبب ذاته كان يحدى الخطر باعنا على الأقرار
الغلاب ... فهي تعرف أن غرفة نوم الكونت العليا تضم مجوهرات
نفيسة قيمتها مليون دولار ، وعدة لوحات لاساطين الفس من
ليوناردو دافنشى ...

الفصل الرابع العشرون :

فى الليلة التالية كان الطقس قارس البرد والسماء ملبدة بالسحب
ولاحت أسوار قصر الكونت دى ماتينى العالية مكفهرة كالحة بينما
وقفت تريسي فى الظلال مرتدية « أوفرول » أسود وحذاء مطاط
النعل وقفازا أسود لونا ، وقد حملت حقيبة منكب ...
كانت قد قادت سيارة النقل المستأجرة بمحاذاة السور الحجرى
فى الجانب الخلفى للقصر ... ومن الجانب الآخر للسور أتبعثت
زمجرة شرسة خافتة مالبثت ان تطورت الى نباح مسعور عندما
وثب الكلب فى الهواء محاولا الهجوم بجسده القوى الثقيل وانيابه
المبتهمة ..

وعندئذ نادى بصوت خفيض شخصا كان فى السيارة قائلة :
الآن ! ...

فخرج من السيارة رجل قصير متوسط العمر فى رداء أسود
مثلا حاملا كيسا على ظهره به انشى كلب من نوع « الدوبرمان » ..
كان احضار الكلبة فى أوانه ، ومالبث النباح الصادر من الجانب
الآخر للسور ان تغير فجأة من الشراسة الى الحمومة المنفعلة ..
وتولت تريسي مساعدة الرجل فى رفع الكلبة الى أعلى السيارة

التي كانت في مستوى ارتفاع السور ، وهمست : واحد .. اثنان
ثلاثة ! ...

ودفعا الكلبة من فوق السور الى داخلية القصر ... فانبعثت
بعضتان حادثان ، اعقبتهما سلسلة همهمة وشمشمة ، ثم صوت
جري كلبين ... وبعد هذا ساد سكون تام .. فالتفت تريسي الى
شريكها وقالت : هيا بنا ...

أوما لويس جان برأسه ... لقد وجدته في انتيب .. كان لصا
أمضى معظم حياته في السجن ... وهو لم يكن معدودا من الاذكياء ،
لكنه كان عبقرى في معالجة الاقفال ونظم الانذار ، مؤهلا تماما
لهذه العملية ...

وخطت تريسي من فوق السيارة الى أعلى السور . وبسطة سلما
من الحبال وشبكت طرفه المعقوف في الحائط .. ثم هبط الاثنان
من السلم الى الحشائش من تحت ... وبدا القصر مختلفا تماما
عما كان يبدو في الليلة الفائتة ، عندما كان متلألئا بالانوار ومكتظا
بالضيوف الضاحكين .. كان كل شيء الآن مظلما ومتجهما ..

ومشى جان لويس في اثر تريسي وهو على تمام الحذر من كلبى
« الدوبرمان » ... وكان القصر مكسوا بطبقات كثيفة من اللابل
المتراصة على مدى القرون متعلقا فوق الجدران حتى السقف ...
وكانت تريسي قد اختبرت متانته عرضا في الليلة السابقة .. فبدأت
فى التسلق رهي تنظر الى الارض من تحتها ، فوجدته يحتمل
ثقلها ... وحتى الآن لم يبد أى اثر للكلبين ، فجعلت تدعو فى
سرهما أن يظلا مشغولين أطول فترة ممكنة ...

وعندما وصلت تريسي الى سطح المنزل اشارت الى جان لويس
وانتظرت حتى صعد الى جانبها ... وفي خيط ضئيل من ضوء
البطارية التي انارتها شاهدا منورا زجاجيا ، موصدا باحكام من
تحت ... ووقفت تراقب جان لويس وهو يخرج من كيسه قاطعة
زجاج لم تستغرق منه أكثر من دقيقة لرفع زجاج النور ...
ولما نظرت تريسي الى أسفل رأت أن طريقهما مسدود بشبكة
عنكبوتية من أسلاك الانذار ، فقالت لصاحبها همسا : أيمكنك بلجان
معالجة هذه الأسلاك ؟

- بإمكانى هذا ... ليست مشكلة ...

وأخرج من الكيس قطعة سلك بطول قدم بها عازل في كل من

طرفيها .. وبكل حذر أخذ يتلمس بداية سلك الانذار ، تفصله .
واوصل السلك العازل بطرف الانذار ... ثم أخرج زردية و قطع
سلك الانذار بحذر ... وكانت تريسى تراقب هذا وهى متوترة ،
متوقعة أن ينطلق الانذار ، لكن ظل كل شيء هادئا .. وتطلع اليها
جان لويس باسم وقال : انتهينا ! ..

واستخدما سلم حبال آخر للهبوط فى المنور .. واستطاعا أن
يصلا بسلام الى الغرفة العلوية ... ولكن عندما فكرت فيما هو
أت بعد ذلك بدأ قلبها يدق ...

ثم أخرجت نظارتين عدساتهما حمراء قدمت احدهما لجان
لويس وطالبت أن يضعها فوق عينيه ... لقد دبرت وسيلة لصرف
انتباه كلب الدوبرمان الوحشى عنهما ، ولكن الانذار المتسبب عن
الاشعة دون الحمراء غير المرئية هو مشكلة أعوص ، خصوصا والاشعة
متداخلة متشابكة ... وقد ظلت تريسى تفكر وقتا طويلا طول
ليلها فى التماس الحل ، الى أن اهتدت اليه فى بكرة الصباح ...
هكذا وضعت نظارتها ذات الاشعة دون الحمراء فوق عينيها ،
وفى لحظة خاطفة اكتسى كل شيء فى الغرفة بوهج أحمر مرعب ..
وابصرت تريسى أمام باب الغرفة شعاعا من الضوء كان ممكنا ألا تراه
العين بدون النظارة ... وقالت لجان لويس محذرة : تسلل من
تحتة ...

وزحفا من تحت الشعاع وافضيا الى ردهة مظلمة مؤدية الى غرفة
نوم الكونت .. فأضاءت تريسى البطارية وتقدمت صاحبها .. ومن
خلال نظارة الاشعة دون الحمراء استطاعت أن تبصر شعاعا آخر ،
ولكنه كان هذه المرة واطئا بعرض مدخل غرفة النوم ... فقفزت
من فوقه بكل حذر ، وفى أثرها جان لويس ...

وراحت تريسى تدير ضوء البطارية حول الجدران ، فاذا أمامها
اللوحات الفنية النفيسة مائلة ، أخاذة ومبهرة ... هندئلا تذكرت
ماقاله جانشر هارتوج لها : عدينى أن تأتينى بلوحة ليوناردو دافنشى
وبالمجوهرات طبعاً ! ...

هكذا أنزلت تريسى اللوحة وأدارتها ووضعتها على الأرض ،
وبحرص شديد نزعَت الرسم من الاطار وطوته ثم وضعتة فى
حقيبة ... ولم يبق الآن سوى الوصول الى الخزانة التى كانت قائمة
فى حيز جانبي مستور فى أقصى غرفة النوم ..

فتحت تريسي الستائر ... فاذا اربعة خيوط من الاشعة دون الحمراء قد تقاطعت في الحيز من الارض الى السقف ، وكان من المستحيل الوصول الى الخزانة دون اقتحام واحد منها ...
راح جان لويس يحدق في الاشعة مرتاعا ، قائلا : يااله الرحمة ! لا يمكننا المرور من بين هذه الاشعة ... انها اوطأ من أن نرحف من تحتها ، واعلى من أن نقفز من فوقها ! ...
فردت تريسي قائلة : أريد منك فقط أن تفعل بالضبط ما أقوله لك ...

وانشنت وجاعت خلف ظهره وطوقت خصره بلراعيها في احكام ، وقالت : الآن ، سر معي ... القدم اليسرى أولا ...
وتقدما خطوة نحو الاشعة ، ثم خطوة أخرى .. فقال جان لويس لاهثا : مهلا ! .. اننا ندخل في نطاق الاشعة ! ...
- بالضبط ...

وتحركا الى قلب الاشعة تماما ، ثم توقفت تريسي وقالت له :
الآن اصغ الى بدقة ... أريد منك أن تتقدم الى الخزانة ..
- لكن الاشعة ! ..

- لا تقلق .. سيكون كل شيء على مايرام .
وذهبت تدعو في سرها أن يتحقق هذا ! ...
وبعد تردد اخذ جان لويس يخطو الى خارج نطاق الاشعة دون الحمراء ... فاذا كل شيء ساكن هادئ ... فنظر من خلفه الى تريسي بعينين فزعيتين ، فراها واقفة في وسط الاشعة ، لان الحرارة المنبعثة من جسدها منعت « المستشعر الحراري » من اطلاق الانذار ، اذ ان هذا المستشعر يكشف الفرق الحراري عند دخول أحد فيه ، فينطلق الانذار فورا ، وهو مالم يحدث بوجود تريسي في قلب الاشعة ... وهكذا هرول جان لويس الى ناحية الخزانة ... ووقفت تريسي جامدة متصلبة وهي تدرك انه لحظة أن تتحرك ، فليسوف ينطلق الانذار ...

ومن طرف احدى عينيها كانت تلمح جان لويس وهو يخرج بعض العدد من كيسه ويبدأ عملياته في قرص الخزانة الدائر .. وظلت تريسي جامدة لا تبدى أدنى حراك وهي تأخذ انفاسا بطيئة عميقة وبدا كأن القرص توقف ، وكان جان لويس يستغرق دهرًا في عملياته . وبدأت سماعة ساقها اليسرى تؤلمها ، ثم أخذت تلتوى فلم تستطع

الا ان تضغط على أسنانها دون أن تجسر على التحرك قيد انملة ..
وبرغمها همست : الى متى ؟ ...
- عشر ، أو خمسة عشر دقيقة .

لقد خيل الى تريسي انها ظلت واقفة عمرا مديدا ... وبدأت
عضلات ساقتها اليسرى تتقلص الما حتى شعرت كأنما توشك أن
تصرخ توجعا ... لقد سموت فى موضعها فى وسط الاشعة ،
مشلولة ... وأخيرا سمعت طقطقة .. وفتحت الخزانة . وسمعت
جان لويس يهتف : رائع ! .. هذا البنك بما فيه ! . هل تريد
كل شيء ؟ ..

- لا أوراق بالمره .. المجوهرات فقط .. كل ما يوجد من نقود
هو لك ..
- شكرا ...

وسمعه تريسي وهو يقلب فيما بداخل الخزانة ، وبعد فترة
قصيرة عاد اليها وقال : هائل ! .. لكن كيف نخرج من هنا دون
أن نكسر الشعاع ؟ ..

فقالت له : لن نفعل هذا ...
فقال محمقا : ماذا ؟ ..

- قف أمامي ...

- لكن ...

- افعل ما أقول لك ...

فخطا جان لويس الى داخل الشعاع مرتعبا .. وحبست تريسي
انفاسها ... فلم يحدث شيء ... فقالت : حسنا ... والآن ،
سنعود ادراجنا ، بكل بطء ، الى خارج الغرفة :
فقال جان لويس وعيناه تكادان تجحطان خلف النظارة : وبعد
ذلك ؟ ..

- بعد ذلك يا صديقى ، سنجرى بكل قوة ...

وأخذا يتراجعا بظهرهما نحو الستائر بوصية بوصية ، الى حيث
بدأ الاشعة ... وعندما وصلا اليها أخذت تريسي نفسا عميقا
وقالت : حسنا ... عندما أقول : « الآن » ، نخرج بنفس الكيفية
التي دخلنا بها ...

ابتلع جان لويس ريقه وأوما برأسه ... وكان يوسعها أن تشعر
بجسده الضئيل وهو يرتعد ...
- الآن ! ..

وانشنت تريسى مستديرة وركضت الى الباب ، وجان لويس فى
انرها .. وفى اللحظة التى خرجا فيها من نطاق الأشعة ، انطلق
الانذار ...

أسرعت تريسى الى قرفة السطح وتسلقت سلم الحبال وكان
لويس فى أعقابها ... وركضا فوق السطح ركضا ثم هبطا ممسكين
بجدائل اللابل ، وبعدها أسرعا فى اتجاه السور حيث كان السلم
الثانى فى انتظارهما ... ولم تمض لحظات حتى وصلا الى أعلى
سيارة النقل ثم هبطا اليها حيث وثبت تريسى الى مقعد القيادة
وجان لويس بجانبها ...

وبينما كانت السيارة تسرع فى الطريق الجانبى ، لمحت تريسى
هيكل سيارة ذات مقعدين واقفة بين الأشجار .. وعندما أضاءت
أنوار سيارة النقل الامامية داخل السيارة الواقفة مدى لحظة ،
لمحت تريسى - جيف ستيفنز جالسا الى عجلة القيادة ، وبجانبه
كلب « دوبرمان » كبير ... فلم تتمالك أن ضحكت عاليا وأرسلت
الى جيف قبلة فى الهواء وسبارتهما تسابق الريح ...
وعلى البعد سمع عويل « سارينات » البوليس تقترب ...

الفصل الخامس والعشرون

يعتبر فندق ريتز فى العاصمة الاسبانية مدريد أفضل الفنادق
فى أسبانيا ، وعلى مدار أكثر من قرن من الزمان استضاف الفندق
العديد من حكام أوروبا ملوكا ورؤساء ودكتاتوريين وأصحاب بلايين
ولطالما سمعت تريسى عن شهرة الفندق الدائمة ، فلم تلبث أن
خابت ظنونها عندما حلت به فعلا ، اذ بدت ردهته الكبرى باهتة
ورثة ... ومهما يكن فقد رافقها المدير المساعد الى الجناح الذى
أمرت بحجزه فى الطرف الجنوبى للفندق ، مطلا على متحف برادو
الشهير ... وقال لها : أرجو أن يعجبك هذا الجناح بامس
هويتنى ...

فتقدمت تريسي الى النافذة ونظرت منها .. كان متحف برادو ارامها مباشرة ، فى الجانب الآخر للميدان ، فقالت للرجل : هذا مكن لطيف ، شكرا ...

كان الجناح مليئا بالاصوات الزاعقة من ضجيج حركة المرور الكثيفة فى الشوارع المحيطة بالفندق ، ولكن كانت له ميزة الاطلاع على المتحف ، وهو غايتها من الحضور الى العاصمة الاسبانية .. كان جانتر هارتوج قد اجتمع بها قبل ذلك وقال لها : عندي لك مهمة دقيقة ... هناك زبون ثرى متلهف لاقتناء لوحة فنية معينة ، هى اللوحة المعروفة باسم « الميناء » للرسام الشهير جويا وهو على استعداد لدفع نصف مليون دولار نقدا لاي شخص يمكنه الحصول عليها ، هذا غير عمولتي .. ففكرت تريسي برهة ثم قالت : وهل هناك آخرون يقومون بالمحاولة ؟ ..

- بصراحة ، نعم .. وفى رايى أن فرص النجاح محدودة .

- واين اللوحة ؟ ..

- فى متحف برادو بمدريد ..

- متحف برادو ؟ ! ..

قالت هذا وكان اول خاطر يرق فى ذهنها هو : الاستحالة ... فقال لها : ان هذه العملية تتطلب قدرا كبيرا من الابتكار والحدق .. ومن اجل هذا فكرت فيك أنت ياتريسي ..

فردت قائلة : هذا اطراء منك ... قلت نصف مليون دولار ؟ .. - نقدا وفورا ..

ولقد طلبت تريسي مساء خفيفا فى غرفتها بالفندق هذه الليلة الاولى وادت الى فراشها مبكرة ...

وعند منتصف الليل قام المخبر السرى الذى كان مكلفا بالمراقبة فى ردهة الفندق وسلم المهمة الى زميله قائلا : انها لم تبارح غرفتها وأظن انها سوف تلزمها بقية الليل ..

ففى اليوم السابق تلقى سانتياجو وأميرو مدير الامن العام فى مدريد برقية عاجلة من ادارة « الانتربول » بخطرته بقرب وصول تريسي هويتنى ... وقد قرأ الرجل الفقرة الاخيرة من البرقية مرتين ، ثم اتصل تليفونيا بالمفتش اندريه ترينيان مدير البوليس الحنائى الدولى قائلا : اتنى لا افهم رسالتكم ... انتم تطلبون منى

أن أقدم المعاونة الكاملة لرجل أمريكى ليس حتى من رجال البوليس
فلأى سبب ؟ ..

- يا قومندان ... اظن أنك ستجد مستر دانييل كوبر نافعا
جدا . فهو يعرف مس تريسى هويتنى ويفهمها ..
فرد مدير الامن الاسبانى قائلا : وما الذى يتطلب المعرفة
والفهم ؟ .. انها مجرمة .. وقد تكون بارعة ... لكن السجون
الاسبانية مملوءة بالمجرمين البارعين ! .. وهذه المذكورة لن تفلت
من شباكنا ! ...

- جميل ... وسوف تتشاور مع مستر كوبر ؟
فقال مدير الامن فى غضاضة : لا مانع عندى ..

- شكرا ياسيدى .

- العفو ياسنيور ...

كان القومندان ، راميرو ، مثل نظيره فى باريس ، لا يعشق
الامريكيين لما يراه فيهم من الجفوة والمادية والسذاجة ، ولكنه
قال لنفسه لعل هذا القادم قد يختلف عن أبناء جلدته ، وربما ملت
اليه ...

بيد انه كره دانييل كوبر من اول نظرة ...

قال له كوبر لدى دخوله الى مكتبه : انها غلبت نصف قوات

البوليس فى اوربا .. والمرجح انها ستفعل المثل معكم ...

وبجهد جهيد تمالك « القومندان » اعصابه ، وقال : ياسنيور ..

لسنا بحاجة الى اى كائن لتعريفنا بواجبنا ... ان السنيوريتاهويتنى

وضعت تحت المراقبة منذ لحظة وصولها الى مطار العاصمة ...

واؤكد لك انه حتى لو وقع فى الشارع اى دبوس والتقطته مس

هويتنى ، لزوج بها فى السجن ... انها لم تعرف من قبل ماهو

البوليس الاسبانى ...

- انها لم تحضر الى هنا لالتقاط دبوس ! ..

- ولماذا تظن انها جاءت الى هنا ؟ ..

- لست متأكدا ... يمكننى فقط أن أقول انها جاءت لشيء

كبير ...

فقال مدير الامن منتفشا : كلما كبر كان احسن ... سوف

نراقب حركاتها وسكناتها ! ..

وعندما استيقظت تريسى فى الصباح بعد ليلة مؤرقة طلبت

افطارا خفيفا وقهوة سوداء ، ثم تقدمت الى النافذة المظلة على متحف برادو ... كان المبنى اشبه بقلعة مهيبة ، شيد بالاحجار والقرميد الاحمر ، وحفت به الاعشاب والاشجار ، وقام عن جانبيه عمودان منقوشان ، وسلام مزدوجة تؤدي الى المدخل الامامى .. وعند مستوى الشارع كان ثمة مدخلان جانبيان ... وكان تلامذة المدارس والسياح من شتى الاقطار يصطفون امام المتحف انتظارا لفتح ابوابه فى العاشرة صباحا ... وفى هذا الموعد كان الحراس يفتحون بابى المدخلين الكبيرين الاماميين ويبدأ الزائرون يتحركون من خلال الباب الدوار فى الوسط ومن المدخلين الجانبيين عند مستوى الشارع ...

وفجأة رن جرس التليفون حتى انتفضت تريسى ... فلم يكن احد يعرف بوجودها فى مدريد سوى جانترهارتوج ... وقد رفعت السماعة وقالت : آلو ؟ ... فسمعت صوتا معهودا يقول لها : نهارك سعيد ياسنيوريتا ... اننى اتكلم بالنيابة عن الغرفة التجارية فى مدريد ، وقد طلبوا منى ان افعل كل ما فى وسعى للتأكد من أنك ستقضين وقتا حافلا فى مدينتنا ...

- كيف عرفت اننى فى مدريد يا جيف ؟ ...

- ياسنيوريتا ، ان الغرفة التجارية تعرف كل شيء ... هل هذه اول زيارة لك هنا ؟ ...

- نعم ..

- جميل ... اذن فبإمكانى ان افرجك على بعض الاماكن .. الى متى تنوين ان تبقى هنا يا تريسى ؟ ...

فاجابت بخفة : المدة الكافية للشراء من المحلات والفرجة السياحية ... وماذا تفعل انت فى مدريد ؟ ...

فاجاب يمثل لهجتها : نفس الشيء ... الشراء من المحلات والفرجة السياحية .

لم تؤمن تريسى بالمصادفات .. ان جيف ستيفنز جاء الى هنا لنفس السبب الذى جاءت من اجله : لسرقة لوحة « الميناء » للرسم جويا ...

ثم سالها : هل انت خالية لتناول العشاء ؟ ...

فردت بجرأة : نعم ...

- بديع .. سأحجز مائدة فى مطعم جوكى .

ومن الحق أن تريسى لم تكن لديها أوهام خادعة حيال جيف ، ولكنها عندما خرجت من المصعد الى الردهة وشاهدته واقفا هناك فى انتظارها ، شعرت على عكس المعقول بسرور لرؤيته ... وقال وهو يتناول يدها فى يده : يا للروعة ! .. كم أنت فائنة بهذه الإناقة ! ..

وكان دانييل كوبر الجالس الى مائدة صغيرة فى ركن الردهة وإمامه زحاجة شراب خفيف يراقب تريسى وهى تحبى رفيقها ، فزاد هذا من اصراره على اقتناصها فى المرة القادمة ، رغم افلاتها من يده حتى الآن ...

وفى مطعم جوكى الصغير الانيق قال لها جيف : الطعام هنا فاخر ...

لقد بدا لها جيف الآن وسيما بصفة خاصة ... وقد آنست فى نفسيته انفعالا داخليا يضاهى انفعالها ، وعرفت السبب .. فكلاهما ينافس الآخر ، مباريا بذكائه ذكاء الآخر ، فى لعبة مغانمها كبيرة .. ومن ثم قالت تريسى لنفسها : لكننى سأفوز عليه .. سأتوصل الى طريقة لسرقة تلك اللوحة الفنية من متحف برادو قبل أن يسرقها هو ! ...

وسمعه يقول لها : هناك شائعة غريبة هنا .

فركزت اهتمامها عليه قائلة : أى نوع من الشائعات هى ؟ ..

— هل سمعت مرة عن دانييل كوبر ؟ .. هو محقق فى انحسار شركات التأمين ، آية فى الدهاء ..

— لا .. وماذا عنه ؟ ..

— كونى على حذر .. هو رجل خطير .. لا ارضى أن يحدث لك

شيء .

— لا تشغل بالك ..

— لكن بالى انشغل فعلا بأتريسى ...

فضحكت قائلة : من أجلى ؟ .. لماذا ؟ ..

فوضع يده على يدها وأجاب بخفة : ان لك منزلة خاصة

منى ... والحياة تكون أكثر امتاعا وانت من حولى ، يا حبيبى ! ..

قالت تريسى لنفسها : كم يبدو مقنعا ... ولو لم اكن أعرف

حقيقته ، لصدقته .

وبصوت مسموع قالت له : لنطلب العشاء .. انا ميتة من الجوع ! ...

وفى الايام التالية راح جيف وتريسي يطوفان بأرجاء مدريد .. غير انهما لم يكونا وحدهما فى اى وقت ، اذ كان يتبعهما على الدوام اثنان من رجال الامن التابعين لراميرو ، يصحبهما الامريكى دانييل كوبر ، الذى سمح له مدير الامن ان يكون جزءا من قوة المراقبة لسبب بسيط هو ان يزيده جنونا ... انه مقتنع الى حد الهوس بان المدعوة تريسي هويتنى تدبر لسرقة كنز ثمين من تحت انوف الشرطة الاسبانية ! .. فيا للسخف ! ..

هكذا راح دانييل كوبر يتبعهما كظلهما مع المخبين السريين ، متسائلا فى نفسه من دور جيف ستيفنز فى الدراما التى يتفرج عليها ... فمن يكون هذا الرجل ؟ .. ضحية تريسي التالية .. ام انهما يدبران معا لشيء ؟ ..

وعندما فاتح كوبر مدير الامن عن جيف ستيفنز طالبا معلومات بصددده ، اجابه قائلا : لا شيء عندنا بخصوصه .. ليس له سجل جنائى وهو مسجل هنا كسائح ... واطنه مجرد رفيق لها التقطته فى طريقها ..

بيد ان غريزة كوبر حدثته بالعكس ، ومع ذلك فلبس جيف ستيفنز هو الذى يطارده ... انما كانت طريدته هى تريسي هويتنى ... ولسوف يضع يده عليها عاجلا او آجلا ، كما امر لنفسه ! ..

وعندما عادت تريسي وجيف الى فندق ريتز فى ختام مسهرة متأخرة ، صحبها جيف الى باب جناحها قائلا : لماذا لا ادخل للمسامرة بعض الوقت ؟ ..

شعرت تريسي بميل الى الموافقة ، بيد انها مالت نحوه ووضعت قبلة خفيفة على خده قائلة : فكر فى كآخت لك يا جيف .. واغلقت الباب دونه ..

لقد ظلت يقظى شطرا طويلا من الليل وفكرها ملئ بخواطر لاحق لها فى التفكير فيها ... فقد مضى عهد مديد منذ ان ارتبطت برباط عاطفى مع رجل .. ان تشارلز قد جرحها جرحا عميقا ، ولم تعد لها قابلية لكى تتلقى جرحا جديدا ... ان جيف ستيفنز رفيق لطيف جذاب ، غير انها كانت تعرف انه ماينبغى لها ان تسمح له

بأن يكون أكثر من هذا ... من السهل أن تدع نفسها تقع في حبه ..
لكنها حماقة .. وهزل .. ثم دمار ..
ولم يأخذ النوم بمعاقب أجفانها إلا بعد لاي ..

الفصل السادس والعشرون

في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي كانت تريسى واقفة في الصف الطويل عند مدخل متحف برادو ... وعندما فتحت الابواب تولى أحد الحراس في زيه الرسمي تشغيل الباب الدوار الذى يسمح بدخول زائر واحد بعد الآخر .. وقد اشترت تريسى تذكرة وتحركت مع الجمهور الداخلى الى القاعة المستديرة .. وكان دانييل كوبر والمخبر السرى يسيران خلفها من مبعدة ، وبدأ كوبر يخامره انفعال متزايد - لقد أصبح موقنا أن تريسى هويتنى لم تجيء كزائرة ... ومهما يكن من أمر الخطة التى تدبرها ، فهذه هى بدايتها ...

وراحت تريسى تتقدم الهويئا من قاعة الى قاعة امتلات كلها بلوحات من مشاهير الفنانين ... أما لوحات جويا فكانت قائمة فى معرض خاص فى الطابق الارضى ..

ولاحظت تريسى أن حارسا رسميا كان يقف فى مدخل كل قاعة ، وعن كذب منه زر أحمر انذارى ... فعلمت أنه فى اللحظة التى ينطلق فيها الانذار ، تقفل كافة مداخل ومخارج المتحف باحكام ، ولا تبقى أى فرصة للهرب ..

وشاهدت فى عديد القاعات فنانين قد نصبوا مراسمهم وانهمكوا بكل جهد فى نقل رسوم مشاهير الفنانين ، طبقا لما يسمح به المتحف ، غير أن تريسى لاحظت أن الحراس كانوا يراقبون عن كذب تلك اللوحات المقلدة ...

وبعد أن اتمت تريسى طوافها فى الطابق الرئيسى ، هبطت فى السلالم الى الطابق الارضى ، حيث يوجد معرض لوحات فرنسيسكو دى جوبيا ..

وقد بدا لتريسى أن معرض جويا تحت حراسة أشد من غيره ، وهو اهل لهذا حقا ، بما ضم من روائع اللوحات العالمية .. وأخيرا توقفت عند لوحة « الميناء » تحديق فيها مبهورة مأخوذة وقد بدا

قلبها يدق ... وقع نظرها فى امامية الرسم الزيتى على مجموعة من الرجال والنساء فى ملابس جميلة واقفين امام سور حجري ، وفى الخلفية ظهرت ، من خلال ظلاله نورانية ، قوارب صيد فى ميناء ومنارة بعيدة ... وكانت اللوحة مهيورة بتوقيع جويا فى الزاوية اليسارية السفلى ..

ذلك هو الهدف المطلوب ! ... ومكافاته نصف مليون دولار ! . راحت ترأسى تدبير النظر حولها .. رأت حارسا يقف عند المدخل ... ومن بعده فى المشى الطويل المؤدى الى القاعات الاخرى حراس آخرون .. وقد وقفت مكانها طويلا تحديق على لوحة «الميناء» وعندما همت بالابتعاد لمحت جمعا من السائحين يهبطون فى السلالم ... وكان فى وسطهم جيف ستيغنز . وسرعان ما اشاحت تريسى براسها وهرولت مبتعدة من المدخل الجانبي قبل ان يتمكن من رؤيتها .

لسوف يكون الامر سباقا بينهما ، وسوف تكسب هى السباق هـ كما زاجت نفسها ...

قال دانييل كوبر لمدير الامن الاسباتى : انها تدبر لسرقة لوحة من المتحف ..

فنظر رامرو الى كوبر غير مصدقة ، قائلا : هراء ! .. لا يستطيع انسان ان يسرق لوحة من متحف برادو ! ..

فقال كوبر باصرار وعناد : انها كانت هناك طوال الصباح ..

- لم تحدث قط سرقة فى متحف برادو ، ولن تحدث أبدا ...

وهل تعرف السبب ؟ . لان هذا مستحيل ...

- انها لن تمارس الطرق العادية .. لابد ان تعمل على وقاية

مناقل المتحف ، فى حالة هجوم بالغازات ... واذا كان الجراس يشربون القهوة اثناء الحراسة ، فلتراقب الجهة التى ياخذونها منها ، وهل يمكن دس مخدر فيها ؟ .. وافحص ايضا مياه الشرب ..

هكذا طفع الكيل لدى رامير ، ولم يعد فى قوس الصبر منزع

امام هذا « الامريكى القبيح » الذى جاوز كافة الحدود وجاء الآن يلقنه ما يفعل وما يدع ... ولذا قال : فى رأى ان هذه السيدة

جاءت الى مدريد فى اجازة وسأمر بوقف المراقبة ...

ونهض مدير الامن منتفضا واردف : والان ارجو الا تفرض نفسك

على ، واذا لم يكن ماثقوله غير هذا ، فأننى رجل مشغول جدا . .
فوقف كوبر ، وقال شاعرا باحباط بالغ : اذن سأسنمر فى المراقبة
وحده .

فقال مدير الامن باسم : لكى تجعل متحف برادو فى امان من
خطر هذه المرأة الداهم . . . بالطبع ياسنيير كوبر . . بوسعى الآن
ان انام ليلا ! . .

الفصل السابع العشرون

عادت تريسي الى متحف برادو فى اليوم التالى . . لم تجد شيئا
قد تغير باستثناء وجوه الزائرين . . . وجعلت تريسي تبحث بين
الجميع فلم تجد اثرا لجيف ستيفنز . . قالت لنفسها : لابد انه
وضع خطته لسرقة لوحة جويا . . . ابن اللثام هذا ! . . ان كل هذه
الرقعة وهذا التلطف اللذين طالعهما بهما لم يكون اكثر من ذر الرماد
فى عينيها وتشتيت فكرها لمنعها من الاستيلاء على اللوحة أولا . .
غير انها كظمت غيظها ولاذت بالمنطق الهادىء البارد . . .

ثم يعمت تريسي شطر لوحة « الميناء » مرة أخرى ومـرحت
بعينيها بين اللوحات القريبة ، والحراس المتيقظين ، والرسامين
الهواة جالسين على مقاعدهم الصغيرة امام مراسمهم ، والجمـاهير
المتقاطرة دخولا وخروجا . . وفجأة خفق قلبها . . . وقالت لنفسها :
عرفت الآن كيف اتم العملية ! . .

وخرجت الى كشك تليفون عمومى قريب حيث اتصلت بجانتر
هارتوج وتبادلت معه حديثا قالت فى ختامه : لابد ان تتأكد
باجانتر انه سيعمل بسرعة . . لن يكون امامه الا حوالى دقيقتين . .
ان كل شيء يتوقف على السرعة . .



بعد يومين كانت تريسي جالسة فوق مقعد بحدائق رترو الجميلة
التي تتوسط مدريد ، منهمكة فى اطعام الحمام . . .

وبعد فترة مر سيزار بورتيا وهو رجل مسن اشيب الشعر
محدب الظهر قليلا فى المشى ، وعندما وصل الى المقعد جلس بجانب
تريسي ، ثم فتح كيسا من الورق وراح ينثر فتات الخبز الى

الطيور .. وقال لها : صباح الخير ... فردت قائلة : صباح الخير .. هل وجدت أى مشكلة ؟
- لا توجد أية مشكلة ياسنيوريتا .. كل ما أحتاج اليه هو الوقت والتاريخ ..

فقالت تريسي : لم يصل هذا الى علمي .. قريبا .. فابتسم عن أسنان ذاهبة وقال : ان البوليس سوف يفقد عقله .. مامن احد قام بمثل هذه المحاولة من قبل ! ..
فقالت تريسي : وهذا هو السبب في انها ستنجح .. سوف نسمع مني ...

وطوحت. بأخر الفئات للحمام ونهضت وسارت مبتعدة وثوبها الحريري يتماوج جذابا حول ساقها ..

وفي صباح اليوم التالي عندما غادرت تريسي فندق ريتز لم يكف دانسل كوبر عن متابعتها دون ان تبصره .. وظل يراقبها وهي ترتاد المحال وتتفرج على المعروضات في واجهاتها ... وعندما دخلت الى متجر كبير رآها تكلم إحدى العاملات ، ثم توجه الى « تواليت » السيدات ، فلم يملك الا ان يقف قرب الباب محبطا .. فهذا هو المكان الوحيد الذي لا يستطيع اقتحامه ... ولو تها له ان يدخل لشاهد تريسي تكلم امرأة متوسطة العمر شديدة البدانة ، اذ قالت لها وهي تضع الاحمر على شفثيها امام مرآة : باكر صباحا الساعة الحادية عشرة .

فهزت المرأة رأسها قائلة : لا ياسنيوريتا ... انه لن يحب هذا . لا يمكنك ان تختاري أسوأ من هذا اليوم ... غدا سيصل أمير لكسمبورج في زيارة رسمية ، وقد ذكرت الصحف انه سيقوم بجولة في متحف برادو ... وسوف يوضع قوات اضافية من الحراس والبوليس في كل أنحاء المتحف ..
- البركة في الكثرة ! ..

وخرجت تريسي من الباب والمرأة البدينة تتمتم متحيرة ...



كان المقرر ان يصل الموكب الملكي الى متحف برادو في تمام الحادية عشرة صباحا ، وقد غصت الشوارع حول المتحف برجال الحرس الوطني ... ولكن بسبب تأخير في الحفل الذي أقيم في القصر الرئاسي ، لم يصل الموكب الا حوالي الظهر .. وأخيرا دوت

فى الجو اصوات « السارينات » عندما لاحت موتوسيكلات البوليس
الراكب للأنظار وهى تتقدم موكبا قوامه ست سيارات ليمسوزين
سوداء حتى السلالم الامامية للمتحف ...

وعند المدخل كان مدير المتحف كريستيان ماخادا ينتظر فى توتر
وصول سمو الزائر الكبير .. لقد قام فى الصباح بتفقد كل شىء ،
والتنبيه على الحراس بأن يكونوا فى تمام اليقظة .. فهو فخور
بمتحفه ، وهو يريد أن يترك الرا طيبا فى نفس الامير الزائر ...
وفى هذا قال لنفسه : ليس بضار أبدا أن يكون للانسان أصدقاء
فى الدوائر العليا ... من يدري ؟ .. فقد ادعى لتناول العشاء مع
سموه هذا المساء فى قصر الرئاسة ! ..

وكان مبعث الاسف الوحيد لدى كريستيان ماخادا هو أنه لا توجد
وسيلة لوقف تدفق أمواج السياح الذين يتجولون فى المعرض ...
غير أن حرس الامير الخاص وحراس امن المتحف سوف يؤمنون
سلامة الامير قطعا .. فكل شىء على تمام الاهبة فى هذا الصدد ..
وقد بدأ الموكب الملكى بزيارة الجناح العلوى حيث رحب به مدير
المتحف بحرارة وطلاقة ورافقه فى الطواف ، يتبعه الحرس المسلح ،
بالقاعة المستديرة ثم بالقاعات الاخرى حيث تعرض أعمال الرسامين
الاسبان فى القرن السادس عشر ... وفى ختام زيارة هذا الجناح
العلوى قال كريستيان ماخادا للامير مفاخرأ :

والآن اذا سمح لى سمو الامير ، سأهبط معه الى معرض
جويا ...

فى خلال ذلك كانت تريسى واقفة فى القاعة المجاورة للصالون
الذى كانت لوحة « الميناء » معروضة به ... ومن خلال الباب
المفتوح كانت تبصر الاحدب سيزار بوريتا جالسا امام مرسم ينسخ
لوحة لجويا معلقة بجانب لوحة « الميناء » ، وعن كذب منه بما
لا يزيد على ثلاثة أقدام وقف أحد الحراس ... وفى القاعة التى
رقت بها تريسى كانت رسامة منهمكة فى رسم لوحة أخرى باذلة
اقصى جهدها لنقل الالوان الوضاءة التى ضمتها لوحة جويا ..

ثم أقبل فوج من السياح اليابانيين تدفقوا على الصالون وهم
بشرثرون مثل سرب طيور منتشية ... الآن قد وجدت تريسى اللحظة
التي كانت تنتظرها ، وشعرت بقلبها يندق عنيفا حتى خيل اليها
أن الحراس يسمعون دقاته .. وقد حادت عن طريق الفوج الياباني

المقرب ، متجهة بظهرها نحو الرسامة ... قلم تلبث تريسى أن
وقعت علي ظهرها ، وكأنما دفعت دفعا ، مصطنعة بالرسامة ،
فطوحت بها ، وبالم رسم ، والقماش ، والالوان - الى الارض ..
وهتفت من قورها : أوه ! .. أنا في شدة الاسف ! ... دعيني
اساعدك ! ..

وفيما همت تريسو بمساعدة الرسامة المتزعجة كانت تدوس
بقدميها الوان الرسم البعثرة فتلطخ بها الارض ... ولم يلبث
دانييل كوبر الذي كان يراقب تريسى عن كثب وشهد كل شيء أن
اقترب مسرعا وقد تحفز بكل أعصابه ، إذ أصبح موقنا أن تريسى
هوبتنى قد بدأت خطواتها الاولى ...

أما الحارس فقد اندفع صائحا : ماذا جرى ؟ .. ماذا جرى ؟ ..
ان هذا الحادث قد استرعى انتباه السياح ، فالتفوا حول
الرسامة المرتمية على الارض ، مما زاد في سحق انابيب الالوان تحت
الاقدام وتشويه الارضية الصلبة بأشكال منكرة مختلطة .. كانت
ربكة شنيعة ، والامر بوشك أن يظهر في أية لحظة ! .. فارتاع
الحارس ، ونادى بأعلى صوته : سرجيو ! .. سرجيو ! .. تعال الى
هنا ! .. بسرعة ! ..

وكانت تريسى تراقب عندها هرع الحارس من القاعة المجاورة
لما يد المساعدة .. وبقي سيزار بوريتا الاحدب وحده في صالون
جويا ... مع لوحة « الميناء » ..

وفي وسط هذا الهرج وقعت تريسى .. وعبثا كان الحارسان
يحاولان دفع السياح بعيدا عن منطقة الارض الملطخة بالالوان ..
وصاح سرجيو : اطلب المدير ! ..

فهرول الحارس الآخر نحو السلاالم وهو يردد : بالورطة ! ..
وبعد دقيقتين كان كريستيان مخادا لدى مسرح الكارثة .. وما أن
وقع نظره على المشهد البشع حتى صرخ : هاتوا النساء العاملات
في التنظيف الى هنا ! .. بسرعة ! .. مع قماش وتريبتين ! ..
سرعة ! ..

فأسرع أحد مساعديه لتلبية الامر .. ثم التفت المدير الى سرجيو
ونهره قائلا : عد الى مكانك ! ..

- حالا ياسيدى ...

وراقبت تريسى الحارس وهو يشق طريقه خلال التجمهر الى القاعة التى كان الاحدب سيزار بورتيا يعمل فيها ..
ان دانييل كوبر المترصد لتريسى والملازم لها كظلمها لم يرفع عينيه عنها لحظة انتظارا لحركتها التالية ... لكنها لم تات ... فهى لم تقترب من اية لوحة ، ولا اتصلت باى شريك ... وكل ما فعلته هو انها اوقعت مرسما على الارض واراقت بعض الالوان الزيتية : بيد انه كان مقتنعا بانها فعلت هذا عمدا .. لكن لاي غرض ؟ ...
لقد شعر كوبر على نحو ما بان اياها ماكان مدبرا قد وقع فعلا ... واجال نظره فيما حول جدران الصالون ، غير انه لم يبصر واحدة مفقودة ...

اسرع كوبر الى القاعة المجاورة ... فلم يكن بها احد سوى الحارس واحدب مسن جالس امام مرسمه ينقل لوحة لجويا ... وكانت جميع اللوحات فى مواضعها ... لكن هناك خلل ما ... كان واثقا من هذا ..

هرول كوبر عائدا الى مدير المتحف المنزعج وكان قد التقى به من قبل ، واندفع يقول له : عندى من الاسباب مايجب انى اعتقد ان احدى اللوحات قد سرقت من هنا فى الدقائق القليلة الماضية .
حذق كريستيان ماخادا فى الامريكى المضطرب قائلا : ما الذى تقوله ؟ .. لو صبح هذا ، لاطلق رجال الحرس الانذار ...

- فى ظنى ان لوحة زائفة قد ابدلت باخرى حقيقية ..
نظر اليه المدير متسامحا وقال له باسم : هناك نقطة صغيرة خاطئة فى نظريتك ياسنيور ... ان هذا ليس معروفا للجمهور عامة ، لكن توجد اجهزة استشعار خلف كل لوحة .. فاذا حاول اى شخص رفع لوحة عن الحائط ، وهو مالا بد ان يفعله لاستبدال لوحة باخرى ، فان الانذار ينطلق فى الحال ...
فقال دانييل كوبر دون ان يقتنع بعد : هل يمكن ابطال عمل الانذار ؟ ...

- كلا .. واذا قطع احد السلك لفصله عن التيار ، فان هذا ايضا يودى الى انطلاق الانذار .. من المستحيل ياسنيور على اى احد ان يسرق لوحة من هذا المتحف ... فان اجراءات الامن ههنا محكمة كل الاحكام ...

لقد وقف كوبر مكانه يرتجف احباطا ... ان كل ما قاله المدير

مقنع .. وسرقة أية لوحة تبدو مستحيلة ... لكن لماذا اذن اراقت
تريسي تلك الالوان عمدا ؟ ...

لم يكن فى مقدور كوبر أن يفعل شيئا ، غير أنه قال للمصدر
اخيرا : أرجو أن تحتملنى ... فهلا طلبت الى معاونيك أن يتفقدوا
المتحف للتأكد من عدم نقص أى لوحة ؟ .. ساكون بانتظار الرد
فى فندقى ...

وفى الساعة السابعة من مساء هذا اليوم اتصل كريستيان مخادا
تليفونيا بكوبر وقال له : اننى قمت شخصا ياسنبور بعملية
التفتيش ... ان كل لوحة موجودة فى مكانها المحدد ... ولم يفقد
أى شيء من المتحف ...

هذا هو الحال اذن ! ... ان مسألة سكب الالوان بدت حادثا
مرضيا فى الظاهر .. بيد أن دانييل كوبر أحس بغريزة الصياد
ان الطريدة قد افلتت .



دعا جيف ستيفنز - تريسي لتناول العشاء فى القاعة الرئيسية
بفندق ريتز ... وفى جلستهما قال لها عرضا : أراك تبدين
مشرقة بصفة خاصة هذه الليلة ...

- اشكرك ... اننى أشعر بالانزعاج فعلا ..

- هذا بسبب صحبتنا ... تعالى معى الى برشلونة فى الاسبوع
القادم .. انها مدينة مبهجة .. وسيمعجبك .

- أنا آسفة يا جيف .. ليس هذا بإمكانى .. سأغادر أسبانيا .

فقال بصوت ملؤه الاسف : احقا ؟ .. ومتى ؟ ..

- فى خلال أيام قلائل .

- آه ! .. بالخيبة املى ! ..

قالت تريسي لنفسها : ستزيد خيبة املك عندما تعرف اننى
سرقنت لوحة « الميناء » .

ولم تتمالك أن تساءلت فى نفسها كيف رسم خطبة لسرقة
اللوحة ... بيد أن هذا لم يعد يهم ، بعد أن تفوقت على جيم ستيفنز
الداهية ، كما فكرت فى نفسها ...

ومع هذا ، ولغير سبب مفهوم ، فقد خامرتها مشاعر الاسف ...

الفصل الثامن والعشرون

جلس كريستيان مخادا في مكتبه بالمتحف يستمتع بفنجان القهوة السوداء القوية ، مهثا نفسه على النجاح الذي حظيت به زيارة الأمير ... فان كل شيء ، فيما عدا حادث اراقة الالوان الزيتية قد سار كما كان مخططا له على احسن مايرام ... والواقع انه حمد الله لان الأمير وحاشيته قد أمكن تحويل انتباههم الى ان تمت ازالة آثار تلك الربكة ... ولم يتمالك المدير ان ابتسم عندما فكر في امر محقق التأمين الأمريكى المأفون الذى حاول اقناعه بأن أحدا ما قد سرق لوحة من متحف برادو ، حتى ناجى نفسه مزهوا معتزا : لا الامس ولا اليوم ، ولا غدا ...

ومهما يكن فقد جاءته سكوتيرته بعد فترة وقدمت اليه رسالة حملها زائر ينتظر ... وعندما فضاها وجد في أملاها اسم متحف كونشاوس في مدينة زيورخ ، وقد تضمنت ما يأتى : زميلى الاجل - اقدم اليك بهذه الرسالة مسيو هنرى رندال ، كبير خبراءنا الفنى . ان السيد رندال قائم برحلة الى متاحف العالم ، وهو مشتاق بصفة خاصة لمشاهدة مجموعتكم التى لا نظير لها ، وسيكون من بواعث تقديري العظيم ان تشدوا اليه عونكم « .. وكانت الرسالة مديلة بتوقيع مدير المتحف السويسرى ...

قال كريستيان مخادا لنفسه سميذا مفتبطا : عاجلا او آجلا سوف يقد الى كل انسان !..

ودخل هنرى راندل ... كان فارغا بادي المهابة يميل الى الصلع ، ولهجته السويسرية واضحة ... وعندما تصافحا لاحظ مخادا ان الاصبع السبابة في يده اليمنى مفقود ... وقال هنرى راندل : اننى أقدر هذه المناسبة ... هذه اول مرة يتاح لى فيها ان ازور مدريد ، واننى لاتطلع الى مشاهدة اعمالكم الفنية الرائعة الصيت ...

فقال كريستيان مخادا متواضعا : لا أظن أنك سيخيب ظنك . يامسيو رندال ... تفضل معى ... سأصحبك شخصيا : وبدأ طوافهما بالقاعة المستديرة ، وانتقلا منه الى القاعة الوسطى ،

فكان هنرى رندال يتفحص كل لوحة بعناية .. وكانا يتبادلان الحديث بأسلوب الثقات المتمكنين ، فى تقييم لاسلوب كل فنان واتجاهاته وأحاسيسه اللونية ... ثم هبط المدير بزائره فى النهاية الى معرض لوحات جويا ، قائلا فى زهو بالغ : والآن ، الى فخر اسبانيا ...

فلم يتمالك رندال أن هتف مبهورا : هذا قرّة للأعين ! .. نغنى بالله اتوقف وأملأ النظر والحس من هذه الافانين ! ..
فمهل كريستيان سخادا وقد طاب له أن يرى مثل هذا الخشوع فى محراب الفن ... وهتف رندال : اننى لم أشهد فى حياتى مثل هذه الروعة ! ...

وعلى هذه مضي يخطو وثيدا فى الصالون متفحصا كل لوحة ، مبدئا مزيد اعجابه وانبهاره بكل مايرى ، الى أن توقف أمام لوحة « الميناء » ، وقال : تقليد لطيف ! ...
وهم أن يتابع طوافه ، فجذبه المدير من ذراعه قائلا : ماذا ؟ .. ماذا قلت ياسنيور ! ...

- قلت أن اللوحة تقليد لطيف ...
فقال المدير وقد امتلا بأشد الغضب : أنت مخطيء كل الخطأ !
- لا اظن هذا ...

فقال سخادا بخسونة : لابد أن تكون هكلما ! .. أوكد لك أن اللوحة صحيحة ! ... عندى ثبتها ! ...
فتقدم هنرى رندال من اللوحة وأخذ يتفحص الرسم مدققا ، ثم قال : اذن فان ثبت هذه اللوحة زائف أيضا ... أن الذى رسمها هو تلميذ جويا - أوجينيو لوكاس بادىلا ... لابد أنك تعرف بالطبع أن لوكاس قد رسم مئات من لوحات جويا بالتقليد ...
فقال سخادا بحدة : مؤكد اننى أعرف هذا ... لكن هذه اللوحة ليست واحدة منها ...

فهز رندال منكبيه قائلا : اننى انحنى لحكمك ...
وبدا يواصل طوافه ، فقال مدير المتحف : اننى شخصيا قد اشتريت هذه اللوحة .. وقد ثبتت صحتها بمختلف الاختبارات الفنية المقررة ! ...

- أنا لا اشك فى هذا ... أن لوكاس رسم فى نفس عهد جويا ، واستخدم نفس المواد والخلطات ...
وانحنى رندال لفحص التوقيع عند أسفل الرسم ، ثم أردف

قائلا : بإمكانك أن تستوثق بنفسك إذا أردت .. خذ اللوحة الى
غرفة الترميم واختبر التوقيع ...
وضحك متفكها وهو يقول : ان اعتزاز لوكاس بنفسه جعله يوقع
رسومه باسمه ... ولكن الرغبة في ملء حافظته اضطرته الى
تزوير اسم جويا فوق اسمه ، وبهذا كان يضاعف ثمن الرسوم الى
حد فاحش ...

ثم نظر هنرى رندال الى ساعته وقال : لابد ان تسامحنى .. اننى
تأخرت عن موعد هام ... شكرى عظيم اذ اشركتنى فى الاستمتاع
بكنوزك ...

فقال المدير ببرود : العفو ...
أما فى سره فقال لابد ان الرجل أحقق مافون ..
وقال رندال وهو ينصرف : انا فى فندق مانيا ، اذا كان ثمة
خدمة أقوم بها ... ونسكرا مرة أخرى ياسيدى المدير ...
وراقبه المدير وهو يتعمد ، ساخطا من جرأته للزعم بأن لوحة
جويا الثمينة هى مجرد تقليد ...

وانثنى المدير ينظر الى الرسم من جديد ... كان جميلا ...
رائعة من روائع جويا .. ثم انحنى بفحص التوقيع ... طبيعى
تماما ... ومع ذلك ، هل هذا ممكن ؟ .. ان بلرة الشك الضئيلة
لم تبرح فكره ... كل انسان كان يعرف ان لوكاس ، معاصر جويا ،
قد رسم مئات من لوحات جويا بالتقليد وتزوير توقيع استاذ
العظيم لملء جيوبه بالمال ... وكريستيان مخادا نفسه قد دفع
ثلاثة ملايين ونصفا من الدولارات ثمنا للوحة « الميناء » هذه .. فلو
كان قد خدع حقا لكانت لطخة سوداء فى حقه ، وهو شئ لا يطيق
مجرد التفكير فيه ! ...

ان هنرى راندل قال شيئا واحدا معقولا للتحقق من صحة
الرسم ... فليقم اذن بفحص التوقيع ، ثم يتصل به تليفونيا لى
يقول له بكل ادب ان من الخير له ان يبحث له عن مهنة أكثر
ملاءمة له ! ..

وهكذا استدعى المدير مساعده وأمر بنقل لوحة « الميناء » الى
قاعة الترميم ...



ان اختبار الروائع الفنية هى عملية بالغة الدقة لا يتولاها الا فنانوا،
متخصصون ... وقد وضع جوان ديلجادو رئيس قسم الترميم الفنى

بمتحف برادو لوحة « الميناء » فوق حمالة خشبية خاصة وعن كذب
منه كريستيان مخادا يراقب ... وقد قال له : أريد منك ان
لتخبر التوقيع ...

فأخفى ديلجادو دهشته في نفسه قائلا : حاضر ياسيدي المدير .
وصب قدرا من كحول « ايزو بروبييل » على كرة قطنية ووضعها
فوق المنضدة الى جانب اللوحة ... ثم صب على كرة قطنية اخرى
قدرا من البترول المقطر وهو العامل المحيد ... بينما قال المدير :
ابدا اذن ... لكن بكل احتراس ...

شعر مخادا فجأة بأنه يصعب عليه ان يتنفس .. وجعل يراقب
ديلجادو وهو يرفع كرة القطن الاولى ويلمس بها برفق حرف الجيم
في توقيع جويا ... وفي الحال التقط ديلجادو كرة القطن الثانية
وقام بتحديد البقعة ، لئلا ينفذ الكحول الى عمق أبعد .. ووقف
الرجلان بفحصان قماش الرسم ...

لم يلبث ديلجادو ان قطب قائلا : انا آسف .. لكن ليس بإمكانى
ان أقول حتى الآن .. لابد من مذيب أقوى ...

فأمره المدير ان يفعل .. ففتح ديلجادو زجاجة اخرى وصب
قدرا من سائل « ديمنتيل بيتون » على كرة قطنية اخرى ثم لمس
بها المرة الاولى من التوقيع مرة جديدة ، مستخدما في الحال كرة
القطن الثانية .. لقد امتلأت القاعة برائحة حادة نفاذة بسبب
المواد الكيماوية ... ووقف كريستيان مخادا مكانه يحدق في الرسم
وقد عجز عن تصديق ما يراه ... فان حرف الجيم في توقيع جويا
بدا يختفى ، وحل مكانه حرف اللام واضحا ..

التفت اليه ديلجادو شاحب الوجه قائلا : هل .. هل استمر ؟ ..
فقال مخادا بصوت أجش : نعم ...

وشيئا فشيئا ، وحرفا حرفا ، تلاشى توقيع جويا باستعمال
المذيب ، وتجسد توقيع لوكاس مكانه ... ان كل حرف كان لظمة
في أحشاء مخادا .. فهاهو ذا ، مدير واحد من أهم متساحف
العالم قد خدع ... ولسوف يسمع مجلس المديرين بهذا .. ولسوف
يسمع به ملك اسبانيا .. ولسوف تسمع به الدنيا كلها !
لقد قضى عليه قضاء مبرما .

وعاد الى مكتبه متعثرا .. واتصل تليفونيا بهنرى رندال ...



جلس الرجلان في مكتب مخادا ، وقال المدير مخدولا : كنت على

حق ... انها لوحة من رسم لوكاس ... اذا تسريت كلمة واحدة
عن هذا ، أصبحت أضحوكة ...

فقال هنرى رندال مواسيا : ان لوكاس خدع خبراء كثيرين ..
وبالصدفة فانا من هواة لوحاته المقلدة ...

- اننى دفعت ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار ثمنها لهذه
اللوحة ...

فهز رندال كتفيه قائلا : وهل بإمكانك أن تسترد نقودك ؟ ..
فهز المدير رأسه يائسا وقال : اننى اشتريتها مباشرة من أرملة
اكدت أنها ظلت فى حيازة أسرة زوجها لأكثر من ثلاثة أجيال .. واذا
سمعت الى مقاضاتها فسوف يطول نظر القضية فى المحاكم وتكون
مادة للتشهير .. وفى هذا سيكون كل شيء فى هذا المتحف عرضة
للسك وسوء الظن ...

راح هنرى راندل يقدح زناد فكره ، ثم قال : لا موجب حقيقة
لاى تشهير ... لماذا لا تشرح لرؤسائك ما حدث ، ثم تعمل على
التخلص من لوحة لوكاس بهدوء ؟ .. بإمكانك ارسال اللوحة الى
مزادات سوئبى أو كريستى الشهيرة فى لندن لبيعها فى المزاد ؟ ..

فهز مخادعا رأسه قائلا : كلا ... بهذا تعرف الدنيا كلها القصة ..
وهنا تهلل وجه رندال وقال : ربما كنت محظوظا ... هنرى
زبون قد يكون راغبا فى شراء لوحة لوكاس ... انه يجمع لوحاته
وهو رجل ذو حرص وحكمة ..

- سأكون مسرورا للتخلص منها ! .. لا أريد أن أراها مرة
أخرى ، الى الأبد ! .. لوحة زائفة بين كنوزى الثمينة ! أنا على
استعداد لكى أهبها ...

- لا لزوم لهذا ... ان زيونى هذا ربما يكون مستعظما لكى يدفع
لك ، لنقل خمسين ألف دولار عنها ... هل اتصل به تليفونيا ؟ ..
- ان هذا لمكرمة منك ياسنيور رندال .

وفى اجتماع عقد على عجل ، قرر مجلس الادارة المندهل أن
الاعلان عن وجود لوحة زائفة بين مقتنيات متحف برادو الثمينة
هو كارثة لابد من تفاديها بأى ثمن .. وتم الاتفاق على أن افضل
أسلوب للتصرف هو التخلص من اللوحة بأهدأ وأسرع ما يمكن ...
وفادر الأعضاء قاعة الاجتماع صامتين دون أن يوجه أحد منهم
كلمة واحدة الى كريستيان مخسلسا الذى وقف مكانه غارقا فى
تعاسته ...

وعصر هذا اليوم عقدت الصفقة ... فذهب هنري رندال الى بنك اسبانيا ثم عاد بشيك معتمد بمبلغ خمسين ألف دولار ، وسلمت لوحة لوكاس اليه ملفوفة في ورق عتيق ... وقال له مغسلا متأثرا : ان مجلس الادارة سوف ينزعج اذا شاع هذا الحادث ... لكنني اكلت لهم ان زيونك رجل حكمة وحرص .. فطمأن رندال خاطره ...

وما ان غادر هنري رندال المتحف حتى استقل سيارة أجرة الى المنطقة السكنية في الطرف الشمالي لمدينة وحمل اللوحة الى شقة في الدور الثالث وطرق الباب ... ففتحت له تريسي .. ووقف من خلفها سيزار بوريتا الرسام الاحدب ... ولما نظرت تريسي الى القادم مستظلمة قال هنري رندال بشماعة : انهم لم يطبقوا ابتداء اللوحة عندهم ! ...

فمازنت تريسي قائلة : ادخل ... واخذ بوريتا اللوحة ووضعها فوق منضدة ، وقال : والان .. سوف تشهدون معجزة ... لوحة جويا الحقيقية تبث حياة ! ... وتناول زجاجة بها كحول مثيلى وفتحها ، وسرعان امتلات الغرفة رائحة نفاذة ... وبينما وقفت تريسي وهنري رندال ينظران ، سكب بوريتا قدرا من السائل فوق قطعة قطن وراح يلمس بها خفيفا جدا توقيع لوكاس ، حرفا بعد حرف ... وشيئا فشيئا بدأ توقيع لوكاس يتلاشى .. وظهر من تحته توقيع جويا .. لم يتمالك هنري رندال ان يحدق في رهبة وهتف : رائع ! ... فقال الرسام الاحدب : انها فكرة من هوريتي ... فقد استفهمت عما اذا كان يمكن حجب توقيع الفنان الاصلى بتوقيع زائف ، ثم تغطية هذا بالاسم الاصلى ...

فابتسمت تريسي قائلة : انه صور لي كيف اتمام هذا العمل .. فراح بوريتا يقول بلهجة التواضع : كانت المسألة في غاية البساطة ... ولم تستغرق الا اقل من دقيقتين ... كانت الخلعة كلها في الالوان التي استخدمتها ... عملت أولا على تغطية توقيع جويا بطبقة رقيقة جدا من دهان ابيض فرنسي لوقاية التوقيع ... وفوق هذه الطبقة كتبت اسم لوكاس بدخان « الكريليتي » القاعدة سريع الجفاف ... ومن فوق هذا رسمت اسم جويا بدخان زيتي القاعدة مع دهان تصويري خفيف ... وعندما أزيل التوقيع العلوي ظهر اسم لوكاس ... ولو انهم تصفوا لاكتشفوا ان توقيع جويا

الاصلى كان محجوبا أسفله .. ولكنهم بالطبع لم يفعلوا ...
عندئذ قدمت لكل من الرجلين مظروفا مليئا وقالت : اريد ان
اقدم شكرى لكليكما ..

فقال هنرى رندال غامزا بعينه : مستعد فى اى وقت تحتاجين
فيه الى خير ..

وقال بوريتا : كيف تدبرين نقل اللوحة الى خارج البلاد ؟ ..
- هناك رسول سوف يأتى لاختها من هنا .. فانتظره ..

وصافحت الرجلين ، ثم انصرفت ..

كانت تريسى وهى فى طريق عودتها الى فندق ريتز مفعمة النفس
ابتهاجا ... وكانت تناجى النفس بقولها : « كل شيء مسألة
نفسانية » ... فقد رأت عند البداية ان من المحال سرقة اللوحة
العالمية من متحف برادو ... وهكذا كان لابد لها من التوسل
بالخداع ، فتجعلهم فى حالة نفسانية وفكرية يتجهون فيها الى
التخلص من اللوحة ...

وفى الطريق تصورت ملامح جيف ستيفنز عندما يعلم كيف خادته
وتفوقت عليه ، فلم تتمالك ان قلبها الضحك ...

وقد انتظرت فى فندقها حضور الرسول ، وعندما وصل طلبت
تليفونيا سيزار بوريتا ، وقالت له : ان الرسول عندى الان ...
وسارسله اليك لاخت اللوحة ... احرص على ان ...

فقال بوريتا صارخا : ماذا ؟ .. ماذا تقولين ؟ . ان رسولك
جاء واخذ اللوحة منذ نصف ساعة !!! ..

الفصل التاسع والعشرون

باريس - الاربعاء ٩ يوليو - الظهر .

فى مكتب خاص قرب شارع ماتيونيون بباريس ، قال جانتر
هارتوج : اننى افهم ياتريسى مدى شعورك بشأن ماحدث فى مدريد،
ولكن جيف ستيفنز كان اسبق منك هناك ...

فبادرت تريسى الى تصحيح كلامه قائلة بمرارة : كلا ... اننى
سبقتك هناك ! ... وجاء هو متأخرا ..

- لكن جيف سلم اللوحة . ان لوحة الميناء ، فى طريقها الان الى
زبوني ..

فبعد كل ما خططت تريسي ورسمت وتحايلت ، تفوق جيف ستيفنز عليها ! ..

انه جلس مرتاحا وتركها تقوم بالعمل وتعرض لكل المجازفات ، ثم فى اللحظة الاخيرة اقتنص هو الفئيمة وسار بها ناعما ! .. ولا بد انه كان يضحك منها طوال الوقت ! ..

وقالت تريسي اخيرا : اننى لم افكر قط فى قتل اى انسان ... لكننى لا اتردد الآن فى قتل جيف ستيفنز وانا سعيدة ! .

فقال جانتر بدعة : آه يا عزيزتى ... ليس فى هذه الغرفة ... لعله الآن فى طريقه الى هنا ..

فوثبت تريسي قائمة وهى تقول : هو ماذا ؟ ! .. - قلت لك ان عندى مهمة لك ... وهى تتطلب شريكا معك ..

فى راى ، انه هو الوحيد الذى ... فاندفعت تريسي تقول بحدة : الموت جوعا أهون عندى ! .. ان جيف ستيفنز هو أخط ...

- آه ! ... هل سمعت اسمى يذكر ؟ . وشخص جيف فى مدخل الغرفة متهلل الاسارير ، وأردف :

تريسي أيتها العزيزة .. انك تبدين فى أروع صورة ... وانت يا صديقى جانتر .. كيف حالك ؟ .

وتصافح الرجلان ، ووقفت تريسي مكانها مفعمة النفس غضبا وحنقا ..

فتطلع اليها جيف وتنهّد قائلا : لعلك ساخطة على ! .. - ساخطة ؟ .. أنا ...

وأعجزتها الكلمات كمدا ، فراح يقول لها : فى الحقيقة يا تريسي ان خطتك كانت فى راى ذكية باهرة ، لولا انه كان فيها غلطة صغيرة

فيجب الا تثقى بسوسرى مفقود سبابة اليد اليسرى ! .. جعلت تريسي تتنفس من أعماق صدرها ، محاولا تمسكك

أعصابها ... ثم التفتت الى جانتر قائلة : سأتكلم معك فيما بعد يا جانتر ...

- تريسي ! . - كلا .. مهما تكن المهمة ، فلا أريد المشاركة فيها . لا وهى

مشارك فيها ... فقال جانتر مصابرا : هل يمكن على الاقل ان تنصتى ؟ ..

— لا فائدة ... سأسافر الى خارج باريس الى حيث أتنقل فى بلاد كثيرة لانال ما استحقته من راحة وترفيه ...

وانسحبت من الغرفة على الاثر ... ونظر جانتر خلفها قائلا : انها غاضبة عليك فعلا يا جيف بسبب عملية مدريد .. وانا أخشى الا تقوم بالعملية الجديدة ..

فقال جيف بمرح : انت مخطيء ... انا اعرف تريسي .. لن تستطيع مقاومة الاغراء .. دعها لى مؤقتا ..



فى قرية سياحية تدعى القمر عند الطرف الشمالى الغربى من ساحل هولندا مواجهة لبحر الشمال ، استطاع جيف ستيفنز أخيرا ان يعثر على تريسي هويتنى بعد طول طواف واقتفاء لاثرها بين شتى البلدان التى تنقلت فيها طلبا للراحة والاستجمام .. ولكنه وجدها هذه المرة مريضة منهكة بتأثير حمى المت بها ، فعكف على تمريرها ورعايتها بحنان غريب فى فندق صغير نقلها اليه زاعمها لصاحب الفندق وزوجته أنهما عروسان فى شهر العسل ، الى ان زالت عنها الحمى بفضل رعايته ولم تجد بعد الآن سبيلا لمجافاته وصده عنها ..

وعلى الرغم من ذلك فان تريسي لم تنجرد من تحفظها حياله ، حتى كانت تسائل نفسها بين فينة وأخرى ما الذى يدعوها الى ملازمتها على هذه الصورة ؟ .. لقد وجدته فى الواقع لغزا يحيرها امره وتعميها تصرفاته ...

ثم ألقت نفسها تحدثه عن أشياء كانت ترى أنه لا يجدر بها أن تناقشها مع أحد ... فقد حدثته عن جو رومانو وتونى أورساتى ، وعن أرنستين الزنجية رفيقتها فى سجن النساء وايمى برانيجيان ابنة مدير السجن ... فكان يستمع اليها ماخوذا بين السخط حينما والتفجع والرتاء حينما آخر ... كما حدثها هو أيضا عن زوجة أبيه الخائنة لعهود الزوجية ، وعن عمه ديلى صاحب السيرك وعن زواجه من لويز الغنية الفاجرة ... فلم تشعر تريسي فى خلال ذلك بأنها كانت فقط أقرب الى أى رجل مما ألقت عليه نفسها الآن وهى فى صحبته ...

وقال لها مرة وقد توثقت صحبتها : اسمى ياتريسي ... ان ما فعلته فى مدريد لم يكن بسبب المال ... كان من أجل لذة

المغامرة والتحدى ... والحقيقة ان هذا هو السبب في قيامنا
بهذه العمليات ، اليس كذلك ؟ ..

قاومات تريسى ايجابا ، وقالت : صدقت ... كان السبب اول
الامر هو في حاجتى الى المال ... وبعد ذلك تطور الى شيء آخر ..
كم من اموال انفقتها وبددتها ! .. اننى اهوى قياس ذكائى بذكاء
الآخرين الذين هم ناجحون ولا معون ولا ضمير لهم .. اننى اهوى
الحياة على حافة الخطر ...

خيم بينهما صمت طال فترة ، واخيرا قطعته جيف قائلا : تريسى
ما رايتك فى ان تنفض ايدينا من هذه الحياة ؟ ..

فنظرت بدهشة ، مرددة : تنفض ايدينا ؟ .. لماذا ؟
- كان كل منا قبل الان يعيش لنفسه .. اما الان فاشعر ان
كل شيء تغير .. لا يمكن ان احتمل ان يصيبك اى شيء ... لماذا
نواجه مخاطر اخرى ؟ .. عندنا كل الاموال التى نحتاج اليها .
لماذا لا نعتبر اننا اعتزلنا العمل ؟ ..

- وماذا نفعل يا جيف ؟ ..

فاجاب باسم : سنفكر فى شيء ... سنفعل كل مانحب ...
سنرتحل الى كل مكان ... سنمارس هوايات كثيرة - اننى كنت
دائما اعشق الحفريات الاثرية ، ويمكننا ان نتولى تمويل اعمالنا
الخاصة فى هذا المجال .. وسنطوف فى كل ارجاء الدنيا ..

- هذا شيء مشرق ! ..

- اذن فما رايتك ؟ ..

فنظرت اليه طويلا ، ثم اجابت برفقة : اذا كان هذا ما تريد ..
فماتقها ، وقال ضاحكا : ترى ايمكن ان نرسل اخطارا بهذا
للبوليس ؟ ..

فلم تتمالك ان شاركته ضحكته ..

جاءت مكالة جاتر هارتوج فى اليوم التالى ، حينما كان جيف
خارج الفندق ، وقال لها : كيف حالك اليوم يا تريسى ؟ ..
فطمأنته قائلة : اننى بكل خير ..

كان جاتر يسأل عنها تليفونيا كل يوم بعد ان علم من جيف
ستيفنز ما ألم بها ... ولقد قررت تريسى الا تخبره بما استقر عليه
هزمهما ، هى وجيف - او على الاقل مؤقتا ...

— هل أنت وجيف على وئام؟! ..
فاجابت باسمه : اننا على أحسن مايرام ..
— هلا فكرت فى العمل معا من جديد ؟ ...
الآن لم تجد مفرا من مكاشفته ، فقالت : جاتر .. اننا ..
سنعتزل ...

ساد الصمت برهة ، ثم قال : لست أفهم ..
— ان جيف وأنا ، كما يقولون فى بعض المواقف السينمائية ،
عزمنا على الاستقامة ..

— ماذا ؟ ... لكن .. لماذا ؟ ..
— كانت فكرة جيف . وقد وافقت عليها .. لا مغامرات بعد
الآن ...

— لنفرض اننى اخبرتك أن العملية التى افكر فيها تساوى مليونى
دولار لكما وليس بها مخاطرات ؟ ..

— فى هذه الحالة سأضحك كثيرا يا جاتر ...
— أنا جاد يا عزيزتى ... ستسافرين الى امستردام ، وهى على
بعد ساعة واحدة من مكانها الحالى ، و ...

— لابد لك أن تبحث عن شخص آخر ..
فتنهده ، ثم قال : يؤسفنى ان أقول أنه لا يوجد أى شخص آخر
يليق لهذا العمل ... هلا ناقشت هذه المسألة على الأقل مع جيف ؟ ..
— لا بأس .. لكن لن تكون هناك فائدة

وعندما رجع جيف اخبرته بما كان ... فقال لها : ألم تخبريه
اننا أصبحنا مواطنين مطيعين للقانون ؟ ...

— طبعا .. قلت له ان يبحث عن شخص آخر ... لكنه أصر
على أنه يحتاج إلينا ... قال ان العملية خالية من المخاطرة وأنه
بالامكان أن نفوز بمليونى دولار نظير مجهود بسيط ...

— وهو مايعنى أنه مهما يكن هذا العمل الذى يفكر فلأبد أن يكون
تحت حراسة مشددة مثل قلعة « فورت نوكس » ...

فقالت تريسى بخبث : أو متحف برادو ...
فابتسم جيف قائلا : كانت تلك خطة بارعة يا تريسى .. الحقيقة
انها كانت بداية وقوعى فى حبك ...

— وفى ظنى أنك عندما سرقت لوحة جويا كان ذلك بداية وقوعى
فى كراهيتك ...

- كوني منصفة يا تريسي ... انك بدأت في كسرا هيتى من قبلها ...

- صدقت - ماذا تقول لجانتر ؟ ...

- انك اخبرته فعلا .. اننا لم نعد نمارس هذا العمل بعد الآن ...

- الا يجدر بنا على الاقل ان نعرف ماذا يفكر فيه ؟ ..

- تريسي ... اننا اتفقنا على ..

- اننا ذاهبان الى امستردام على اى حال ، وربما لا يكون هناك ضرر من مجرد الاستماع اليه ومعرفة ما يريد ..

فتفكرس فيها بارتياح ، قائلاً : انت تريدان القيام بالعملية ، اليس كذلك ؟ ..

- لا بالتأكيد .. لكن لن نخسر شيئاً من سماع ما عنده ...

وانتقلا الى امستردام فى اليوم التالى ونزلا فى فندق امستيل ..

وطار جانتر هارتوج من لندن للقائهما ...

وسعى الثلاثة الى الظهور بمظهر سياح عابرين فى رحلة نهريّة فى نهر امستيل ... وقال لها جانتر : يسرنى ان اعرف ما سمعته الان من انكما اتفقتما على الزواج .. تهاتيا الحارة ..

فشكرته تريسي ، بينما مضى جانتر يقول : اننى احترم رغبتكما فى الاعتزال ، لكننى اواجه الان موقفاً فريداً اشعر معه بأنه لا بد لى من وضعه تحت نظركما ... ثم انه قد يكون مشمرا جداً لكما ..

فقالت تريسي : نحن آذان صاغية ...

فمال جانتر الى الامام واخذ يتحدث بصوت خفيض .. وعندما فرغ قال لهما : مليوناً دولار لكما اذا امكنكما اتمام العملية ..

فقال جيف دون تردد : هذا مستحيل ... يا تريسي ..

غير ان تريسي لم تكن منصتة اليه ... كان عقلها منهما فى تصور كيف يمكن القيام بالعملية التى عرضها جانتر ...

الفصل الثلاثون

فى مقر الادارة العامة لبوليس مدينة امستردام عقد اجتماع هام حضره ستة من المخبرين الهولنديين كان الحاضر الوحيد الغريب بينهم هو دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التأمين الامريكية .

وراح المفتش فان دورين الضخم الجهر الصوت يخاطب مدير البوليس تون ويليمز المعروف بكفاءته الفذة قائلا : ان تريسى هويتنى قد وصلت الى أمستردام صباح اليوم ياسيدى المدير .. وبوليس « الانتربول » الدولى واثق انها ماجأت الى هولندا الا لارتكاب جريمة جديدة ..

فالتفت مدير البوليس الى دانييل كوبر قائلا : هل لديك أى دليل على هذا بامستر كوبر ؟ ..

— لا دليل ... ولهذا لا بد من القبض عليها متلبسة فعلا ...

— وما الذى تقترح ان تقوم به لهذا الغرض ؟ ..

— بالا ندع هذه المرأة تغيب عن أنظارنا ...

فقال ويليمز بعد الذى علمه من المفتش ترينيان فى « الانتربول » عن صلابة هذا الرجل : لا بأس ... اذا كانت هذه السيدة قد جاءت الى هولندا لاختبار كفاءة نظامنا البوليسى ، فسوف نضيفها ونعمل على راحتها ...

ثم التفت الى المفتش فان دورين واردف : اتخذ كافة التدابير التى تراها ضرورية ...

وهكذا أصدر المفتش اوامر مشددة لرجاله بمراقبتها على مدار الاربع وعشرين ساعة ، بحيث لا تغيب عن انظارهم لحظة ...

ولكن تريسى وجيف انهما فى ارتياد الاماكن السياحية والنزهة الى حد لم يجد معه المخبرون السريون الذين كانوا لهما اتبع من ظلهما سبيلا للشك فى أمرهما ، وكانوا موقنين ان الاثنين هما مجرد سائحين يمضيان اجازة للترويح واللهو .. وعلى الرغم من ذلك ومن التقارير المقدمة من المخبرين بانتفاء أى شك فى أمرهما ، فان دانييل كوبر لم ينزل عن اصراره وعناده ، وراح يشترك بنفسه مع المخبرين فى عملية المراقبة الدائبة ...

بل ان كوبر تمادى فى اصراره وعناده الى حد ان المفتش فان دورين ذهب الى مدير ادارة البوليس ويليمز يطالب منه ، بناء على الحاج كوبر ، الاذن بوضع أجهزة تصنت الكترونية فى حجرتى المشتبه فيهما بالفندق ، غير ان مدير البوليس ابنى قائلا : عندما تتوافر لكم أدلة مادية على هذا الاشتباه ، يمكن النظر فى الامر .. والى ان يتم

هذا ، فلا يمكن أن أسمع بالتصنت على أناس كل جريمتهم أنهم يطوفون بهولندا سائحين ! ...

دار هذا الحوار البوليسى يوم الجمعة ... وفى يوم الاثنين ذهبت تريسى وجيف لزيارة مصنع تقطيع الماس فى حى كوستر بوسط امستردام ... وكان دانييل كوبر فى عداد فريق المراقبة .. وكان المصنع مكتظا بالسياح الوافدين .. وقد صاحبهم مرشده يتحدث بالانجليزية فى الطواف بالمصنع ... وفى نهاية الجولة قادهم الى قاعة كبيرة للعرض حيث صفت حولها « فترينات » مليئة بمختلف انواع الماس المعد للبيع .. وفى وسط القاعة قامت « فترينة » زجاجية خاصة منصوبة فوق قاعدة سوداء ، وبداخلها ابداع ماسة راتها عينا تريسى ... وقال المرشد مفاخرًا : وهذه ، سيداتى وسادتى ، ماسة « لوكولان » الشهيرة التى قرأتم عنها ... كان قد اشتراها مرة ممثل مسرحى لزوجته النجمة السينمائية ، رقيمتها تقدر بعشرة ملايين دولار ... انها حجر مكتمل ، وهى من أنفس احجار الماس فى العالم ...

فقال جيف بصوت مسموع : لابد انها هدف متميز للصوص .. فاقرب دانييل كوبر اكثر لى يستطيع الاستماع بصورة افضل ، وسمع المرشد يقول مبتسما فى سماحة وهو يومئ الى الحارس انسلح الواقف قرب « فترينة » العرض : لا ياسيدى ... ان هذا الحجر تحت حراسة مشددة اقوى من حراسة مجوهرات برج لندن ولا خطر بالمرة ... فلو قام احد بلمس « الفترينة » الزجاجية لانطلق نظام الانذار فورًا واغلقت كل نافذة وباب فى القاعة اغلاقًا محكمًا ... وفى الليل يبدأ تشغيل الاشعة الالكترونية ، واذا تسلل احد الى القاعة ، ينطلق الانذار فى ادارة البوليس ..

فالتفت جيف الى تريسى قائلاً : اظن انه لن يتمكن احداً من سرقة هذه الماسة ابداً ...

فتبادل دانييل كوبر نظرة مع المخبر السرى ... وفى نفس اليوم ابلغ تقرير بهذا الى المفتش فان دورين ...

وفى اليوم التالى قام جيف وتريسى بزيارة متحف ريجكس بعد شراء دليل للمتحف فى مدخله ، وتقدما فى الصالة الكبرى الى قاعة « معرض الشرف » التى امتلات جدرانها بشتى الرسوم الزيتية الرائعة لمشاهير الفنانين الهولنديين ، متمهين فترة امام كل لوحة ،

الى أن وصلنا الى الحجرة المسماة « بقاعة الحراسة الليلية » ، التي
ازدانت جدرانها بلوحة الرسام ومبرأنت الأشهر ، حتى لم يتمالك
المخبر المتابع لهما أن هتف لنفسه : « وهنا فى هذه القاعة ! ...
رباه ! ... »

كانت اللوحة آية فى الروعة الفنية ، وقد أحيطت المنطقة التي
قامت فيها بحبال من المخمل ، تحت حراسة حارس عن كذب ...
وبعد فحص ودراسة وأعجاب اتجه جيف الى الحارس قائلاً : اظن
أن هذه اللوحة تحت حماية كافية ...

- نعم ياسيدى .. أن أى شخص يحاول سرقة أى شيء من هذا
المتحف لابد أن يواجه بأشعة الكرونية ، وكاميرات سرية ، وحراس
فى النيل معهم كلاب بوليسية ...
فقال جيف باسم فى سر : اظن أن هذه اللوحة سوف تبقى
هنا الى الأبد ! ..

وعندما أبلغ تقرير بهذا الى المفتش فان دورين لم يتمالك أن
هتف : لوحة « الحراسة الليلية » !؟ .. هذا مستحيل ! ...
فلم يعد دانييل كوبر أن رمقه بعينين زائغتين ، دون أن يغضب ..



فى مقر قاعة المؤتمرات بالعاصمة أمستردام عقد مؤتمر لهيئة
طوابع البريد ، وكانت تريسى وجيف فى أوائل الحاضرين .. وقد
وضعت القاعة تحت حراسة مشددة ، إذ كان كثير من الطوابع
المعرضة لا يقدر بثمن ... وكان كوبر واحد المخبرين الهولنديين
لا يكفان عن مراقبة هذين الاثنين أثناء جولتهما بين مجموعة الطوابع
النادرة .. وتوقفا أمام طابع غريب الشكل لغيانا البريطانية ، فقالت
تريسى : ياله من طابع أقرب الى القبح ...

فقال جيف : انه الطابع الوحيد من نوعه فى العالم .

- وكم يساوى ؟ ..

- مليون دولار

وعندئذ أوما الموظف المشرف برأيه مؤمناً وقال : صدقت ياسيدى
معظم الناس ليست عندهم فكرة وهم يلقون عليه مجرد نظرة ...
لكننى أرى ياسيدى أنك تحب هذه الطوابع ، مثلى .. أن تاريخ
العالم مائل فيها ..

ومضى الاثنان فى جولتهما بين مجموعات الطوابع النادرة حتى وصلا

الى طابع من جزر هاواي تمنه ثلاث سنتات ، فقال جيف لصاحبه:
وهذا الطابع يساوي ثلاثة ارباع المليون دولار ...

وكان دانييل كوبر دائما في اثرهما لا يغفل عن مراقبتهما لحظة ،
مختلطا بالجمهور .. وقالت تريسي في معرض الطواف والفرجة :
ان كل هذه الطوايع النادرة صغيرة الحجم يسهل سرقتها ...
فابتسم الحارس القائم عن كذب قائلا : ان اللص لن يذهب بعيدا
يا آنسة ... فالترينات كلها مكهربة الكترونيا ، والحراس المسلحون
يطوفون بالمتحف نهارا وليلا ...

فقال جيف بجدية : هذا مما يريح الانسان ، فقد أصبحت الثقة
نادرة هذه الايام ...

وفي آخر النهار قدم دانييل كوبر مع المفتش فان دورين تقريرا
بحصيلة المراقبة الى مدير ادارة البوليس ... وبعد اطلاعه عليه
قال في النهاية : ليس امامي هنا شيء محدد ، لكنني ساسلم بان
المشتبه فيهما يتشهما اهدافا قيمة ... لا بأس ايها المفتش ...
عندك اذن رسمى بوضع اجهزة تصنت في غرفتيهما بالفندق ...
لم يكن في الدنيا من هو اسعد من دانييل كوبر بهذا القرار ...
فمئذ هذه اللحظة سوف يستطيع ان يطلع على كافة حركات
تريسي وسكناتها وخواالج افكارها وكل احاديثها ، حتى في غرفة
النوم ... وعندما خرجت تريسي مع جيف هذا المساء لتناول
العشاء خارج الفندق ، بدأ العمل فريق من الفنيين التابعين للبوليس
فوضعوا « ترانزستورات » لاسلكية صغيرة جدا في غرفتي تريسي
وجيف ، اخفيت عن العيان خلف الصور وفي المصابيح وتحت المناضد
المجاورة للأسرة ... واشرف المفتش فان دورين في الجناح الذي
يعلو الغرفتين مباشرة على تركيب جهاز استقبال به ايريال وملحق
بجهاز تسجيل ، ولم يكن الجهاز في حاجة الى من يديره ، فعند
الكلام يقوم الجهاز بالتسجيل اوتوماتيكيا ..

الفصل الواحد والثلاثون

في وقت مبكر صباح اليوم التالي كان المفتش فان دورين ودانييل
كوبر مع احد المخبرين في الجناح العلوي يتصنتون على الحديث
الدائر من تحتهم ... وقد مضى الحديث عاديا فترة كما يحدث بين

اثنين من المحبين ، تتخلله الضحكات الناعمة التي كانت تثير سخط
دانييل كوبر - الى ان سمع صوت جيف وهو يقول : خمنى من يقيم
فى هذا الفندق ؟ ... هو مكسميليان بير بونت ، المليونير الذى
أفلت منا ونحن على ظهر الباخرة الملكة اليزابيث الثانية ...

- شدا ما افتقدته فى تلك المناسبة ! ..

- الاغلب انه جاء الى هنا للعمل على افلاس إحدى الشركات ،
كما هى عادته ...

والآن وقد وجدناه ياتريس مرة أخرى ، فعلينا أن نفعل شيئا
حياله ، أعنى طالما هو موجود فى المنطقة ...

فردت تريسي ضاحكة : ليس أحب الى من هذا يا عزيزى ...

- المفهوم أن صاحبنا المليونير هذا معتاد أن يحمل معه أشياء مما
خف حمله وغلا ثمنه .. عندى فكرة أن .

وفى هذه اللحظة سمع صوت الخادمة وهى تستأذنها فى ترتيب
الغرفة ... فالتفت المفتش دورين الى المخبر قائلا : أريد تخصيص
فريق عمل لوضع مكسميليان بيربونت تحت الملاحظة ... وحالما
يتضح أن هويتنى أوستيفنز يقومان بأى اتصال به ، فليقدم الى
تقرير فورى ..

ولم بطل الوقت حتى تقدم المفتش فان دورين بتقرير شامل
الى مدير البوليس فون ويليمز ، وقال له بعد أن اطلع عليه : من
المحتمل ياسيدى المدير انهما يسميان الى عدد من الاهداف فى وقت
واحد ... فهما يبديان اهتماما كبيرا بشرى أمريكى يدعى مكسميليان
بير بونت موجود الآن هنا .. وقد شهدا مؤتمر هواة طوابع البريد
العالمى ... كما قاما بزيارة مصنع تقطيع الماس وتفرجا على ماسة
« لوكولان » ، وأمضيا ساعتين فى زيارة متحف ريجكس حيث
توجد روائع فنانا الأشهر ومبررات ...

استمع مدير البوليس الى هذا وقد مال فى مقعده الى الخلف ،
ولم يتمالك أن تساءل فى نفسه : اليس الذى يفعله رجاله ضربا من
تضييع الوقت والجهد دون طائل ؟ .. فكل ما هناك مجموعة تخمينات
لا تعززها حقائق مادية كافية ... وفى النهاية قال للمفتش : اذن
حتى الآن ليست لديك فكرة عما هو هدفهما ؟ ..

- لا ياسيدى ... لست متاكدا انهما وصلا الى قرار بعينه ...

لكن فى اللحظة التى يقررن فيها شيئاً ، فسوف يتكفلان هما بإبلاغه لنا ...

فقطب مدير البوليس قائلاً : .. إبلاغه لنا !! ..

فتولى المفتش فان دورين التفسير قائلاً : عن طريق أجهزة التنصت .. ليست عندهما أقل فكرة أن أجهزة التنصت التى وضعناها عندهما تسجل لنا كل شيء ! ...



لقد صدق المفتش فان دورين ... فعن طريق أجهزة التنصت هذه فى الفندق ، بالإضافة الى تعقب المخبين السريين لحركات تريسي وجيف خارجه ، اجتمعت للبوليس الهولندى حصيلة من المعلومات القيمة عرف منها مايلى :

- أن بنك امرو الهولندى ينوى شحن سبائك ذهبية قيمتها خمسة ملايين دولار الى جزر الهند الغربية ، طبقاً للحديث الذى دار بين جيف وتريسي ..

- وأن جيف ستيفنز زار وحده مطبعة صغيرة وطلب من صاحبها طبع بطاقات له باسم « كورنيليوس ويلسون - كبير المحققين فى مكتب خدمات الامن الخصوصية فى أمستردام » ...

- وأن تريسي خرجت فى يوم آخر وحدها الى محل لبيع طيور وأسماك الزينة واشترت اثناء به أسماك ملونة ، واثنين من عصافير الكناريا ، وحمامة ...

- وأن جيف ستيفنز قصد الى بنك امرو واجتمع برئيسه مدة نصف ساعة دار الحديث خلالها عن تدابير الامن المتبعة فى البنك ، بعد أن استوثق مدير البنك تليفونيا من صحة اتسابه الى مكتب خدمات الامن الخصوصية المتوه عنه ...

- وأنه بعد ظهر نفس اليوم وقفت أمام البنك سيارة نقل مدرعة، وأخذت صورة فوتوغرافية لجيف وهو واقف فى المدخل . وفى اجتماع بمكتب مدير البوليس قال بعد أن أطلع على هذه البيانات :

مامعنى هذا كله ؟ ..

فقال دانيل كوبر : سأقول لكم ماذا تدبره تريسي هويتنى ... انها تخطط لخطف شحنة السبائك الذهبية ..

حذق الجميع اليه ، وقال مدير البوليس : وأظن أنك تعرف كيف تنوى تلك المرأة أن تقوم بهذه المعجزة ؟

- نعم ... باستخدام سيارة نقل امن زائفة والذهاب الى البنك قبل موعد وصول السيارة الحقيقية ثم الابتعاد بشحنة الذهب .. - ان هذا يبدو اقرب الى الخيال يامستر كوبر !..

وعندئذ تدخل المفتش فان دورين قائلا : انا لا أعرف ماهى خطتهم ياسيدى المدير ، لكنهما يخططان لشيء ... وعندنا أحاديثهما مسجلة على الشرائط .. ثم انهما عرفا تدابير الامن فى البنك ، وعرفا موعد قيام السيارة المدرعة بعملية النقل و .. فقال المدير وهو عاكف على فحص التقارير امامه : طيور زينة .. حمامة ، كناريا !.. هل تظن ان شيئا من هذا الكلام الفارغ له أية علاقة بالسرقة المدبرة ؟..

فاجاب فان دورين : كلا ...
وقال دانييل كوبر بأسلوبه الغريب : نعم ...



أخذ المخبر السرى هاور يتابع خطوات تريسى فى عدة شوارع دون أن يغفل عنها لحظة حتى وصلت الى كشك تليفون عمسمى وتكلمت مدى خمس دقائق وهو فى حالة غيظ واحباط لعدم قدرته على متابعة المكالمات ...

كان المتكلم هو جانتز هارتوج من لندن ، وقد قال لها : يمكننا الاعتماد على « مارجو » ، لكنها ستحتاج الى بعض الوقت - أسبوعين على الأقل ...

وأصفى اليها فترة ثم عاد يقول : مفهوم ... وعندما يتم الاستعداد لكل شيء ، سأتصل بكم ... التزموا الحذر .. وأبلغنى تحياتى الى جيف ...

ووضعت تريسى السماعة وخرجت من الكشك وهى تبسم للمرأة التى كانت واقفة تنتظر دورها فى التكلم ..

وبعد أيام أخرى من المراقبة والمتابعة والتصنت على المكالمات التليفونية لتريسى وجيف فى الفندق اجتمعت للبوليس حصيلة أخرى من المعلومات تضمنتها التقارير الآتية :

- ان جيف استأجر من شركة فولترز للنقل بالسيارات سيارة نقل زرقاء بطول عشرين قدما وعرض سبعة أقدام وارتفاع ستة ،

وانه نقلها الى جراج لدهان السيارات حيث دهنت بلون معدني رمادي ... وفي اليوم التالي نقل السيارة الى جراج آخر في جهة نائية حيث اتفق مع صاحبه على تقوية أرضية السيارة لكي تتحمل شحنة من « الحديد الخردة » على حد زعمه لصاحب الجراج على أن يتسلم السيارة بأقرب وقت ... وعندما اعترض صاحب الجراج لقصر المدة التي أمهله جيف لاتمامها في موعد غايته يوم الخميس ، لم يقبل الرجل الا بعد أن وعده جيف بمضاعفة الأجر ... - وأن تريسي قصدت الى قناة « أودشائز » الملاحية حيث أمضت نصف ساعة في حديث مع صاحب أحد الصنادل ، حيث اتفقت معه على استئجار الصندل لمدة أسبوع اعتبارا من يوم الجمعة للقيام برحلة عائلة مع زوجها للنزهة ...

- وأن الحمامة التي كانت تريسي قد اتفقت على شرائها من محل بيع طيور الزينة والأسماك الملونة قد أرسلت اليها على الفندق في قفص ، ولما سئل .. صاحب المحل عن نوع الحمامة هل هو من النوع العادي أو من الحمام الزاجل قرر البائع أنها من النوع الأول ، مؤكدا أنه اصطادها بنفسه قبل يوم واحد من منطقة فوندلبارك ، محط نزول أسراب الحمام ...

- وأنه في اليوم الذي عهد فيه جيف بالسيارة الى جراج الدوكو استأجر في حي « أودكفلك » النائي جراجا صغيرا نقل اليه ستة صناديق خشبية كبيرة فارغة مكتوبا عليها « آلات » ... وبعد أن انضحت معالم المؤامرة على هذا النحو قال المفتش فان دوربن في الاجتماع الحاسم الذي عقده مع مساعديه بحضور دانييل كوبر : أن كل الاجزاء قد اكتملت في الصورة ... فالنتهاتان أصبحا يعرفان موعد وصول السيارة المؤمنة الحقيقية الى بنك آمرو ، وقد خططا لوصولهما الى البنك قبل هذا الموعد بنصف ساعة ، وعندما تصل تلك السيارة الحقيقية يكونان قد استوليا على الشحنة وانطلقا بها ... وبعد ابتعادهما عن البنك بمسافة محدودة ينزويان بالسيارة في شارع جانبي لتفطيتها أتوماتيكيا بغطاء قماش مكتوب عليه « بيرة هنيكن » ، كما يتضح من هذه الصورة الفوتوغرافية التي حصل عليها رجالنا في تحرياتهم المتواصلة ...

وعندئذ سأل أحد المخبرين : وهل عرفنا ياسيدى المفتش كيف

خطط المشتبه فيهما لنقل شحنة الذهب الخام الى خارج هولندا .
فاشسار فان دورين الى الصورة التي تبدو فيها تريسى على
الصندل قائلا : أولا ، بواسطة الصندل ... ان هولندا تغليها
شبكة متقاطعة من القنوات والممرات المائية حيث يندمج الصندل
فى عداد العشرات من الصنادل القاذية والرائحة ... ثم ان هذه
الصورة الاخرى تبين الرحلة التجريبية التي قاما فيها بالسيارة على
طول القناة لقياس المدة التي تستغرقها الرحلة من البنك الى الصندل
مع حساب مدة شحن الذهب الى سطح الصندل ...

وقام المفتش الى الصورة الاخيرة المكبرة والمعلقة على الحائط الى
جانب عشرات الصور التي التقطها المخبرون طوال المراقبة والمتابعة ،
وأردف قائلا : ومنذ يومين فقط قام جيف ستيفنز بحجز مكان
للشحن على ظهر السفينة اوريستا التي ستبحر من ميناء روتردام
فى الاسبوع القادم ... وقد عرفت الشحنة بأنها صناديق آلات ،
ووجهتها ميناء هونج كوج ..

ثم التفت المفتش فان دورين الى رجاله قائلا : لا بأس ايها
السادة ... سنقوم نحن باجراء تغيير بسيط فى خططهما ..
سوف نتركهما يقومان بنقل شحنة السبائك الذهبية من البنك الى
السيارة ...

والتفت على الاثر الى دانييل كوبر واختم باسم : لقد قمونا
ان نقبض على صاحبينا الماكزين متلبسين ، على حد تعبيرك المفضل
يامستر كوبر ...



تبع مخبر سزى تريسى الى مكتب امريكان اكسپريس حيث
راقبها وهي تتسلم طردا متوسط الحجم ، ثم عادت الى الفندق
مباشرة ...

وفى مساء يوم الخميس اجتمع المفتش فان دورين وكوبر واحد
المخبرين فى غرفة التصنت فوق غرفة تريسى بالفندق ، واستمعا
انى الحوار التالى :

صوت تريسى : اننى اتصلت بالجراج وتم فحص سيارة النقل
نهائيا وملئها بالبنزين ... قل لى يا جيف .. عندما تنتهى عملياتنا
هذه على خير ، ما رايك فى القيام برحلة التنقيب عن الآثار التى
حدثنى عنها ...

صوت جيف : سأتخذ التدابير اللازمة فعلا ... من الآن فصاعدا
لن نفعل شيئا سوى الراحة والتمتع بالحياة .
فمفهم المفتش دورين قائلا ، فى اعتقادى أن العشرين سنة
القادمة سوف تكون مكفولة لهما فى ضيافتنا ، ونعم الضيافة !..
ونفض المفتش وتمضى قائلا : والآن يمكننا أن نذهب للنوم .. ان
كل شيء قد تم اعداده لقد صباحا ، ومن حقنا ان ننام هذه الليلة
من الجفون !..

لكن دانييل كوبر عجز عن النوم فى ليلته ... فقد راح يتصور
تريسي وقد اعتقلها البوليس وقادها الى التحقيق بغلظة ، ونخل
الفرع الذى تجلى فى وجهها ... فكانت هذه الصورة مدعاة الى
مزيد انفعاله وطرده النوم من عينيه ... فقام الى الحمام واستلقى فى
المياه الساخنة الباخرة ... لقد باتت النهاية قريبة ، ولسوف
تدفع تلك الفتاة ثمن فسادها وفجورها ، كما عمل هو من قبل على
أن تدفع غيرها من الفاسدات الفاجرات الثمن !. ولن يحل مساء
الغد حتى يكون هو فى طريقه الى موطنه ... كلا ليس موطنه ...
بل شقته الخاصة ... ان موطنه كان ملاذا امينا دافئا حيث أحبته
أهبا عظيما كما لم تحب أحد آخر فى الدنيا كلها !
وأخيرا نهض دانييل كوبر من الحمام فى فندق أمستردام وتاهب
للنوم وهو يناجى نفسه : ههنا سيكون يوم القصص من تريسي
الفاسدة الفاجرة ! ..

الفصل الثانى والثلاثون

أمستردام - الجمعة ٢٢ أغسطس - الساعة ٨ صباحا
جلس دانييل كوبر والثنان من المخبين فى غرفة التفتت بالفندق
يتسمعون الحديث الدائر بين تريسي وجيف أثناء الافطار ..
- كمك لديد يا جيف ؟ .. قهوة ؟ ..
- لا .. أشكر ..
فقال دانييل كوبر لنفسه : سيكون آخر افطار يأكلانه معا ..
- هل تعرف ماهو مصدر سرورى ؟ .. هو رحلتنا فى الصندل
- أمامنا يوم حافل ، وفرحين برحلة فى صندل ! .. لماذا ؟ ..
- لاننا سنكون معا وحدنا .. هل تظننى مهووسة ؟ ..

— جداً .. قبله .. « ورن صوت قبله » ..
— الحقيقة اننى ساكون آسفة يا جيف لفارقة هذا المكان ..
— انها حقا كانت اياما سعيدة .. « وضحكت تريسي مغتبطة » ..
وحلت الساعة التاسعة صباحا والحديث مازال دائرا ، حتى قال
كوبر لنفسه : يجب ان يستعدا ! ... يجب ان يضعا خطة آخر
دقيقة !

وعاد جيف يقول : عليك يا حبيبتي ان تلزى الحذر مع صاحبة
الفندق وانت تسددين حساب اقامتنا هنا .. فانى ساكون
مشغولا ...

— لا تشغل بالك من هذه الناحية ..
ومرة اخرى قال كوبر لنفسه بعد ان استمر الحديث فترة على
هذا النحو : ما هذا الذى يثرثران به بحق الشيطان ؟ .. الساعة
التاسعة والنصف .. والوقت حان لخروجهما ..
وعندئذ سمع صوت نسائي غريب يتكلم بالهولندية مختلطاً
بالحديث الدائر بين تريسي وجيف ، فلم يتمالك كوبر ان يسأل
رفيقه : ما الذى يجرى من تحتنا بحق الشيطان ؟ ..
فاجاب احد المخبرين متحيراً كزميله : لا أعرف .. جاءت خادمة
الفندق الى الغرفة ، ثم اتصلت تليفونيا بصاحب الفندق وقالت انها
لا تفهم ، فهي تسمع كلاما فى الغرفة ، لكنها لا تشاهد أحدا فيها ..
وسرعان ما انتفض كوبر قائماً وهو يقول : ماذا ! ؟
وهبط على السلالم طائراً يتبعه المخبران ، واندفع معهما الى
غرفة تريسي ... فاذا هى خالية ، باستثناء الخادمة .. ووقعت
انظارهم فوق المنضدة الصغيرة على مسجل كان لا يزال دائراً ...
وانبعث منه صوت جيف قائلاً : هل لا تزال القهوة ساخنة ؟ ..
فردت تريسي : هى فاترة فعلاً ...
راح كوبر والمخبران يحملقان غير مصدقين .. وقال احد المخبرين
متلعثماً :

— انا ... انا لا افهم ! ..
فهتف كوبر بحدة : ماهو رقم البوليس للطوارئ ؟ ..
وبعد ان ذكر له الرقم اندفع الى التليفون وقال صارخا والمسجل
لا يزال مستمراً :
انا دانييل كوبر ! ... ابحث عن المفتش فان دورين حالا وابلفه

ان جيف وتريسي اختفيا ! .. اطلب منه تفتيش الجراج ليرى
ان كانت سيارة النقل قد خرجت ! .. انا فى طريقى الى بنك
أمرو ! ..
والقى بالسماعة فى عنف وهرع الى الخارج ..

قال المفتش فان دورين :
- كل شىء تمام .. ان سيارة النقل خرجت من جراجهما ..
وهما الآن فى الطريق الى هنا ..
كان فان دورين وكوبر واثنان من المخبين مرابطين فى نقطة
مراقبة بوليسية فوق سطح مبنى مواجه لبنك أمرو .. وما لبث
فان دورين ان مضى يقول :
- ربما قررا تقديم موعد خطتهما بعد ان شعرا بأنهما محصل
التصنت ... لكن اطمئن يا صديقى ... انظر ! ..
ودفع كوبر الى مكان منظار مكبر فوق السطح ... فشاهد رجل
فى زى السعاة منهما فى تلميع لافتة البنك النحاسية ، وكناس
يقوم بتنظيف الشوارع ، وبائع جرائد على الناصية ، وثلاثة عمال
يتولون اصلاح احد المرافق ... وكانوا جميعا مزودين بأجهزة
لاسلكى من نوع « ووكى توكى » .. وبعد ان قال فان دورين ان
هؤلاء جميعا من رجال البوليس ، استطرد :
- لا تقلق يا مستر كوبر ... ان السباتك الذهبية لازال موجودة
فى البنك فى اتم امان ... ان الطريقة الوحيدة لوضع ايديهما
على السباتك هى الحضور لاختداه .. وعند لحظة دخولهما الى البنك
سيكون منفذا الشارع تحت الحصار المشدد ... ولا سبيل امامهما
للهرب ...

ونظر المفتش فى ساعته ، ثم اردف :
- ان سيارة النقل ستظهر للعيان فى اية لحظة الان ..

وفى داخل البنك كان التوتر يتزايد ... لقد اخطر موظفو
البنك بالموقف ، وصدر الامر للحراس بالمساعدة فى نقل السباتك
الذهبية الى السيارة المصفحة عند وصولها ... وكان على كل فرد
ان يبذل تعاونه كاملا ...
وفوق السطح كان المفتش دورين يسأل للمرة العاشرة :

- هل من اشارة عن السيارة الملعونة ؟ ..

- لا شيء ...

ونظر مخبر سرى فى ساعته ثم قال :

- هناك تأخير لمدة ١٣ دقيقة عن الموعد .. واذا ...

وعندئذ دبت الحياة فى جهاز اللاسلكى « ووكى توكى » :

- ايها المفتش ... ان سيارة النقل ظهرت توا ! .. وهى متجهة

الى البنك ! .. ويمكنكم رؤيتها من السطح فى خلال دقيقة ! ..

وفجأة تكهرب الجو ..

وتكلم المفتش فان دورين بسرعة فى الجهاز :

- جميع الوحدات انتباه ! .. السمك الآن فى الشبكة ! .. دعوه

يسبح فى داخلها ! ..

وتقدمت سيارة نقل رمادية مصفحة الى مدخل البنك ثم توقفت

وفى ما كان دانييل كوبر وفان دورين يراقبان ، ترجل من

السيارة اثنان من حرس الامن فى الزى الرسمى واتجها الى البنك.

وقال دانييل كوبر بصوت عال :

- اين هى ؟ .. اين تريسى هويتنى ؟ ..

فرد المفتش فان دورين مؤكدا :

- هذا لا يهم ... انها لن تكون بعيدة عن سباتك الذهب ..

وحتى لو كانت بعيدة ، كما فكر كوبر ، فليس لهذا أهمية ..

ان التسجيلات الصوتية ستكفى لادانتها ! ..

وراح كوبر وفان دورين يراقبان من مرصدهما فوق سطح مبنى

موظفى البنك وهم يساعدون الحارسين الرسميين فى نقل السباتك

الذهبية الى السيارة المصفحة ... لقد استغرقت هذه العملية

ثمانى دقائق ... وعندما اغلق باب السيارة من الخلف وهم

الحارسان بالركوب فى المقعد الامامى ، صاح المفتش فان دورين

فى جهاز اللاسلكى :

- كل الوحدات تحاصر ! ...

وسرعان ما اشتد الهرج ... واندفع ساعى البنك ، وبائع

الجرائد ، وعمال الاصلاح ، وحشد من المخبزين الآخرين - اندفعوا

بطوقون السيارة شاهرين اسلحتهم ... وحوصر الشارع من

الناحيتين ...

والتفت المفتش فان دورين الى دانييل كوبر باسمه وقال :

— هل هذا التلبس الذى ظالما طلبته بكفيك ؟ .. هيا بنا نختم العملية ...

وقال كوبر لنفسه :

— انتهى اخيرا كل شيء ! ..

واسرعا بالهبوط الى الشارع ... وكان الحارسان الرسميان واقفين فى مواجهة الحائط واقعى الأيدى وقد طوقتهما دائرة من المخبرين ... وشق دانييل كوبر المفتش فان دورين طريقهما الى قلب المعمة ... وقال فان دورين :

— يمكنكما أن تستديرا الآن ... انتما مقبوض عليكما !
فاستدار الحارسان لمواجهة الجمع منتقى الوجوه ... ومرعان ما حلق دانييل كوبر والمفتش فان دورين فيهما مصعوقين .. فقد كانا غريبين تماما ...

وسأل المفتش فان دورين :

— من .. من انتما ؟ ..

فعالج أحدهما الكلام متلعثما :

— اننا حارسا الامن من قبل الشركة .. لا تطلقوا النار ! .. بالله
تطلقوا النار ..

التفت المفتش فان دورين الى كوبر وقال فى نبرات هستيرية :

— ان خطبتهما فشلت ... فقاما بالغائها ...

أما دانييل كوبر فقد شعر بقصة فى حلقه وغثيان فى معدته ،
وعندما استطاع الكلام قال بصوت متخفق :

— كلا ... لم يفشل شيء ...

— ما الذى تقوله ؟ !

— ان السبائك الذهبية لم تكن أبدا هدفهما .. ان هذه اللعبة
كانت خداعا وتمويهها وتحويلا للأنظار عن شيء آخر ! ..

— هذا مستحيل ! .. أعنى سيارة النقل المستاجرة بكل
أحرائها ، والصندل ، والصور الفوتوغرافية لباقي المراحل ! ..

— الا تفهم ؟ .. انهما كانا يعرفان ... كانا يعرفان طول الوقت
اننا نراقبهما ! ..

فقال المفتش فان دورين وقد غاض الدم من وجهه :

— أواه يا الهى ! .. وأين هما ؟ ..

الفصل الثالث والثلاثون

وصلت تريسي وجيف الى مصنع تقطيع الماس فى حى كوستر ..
كان جيف يضع على وجهه لحية وشاربا وقد غير شكل خديه
وانفه بنوع خاص من الاسفنج وارتدى ملابس رياضية وحمل كيسا
مثنيا ... وكانت تريسي تلبس « باروكة » سوداء وملابس امرأة
حامل وتضع نوعا من « الماكياج » الثقيل ونظارة شمسية قائمة ..
وكانت تحمل حقيبة « سمسونات » كبيرة ولقافة مستديرة مكسوة
بورق بنى ... وقد دخل الاثنان الى حجرة الاستقبال وانضما الى
فوج من السياح القادمين بأتوبيس كانوا ينصتون الى مرشد يقول
لهم :

— ... والان سيداتى وسادتى ، ارجو ان تتبعونى لى افرجكم
على عملية تقطيع الماس وحيث تجدون الفرصة لشراء بعض ماسنا
الجميل ! ...

وفى اثر المرشد دلف الفوج الى الابواب المؤدية الى داخل
المصنع .. فتقدمت تريسي معهم ، فى حين تخلف جيف عنهم ...
وعندما ابتعد الفوج أسرع جيف يهبط درجات سلالم مؤدية الى
« البلروم » ... ثم فتح الكيس المثنى واخرج « اوفراول »
مبقعا بالزيت وعلبة صغيرة بها ادوات ... وبعد ان لبس «الافراول»
تقدم الى صندوق المصهر الكهربائى ونظر فى ساعته ..

اما تريسي فقد تلبثت مع الفوج وهو يتنقل من حجرة الى حجرة
بينما كان المرشد يفرجهم على المراحل المختلفة التى يمر بها تشكيل
احجار كريمة مصقولة من الماس الخام ... وبين فينة واخرى
كانت تريسي تنظر الى ساعتها ... كان الطواف قد استغرق خمس
دقائق زيادة عن الموعد المتفق عليه ، وتمنت لو مضى المرشد فى طوافه
بأسرع من هذا ..

وبعد انتهاء الطواف اخيرا ، وصل الفوج الى قاعة العرض الكبرى
حيث تقدم المرشد الى « الفترينة » الزجاجية القائمة فوق القاعدة
يحف بها جبل دائرى على مبعدة ...
وراح المرشد يعلن للفوج متباهيا :

— فى هذه « الفترينة » توجد ماسة « لوكولان » ، وهى واحدة من أثمن الماسات فى العالم ... وقد اشتراها ذات مرة ممثل مسرحى مشهور لزوجته نجمة السينما ... وتقدر قيمتها بعشرة ملايين دولار ، وهى محروسة بأحدث ..

وانطفأت الانوار فجأة ... وفى الحال انطلق الانذار واغلقت النوافذ والابواب المعدنية اتوماتيكيا ، فسدت كافة المنافذ بإحكام وأخذ بعض السياح يصرخون ...

وارتفع صوت المرشد عاليا بين الصراخ :

— من فضلكم .. لا لزوم للانزعاج ! ... هو مجرد نخل كهربائى وبعد دقيقة سيعمل المولد الكهربائى الاحتياطى .
وعادت الانوار الكهربائية قبل أن يتم كلامه ..
فقال المرشد بطمئن السياح :

— هل رأيتم ؟ .. لا يوجد مايزعج ..

وقال سائح المانى مشيرا الى المصارع الفولاذية :

— ما هذه ؟ ...

فتولى المرشد البيان قائلا :

— احتياطات أمنية ...

وأخرج من جيبه مفتاحا غريب الشكل وأدخله فى ثقب فى الحائط وأداره ، وسرعان ما ارتفعت المصارع الفولاذية عن السوانف والابواب مرتدة الى مواضعها ...

ثم رن جرس تليفون على مكتب قريب ، فرفع المرشد السماعة وتكلم :

— أنا هندريك ... شكرا لك يا كابتن .. لا .. كل شيء على مايرام .. كان مجرد انذار خاطيء — ربما بسبب توقف قصير للتيار الكهربائى .. وسأعمل على فحصه فى الحال ... حاضرا ياسيدى ..

وأعاد السماعة والتفت الى الفوج السياحى قائلا :

— لكم أصدق اعتذارى سيداتى وساداتى ... مع وجود مثل

هذه الماسة الثمينة هنا لا يمكن التهاون ازاء أى طارئ .. والآن ،

لن بريد منكم أن يشتري شيئا من ماسنا الجميل ...

وانطفأت الانوار مرة ثانية ... وفى الحال رنت أجراس الانذار

وانطبقت المصارع الفولاذية من جديد .

وصرخت امرأة بين الفوج :
- هيا بنا نخرج من هنا يا هارى ! ..
فاتهرها زوجها مزمجرا :
- هلا اقفلت فمك ياديانا .

وفى « البدروم » كان جيف واقفا أمام صندوق المصهر الكهربائى
بصفى الى صراخ السياح فوقه ... وقد انتظر بضع لحظات ، ثم
أعاد توصيل التيار الكهربائى .. فانبعثت الانوار ساطعة ..
ولعل صوت المرشد فوق الضجيج والهرج :
- سيداتى وسادتى ! .. هو مجرد خلل كهربائى ..
وأخرج مفتاحه مرة اخرى ووضع فى ثقب الحائط ، فعادت
المصابيع الفولاذية سيرتها الاولى ..
ورن جرس التليفون .. فأسرع اليه المرشد ورفع السماعة
قائلا :

- أنا هندريك .. كلا ياكابتن .. حاضر .. سنعمل على اصلاح
الخلل بأسرع مايمكن .. شكرا ياسيدى .
وفتح باب فى القاعة ودخل جيف حاملا علبة الادوات وقد
مال « بيرييه الشغل » فوق رأسه الى الخلف .. وشق طريقه بين
الفوج الى أن وصل الى المرشد وسأله :
- ماهو المشكل ؟ .. ان أحدهم أبلغ عن وجود خلل كهربائى ..
فتولى المرشد البيان قائلا :

- ان الانوار تطفأ وتضاء أكثر من مرة .. أرجوك ان تعمل على
اصلاح الخلل بسرعة ..

وانجه الى السياح من جديد وهو يتكلف الابتسام قائلا :
- لماذا لا ننتقل الى هذه « الفترينات » هناك حيث يمكنكم
انتقاء ماسات جميلة بأثمان معقولة ؟ ..

وبينما أخذ السياح يتقدمون الى « الفترينات » ، عمد جيف وهم
عنه غافلون فى تزاحمهم الى اخراج أداة اسطوانية صغيرة مسن
جيبه ونزع مشبكها والقى بها خلف القاعدة التى تحمل ماسسة
« لوكولان » ... وفى الحال أخذ الجهاز الاسطوانى الصغير ينفث
دخانا وشررا ..
وعندئذ نادى جيف المرشد :

- يا اخ ! .. الخلل هنا ! .. فى السلك الكهربائى الممدود تحت الارضية ! ..

وصرخت امرأة :

- النار ! ..

وبدوره صاح المرشد :

- من فضلكم كلكم ! .. لا لزوم للفرع ! .. الزموا الهدوء ! ..
والتفت نحو جيف وقال بصوت كالضحيق :

- اصلحه ! .. اصلحه ! ..

فقال جيف فى سر :

- ليس مشكلة ...

وتقدم نحو الحبال المخملية التى تحف بالفتريئة ذات القاعدة ..
فاستوقفه المرشد قائلا :

- لا ... لا يمكن ان تقترب من « الفتريئة » ! ..

فهز جيف كتفيه قائلا :

- احسن لى ! .. اصلحها انت ! ..

وانثنى لى يخرج ..

فى هذه الاثناء كان الدخان يتدفق متكاثفا ... وبدأ الفرع
يستولى على السياج من جديد .. فقال المرشد لجيف مستعظفا :

- انتظر ! .. دقيقة واحدة ! ..

واسرع الى التليفون وادار الرقم قائلا :

- ياكابتن .. انا هندريك ! .. لابد ان ارجوك وقف تشغيل

كل اجهزة الانذار ... عندنا مشكلة صغيرة ! .. حاضري ياسيدى .

وثلفت الى جيف سائلا :

- ماهى المدة المطلوبة للتوقف ! ..

فاجاب جيف :

- خمس دقائق ..

فردد المرشد فى التليفون :

- خمس دقائق .. شكرا ياسيدى ..

وامعاد السماعه قائلا :

- ستتوقف اجهزة الانذار خلال عشر ثوان .. بالله اسرع ! ..

اننا لا نوقف الانذار ابدا ! ..

- وانا يا صديقى ليس لى اكثر من يدين ! ..

وانتظر جيف عشر ثوان .. ثم تقدم وتخطى الحبال ويهم شطر

القاعدة ، بينما أشار هندريك الى الحارس المسلح ، فاوما هذا برأسه. وركز عينيه على جيف ...
أخذ جيف يعمل خلف القاعدة ... والتفت المرشد المخدول الى الفوج السياحي قائلا :

— والان هيداتي وسادتي ، كما كنت أقول لكم ، عندنا هنا مجموعة مختارة من الماس الجميل ، بأسعار مخفضة ... ونحن نقبل الشيكات السياحية ، فضلا عن الدفع نقدا بالطبع ...
كانت تريسي واقفة أمام منصة البيع ، فقالت بصوت عال :

— هل تشترون الماس ؟
فحدق اليها المرشد قائلا : ماذا ؟

— ان زوجي منقب عن المعادن ... وقد عاد توا من جنوب افريقيا ويريد ان أبيع هذه الماسات ...

وثناء الحديث فتحت تريسي الحقيبة « السمسونيت » التي كانت تحملها ، ولكنها أمسكت بها بالقلوب ، واذا سيل من الماس المتلألئ يتدفق الى الأرض ويتناثر فوقها ، حتى صاحت تريسي :

— ماساتي ! .. ساعدوني !
حدثت لحظة صمت شامل ، ثم أعقبها هرج شديد ... فقد استحال الجمهور الملهب الى غوغاء .. وراحوا يزحفون على أيديهم وركبهم ويدفعون بعضهم بعضا لافساح الطريق لأنفسهم وهم يتصايحون :

— أنا فزت بماسة ! ..

— اخطف غرفة ياجون ! ..

— دع هذه ... أنا أخذتها قبلك ! ..

ووقف المرشد والحارس عاجزين عن الكلام .. بل لقد قذف بهما جانباً في بحر من هذه الكتلة البشرية المتدافعة الجشعة وهم يملأون جيوبهم وحقائب أيديهم بالماس المتناثر ..
ثم صرخ الحارس فيهم :

— الى الخلف ! .. كفوا من هذا ! ..

وفي اللحظة التالية طوحوا به على الأرض ..

وفي هذه اللحظة دخل فوج من السياح الايطاليين قدم توا باتوبيس ملء ، وعندما شاهدوا مايجري ، انضموا الى الفوج الاول المتقاتل على الغنيمة ...

وحاول الحارس ان يقوم على قدميه لاطلاق اجراس الانذار ، فغير

ان هذا المد البشرى جعل هذه المهمة مستحيلة ... فقد داسوه
بالاقدام ... وانتقلت الدنيا فجأة الى ساحة مجنونة ... كان
كابوسا بدا ان ليس له من نهاية ..
وعندما افلح الحارس المشدوه ان يتحمل على قدميه في النهاية ،
شق طريقه في غمار الحشد المجنون ، ووصل الى القاعدة ، ثم
فقد اختفت جوهرة « لوكولان » ..
كما اختفت أيضا المرأة الحامل ، والكهربائي ...



ازالت تريسى تنكرها في احدى مقاصير مفصل عمومي على مبعدة
من مصنع تقطيع الماس ، حاملة معها اللقافة المحزومة بورق بنى ،
واتجهت الى مقعد في المنتزه المجاور ... لقد سار كل شيء على
احسن واكمل مايرام ... وعندما فكرت في الحشد الفسوغائي
الذى راح يتدافع ويتقاتل للفوز بأحجار ماس زائفة لم تتمالك ان
ضحكت عاليا ...

ثم لاح لها جيف يقترب ، مرتديا بدلة رمادية قائمة وقد اختفت
اللحية والشارب من وجهه ... فوثبت قائمة .. وتقدم منها
جيف وهو يقول باسم :
- احبك ! ..

واستل ماسة « لوكولان » من جيبه واعطاها لتريسى قائلا :
- اطعمى هذه لصديقتك ايتها الحبيبة ! .. سارك فيما بعد ..
وجعلت تريسى تراقبه وهو يتعد وقد لمعت عيناها ... انهما
الآن قلب واحد في جسدين .. ولسوف يستقل كل منهما طائرة
منفردة ثم يتلاقيان في البرازيل ... وبعدها سوف يبقيان معا
وبتلازمان مدى حياتهما ..

وتطلعت تريسى حولها لتتأكد ان احدا لا يراقبها ، ثم فسكت
اللقافة التى كانت تحملها واخرجت منها قفصا صغيرا به حمامة
رمادية ...

كانت عندما راقبها المخبرون السريون وهى تدخل الى مكتب
« امريكان اكسبريس » منذ ثلاثة ايام قد اخذت الحمامة الواردة
في القفص الى غرفتها بالفندق واطلقت الحمامة الاخرى من
النافذة .. والان وهى فى الحديقة فقد اخرجت من حقيبة يدها
كيسا صغيرا من « الشاموا » ووضعت الماسة بداخله .. ثم اخرجت
الحمامة الرمادية من القفص وامسكت بها ريشما ربطت بحرص كيس

« الشاموا » الى ساق الحمامة ، وقالت لها :
- يابنيتى الجميلة « مارجو » !... خذوها الى موطنك من حيث
جئت ! ..
وفجأة ظهر شرطى كانما انشقت عنه الارض امامها وبادرها
قائلا :

- امسك ! .. ماذا تفعلين يا هذه ؟ ..
كاد قلبها يشب من مكانه ... وغمغمت :
- ماهى .. ماهى المشكلة ، يا حضرة الضابط ؟ ..
كانت عيناه على القفص ، ينظر فى غضب .. وقال :
- انت تعرفين ماهى المشكلة ... هو شيء ان تطعمى الحمام هنا،
ولكنه شيء مخالف للقانون ان تصيدى واحدة وتضعيها فى
القفص ! ... والآن ، ماعليك الا ان تطلقى هذه الحمامة قبل ان
اقبض عليك ! ..

ابتلعت تريسى ريقها وتنفست عميقا ، وقالت :
- مادمت تقول هذا يا حضرة الضابط ..
ورفعت جناحى الحمامة « مارجو » وطوحت بها فى الهواء ..
واشرق محياها بابتسامة عذبة وهى تراقب الحمامة تحلق الى اعلى
واعلى .. وقد قامت بدورة مرة واحدة ، ثم اتجهت فى طريقها
الى لندن ، على بعد ٢٣ ميلا غربا .. ان الحمامة الزاجلة تطير
بمعدل اربعين ميلا فى الساعة - كما اخبرها جاترها رتوج - وهكذا
فان « مارجو » سوف تصل اليه فى موطنها فى غضون ست ساعات.
وقال لها الشرطى محذرا :
- لا تحاولى ان تفعلى هذه مرة ثانية ! ..
فاجابت بصدق واخلاص :
- لن افعل ! .. ابدا يا حضرة الضابط ! ..



فى وقت متأخر عصر هذا اليوم ، دخلت تريسى الى مطار تشيفول
الهولندى واتجهت الى المدخل الذى تستقل منه الطائرة المتجهة الى
البرازيل ... ووقف دانييل كوبر فى احد الاركان يراقبها وقد
امتلات عيناه مراة ... ان تريسى هويتنى قد سرفت جوهرة
« لوكولان » .. لقد عرف هذا فى اللحظة التى سمع فيها التقرير
ابوليسى ... كان هذا هو أسلوبها ، الجسور ، والخصب الخيال

ومع ذلك لم يكن ثمة من سبيل لاي عمل حيال هذا ..
لقد اطلع المفتش فان دورين حارس المتحف على صورتى تريسي
وجيف الفوتوغرافيتين ، فنفى نفيا قاطعا انه رأى اى واحد منهما
ان اللص كانت له لحية وشارب ، وكان انفه وخسده ممتلئين
اكثر ، وكانت السيدة التى جاءت بحجارة الماس الزائف حاملا
وسوداء الشعر ...

ثم انه لم يعثر على اثر للماسة المروقة ... فان جيف وتريسي
فى هياتهما الطبيعية قد خضعا لتفتيش دقيق مع امتعهما فى
المطار ..

وقد اقسم المفتش فان دورين امام كوبر قائلا :
- ان الماسة لا تزال فى امستردام ! .. ولسوف نجدها ! ..
ولكن كوبر قال لنفسه مفضبا : كلا ... لن نجدها .. انها
ابدلت حمامة بحمامة ! .. ان الماسة تم تهريبها الى خارج هولندا
بواسطة حمامة زاجلة ! ..

ووقف دانييل كوبر مقهورا مدحورا يراقب تريسي وهى تتجه
الى مدرج الطائرة ... انها اول انسان تهيأ له ان يهزمه .. ولسوف
يذهب الى جهنم بسببها ، بعد عجزه عن اقتناصها وتقديمها الى
العدالة ...

وعندما وصلت تريسي الى الباب باب المدرج ترددت برهة ، ثم
التفتت ونظرت الى عيني كوبر رأسا ... لقد كانت تعلم طول الوقت
انه ظل يتبعها فى كافة اقطار أوروبا مثل كلب صيد لا يكف عن
طريدته ... كان فى هبائه سمات غريبة ، مستنكرة ومروعة ، وفى
نفس الوقت مؤثرة .. ولم تتمالك تريسي ان شعرت بالثناء له على
نحو غير مفهوم ... ثم اذا هى تلوح له بلفة صغيرة مودعة ...
وانشنت لكى تستقل الطائرة

فما كان من دانييل كوبر الا أن وضع يده على خطاب الاستقالة
فى جيبه ...



جلست تريسي فى مقعدها بالطائرة المجاور للممشى فى الدرجة
الأولى ... وان هى الا ساعات معدودة حتى تكون مع جيف ...
ولسوف يعقد زواجهما فى البرازيل ... ولن تكون هناك مغامرات
أخرى ، وان ذهبت تناجى نفسها : لكننى لن اشتاق للمغامرات ..
فان الحياة مع جيف فيها كل الاثارة .

— عن اذنك ! ..

تطلعت تريسى الى المتكلم ... شاهدت رجلا متوسط السن
منتعشا تبدو عليه امارات الانحلال واقفا يشرف عليها ... ثم اشار
الى المقعد المجاور للنافذة قائلا :

— هذا مكانى يا حلوة ! ...

فانشنت تريسى جانبا لكى يمر امامها ، وعندما انزلق طرف فستانها
نظر الى ساقها معجبا ...
وقال لها غامزا بطرف عينه :

— هذا يوم رائع للسفر بالطائرة ...

اشاحت تريسى بنظرها عنه ... فلم تكن لها رغبة فى التحدث
مع رفيق سفر ... اذ كان لديها الكثير مما تحب أن تفكر فيه ..
فامامها حياة جديدة ممتدة .. وسوف تختار هى وجيف مكانا
ينعمان فيه بحياة الاستقرار ويصبحان مواطنين مثاليين يحظيان
من الناس بأوفى الاحترام والتقدير تحت اسم مستر ومسر جيف
ستيفنز ..

وما لبث رفيقها فى السفر أن وكزها قائلا :

— مادونا ياسيدتى الصغيرة سنكون رفيقى سفر فى هذه
الرحلة ، فلماذا لا نتعارف ؟ ... انا مكسيميليان بير بونت ،
الليونير العالمى ! ..

تمت

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٦ / ٢٤١٤

الترقيم الدولى ١ - ٢١٦ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

اشترك في روايات المهلا

الكويت السيد عبد العال بسيوني زغلول
الصفاء - ص. ب. رقم ٢١٨٣٣
تليفون ٧٤١١٦٤

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية)

هذه الرواية

مؤلف هذه الرواية الجديدة التي صدرت منذ شهور معدودة والتي تترجم الى العربية لأول مرة هو أشهر مؤلفى روايات الخفاء والغموض فى العصر الحديث حتى لُقِّبَ بأستاذ الرواية الجنائية وأصبحت رواياته أوسع الروايات مبيعاً وانتشاراً وترجمت الى أكثر من ثلاثين لغة . وهو يقدم لنا فى هذه الرواية بطلته تفردت بالجمال والذكاء والدهاء والاعصاب الباردة البتارة ، وقعت ضحية لملوك الجريمة المنظمة من عتاة (المافيا) الذين زجوا فى السجن عن جريمة ملفقة ، ولكن عزميتها الجبارة هيأت التحرر من أغلال الأسر لكي تتصدى للانتقام من ظالمىها القساة غير أنها لا تلبث ان تخوض معرك اخرى فى ساحة اوسع شملت نيويورك ولندن وباريس ومدريد وامستردام دوخت فيها دوائر البوليس المحلى والدولى (الانتربول) فى وقائع ومغامرات مذهلة مما يجعل من البطله اسطورة فى عالم البطلات

Bibliotheca Alexandrina



0395475

